الجامعة الاردنيـــــة
كليـــــة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

نجيـب الكيلانـي روائيـا

إعـــداد
سهيل ياسين توفيـــق

ع
١٤٣٥

بإشـــراف

الدكتور سمير قطامـــــي
أستاذ مساعد / قسم اللغة العربيـــة

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغـــة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنيـــة سنـــة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهـــــــــداء

إلى الوالدين الكريمين اللذين قال الله تعالى فيهما:

" واخفض لهما جناح الذل من الرحمة "

وإلى الأخـــوة الأعزاء : أمية، وسمية، وأسامة، وأسماء، وكفاح وســـــلال، ورائع .

إلى هؤلاء جميعـــــا ..

أهـــدي هذه الرسالـــة ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور سمير قطامي الذى تعهدني بالرعاية الدائمة والتوجيه المستمر، وتحمل عناء قراءة الفصول وتصحيحها، حتى خرجت هذه الدراسة بالصورة التي وصلت إليها، فلله مني التحية والتقدير.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعد في إخراج هذه الرسالة وأخص بالذكر:

الدكتور نجيب الكيلاني، الذي تكرم بإرسال بعض الكتب المخطوطة وشريطي تسجيل، وعدد من الرسائل، وكلها ساهمت بشكل كبير في سد بعض ثغرات الرسالة، كذلك أشكر العم العزيز موسى توفيق (أبو لبنى) ومحمود أحمد صالح، ومحمود، اسماعيل معالي، وسمير بشناق، ومحمود جرادات، وفتحي سويد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتـــــــويات

مقدمـــــــة	
الفصـل الاول : نجيب الكيلاني : حياته وآثاره	١ــ ٤٠
١ــ سيرة حياتـــه .	١ــ ١٠
٢ــ ثقافتـــه ومصادرها .	١١ ــ ١٦
٣ــ آثـــــــــاره .	١٧ ــ ٤٠
الفصل الثاني : روايات نجيب الكيلاني التاريخية	٤١ ــ ٨٥
١ــ موضوعات الرواية التاريخية وقضاياها .	٤١ ــ ٤٨
٢ــ البناء الفنـــــي .	٤٨ ــ ٧٩
٣ــ موقع روايات نجيب الكيلاني التاريخية من مسيرة الرواية التا ريخية في مصـــر .	٧٩ ــ ٨٥
الفصل الثالث : روايات نجيب الكيلا ني الاجتما عية	٨٦ ــ ١٢٤
١ــ موضوعا ت الرواية الاجتماعية وقضاياها.	٨٦ ــ ٩١
٢ــ البنـــاء الفنـــي .	٩١ ــ ١١٩
٣ــ موقع روايات نجيب الكيلاني الاجتماعية من مسيرة الرواية الاجتماعية في مصـــر .	١٢٠ ــ ١٢٤
الفصل الرابع : روايات نجيب الكيلاني السياســـة	١٢٥ ــ ٢٤٥
١ــ موضوعات الرواية السياسية وقضاياها .	١٢٥ ــ ١٣٧
أ ــ محور القضايا المصريـــة .	١٢٦ ــ ١٣٢
ب ــ محور القضية الفلسطينية .	١٣٢ ــ ١٣٤
ج ــ محور قضايا العالم الإسلامي .	١٣٤ ــ ١٣٧
٢ــ البناء الفنـــــي .	١٣٨ ــ ٢٣٦
٣ــ موقع روايات نجيب الكيلاني السياسية من مسيرة الرواية السياسية في مصـــر .	٢٣٧ ــ ٢٤٥
الخاتمـــــــة .	٢٤٦ ــ ٢٤٧
المصادر والمراجع .	٢٤٨ ــ ٢٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ أ ـ

مقدمـــــــــة :ـ

ترجع صلتي بأدب نجيب الكيلاني إلى فترة غير بعيدة ، وبالتحديد سنة ١٩٨٢م، حين اطلعت على ديوانه الأخير (كيف ألقاك) ، الذي صدر سنة ١٩٨٠م ، وقد أعجبـــت ببعض قصائد هذا الديوان ، لما طرحته من قضايا اجتماعية وسياسية مختلفة، وعند اطلاعي على مؤلفات نجيب الأدبية والفكرية الموجودة في نهاية الديوان ، أثارني وأدهشني غـزارة هذه المؤلفات وتنوع موضوعاتها ، التي توزعت على الشعر والمسرح والقصة القصيرة والرواية والدراسات الأدبية والفكرية ، وقد بلغ عددها جميعا ستة وأربعين مؤلفا ، حاولت بعـــد ذلك التعرف عليها والوقوف منها عن كثب ، خاصة الروائية منها ، لما وجدته من أن أعمال نجيب الروائية قد حازت على النصيب الأكبـــر من هذه المؤلفات ،إذ بلغ عددها خمســا وعشرين روايـــــة .

وعندما انتهيت من دراسة مواد الماجستير سنة ١٩٨٣م كانت الرغبة تشدني إلى تناول أدب نجيب الكيلاني بالدراسة والتحليل ، إلا أنني بعد حين آثرت وبعد دراســة وتمحيص أن ينصب اهتمامي على تناول جزئيـة محددة من هذا الأدب ، فملت إلى اختيار الرواية لتكون محور هذه الدراسة ، ويعود سبب اختياري هذا إلى عدة أسباب لعل من أهمها، أن روايات نجيب الكيلاني لم تحظ بعناية الدارسين والباحثين ، فلم تقم حولها دراسة علمية وافية ، فكل ما كتب عنها لا يتعدى الأبحاث الجزئية والمقالات القليلة الموجودة في بعـــض الكتب والمجلات ، مع أن كثرة عددها وتنوع مضامينها كفيل بإثارة الاهتمام والانتباه ، إضافة إلى أن قسما منها قد حاز على جوائز تقديرية من هيئات رسمية مختلفة ، فقد فازت روايـة (اليوم الموعود) بجائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سنة ١٩٦٠م ، كما فـــازت روايتا (الطريق الطويل) ، و(في الظلام) بجائزتي وزارة التربية والتعليم لسنتي ١٩٥٧ ، ١٩٥٨م على التوالي ، كما حازت رواية (ليل العبيد) على المركز الأول في مهرجان طشتند

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدولي لسنة ١٩٧٢ — ١٩٧٣ ، بعد أن أخرجت فيلما سينمائيا تحت اسم (ليل وقضبان)، كذلك ترجمت بعض روايات نجيب إلى الروسية والإنجليزية والإيطالية والأوردية والتركية .

وقد أشار أكثر من باحث وأديب إلى أعمال نجيب الروائية . ومن هؤلاء الأديب نجيب محفوظ ، الذي أتى في مرحلة ما على جهود عدد من الأدباء في مصر — ومنهم نجيب الكيلاني — لمواصلتهم الكتابة الروائية بجد ونشاط (١) ، كما رأى صبري حافظ أن نجيبا من أكثر الأدباء الشباب غزارة في الانتاج الأدبي ومن ذلك الرواية (٢) . أما عبدالله السمان فقد انتقد بشدة اغفال النقاد المصريين وتجاهلهم لعدد من الأدباء الذين برزوا على الساحة المصرية ، وأشار السمان الى عدد من هؤلاء الأدباء وعلى رأسهم نجيب الكيلاني ، فعدد بعض آثاره الأدبية ، التي حاز بعضها على عدد من الجوائز التقديرية . (٣)

أما الدراسات الجزئية التي تناولت بعض روايات نجيب الكيلاني فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من هذه الدراسات تركز حول مضامين هذه الروايات دون التعرض لقضاياها الفنية ، وهذا خروج عن طبيعة النقد الأدبي ، الذى يجب أن يشمل الشكل الفني والمضمون معا . وقد غلبت على هذه الدراسات الأحكام السريعة والمطلقة التي ينقصها العمق والتحليل الدقيق ، فتحولت إلى منبر للمدح والثناء ، لما جاءت به هذه الروايات من مضامين ولما حملته من أفكار ، ويندرج تحت هذا القسم : دراسة هشام قزيحة لرواية (دم لفطير صهيون) ، ودراسة محمد بريغش لروايات (عذراء جاكرتا) ، و (عمر يظهر في القدس) ، و (عالقة الشمال) ، و (ليالي تركستان) .

والقسم الثاني من هذه الدراسات يتضمن دراسة الناقد نوفل دوارة لرواية (اليوم الموعود) ، إذ حاول من خلالها إبراز أهم القضايا التي تضمنتها شكلا ومضمونا ، إلا أنه ابتعد عن الموضوعية في نقده لها ، لأن هذا النقد قد اقتصر فقط على إظهار عيوب الرواية وسلبياتها وتضخيمها ، دون أن يشير ولو إشارة واحدة لأي ايجابية من إيجابياتها .

---

(١) في حديث له مع رجاء النقاش، أصوات غاضبة ، منشورات دار الآداب ، ط١ ، ١٩٧٠م ، ص ١٥٠

(٢) انظر : اتجاهات الرواية المصرية بعد الثورة ، المجلة ، السنة ٩ ، العدد ١٠٣ ، تموز ١٩٦٥م ص ١٠٩ ، ١١٠

(٣) انظر : مجلة الرسالة ، السنة ٢١ ، العدد ١٠٥٩ ، ابريل (نيسان) ١٩٦٤م ، ص ٢٢ . وقد ورد قوله هذا معلقا على حديث نوفل نور حول عدم اهتمام النقاد بأدب الشباب ، وتركيزهم على الأدباء المشهورين فقط .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القسم الثالث فيضم عددا من الأبحاث النقدية التي حاول أصحابها من خلالها دراسة بعض روايات نجيب بموضوعية إلى حد كبير ، فأشاروا إلى ايجابياتها ، ونبهوا إلى سلبياتها . ويشمل هذا القسم دراسة الدكتور محمد حسن عبدالله لرواية (الربيع العاصف) ، ودراسة الدكتور عبد العزيز الدسوقي لرواية (رحلة إلى الله) ، ودراسة الدكتور أحمد الهواري لرواية (اليوم الموعود) .

من كل ما سبق يتضح أن عدم قيام دراسة علمية متكاملة لروايات نجيب الكيلاني، هو السبب الرئيسي والدافع الحقيقي للقيام بهذه الدراسة ، التي حاولت من خلالها التعرف والوقوف على أهم القضايا التي تضمنتها هذه الروايات شكلا ومضمونا ، ثم القيام بمحاولة لتحديد موقعها من مسيرة الرواية العربية في مصر، على الرغم من بعض الصعوبات التي قد تعترضني في دراستي هذه ، ومن أبرزها وأهمها قلة المراجع الأدبية التي تتحدث عن أعمال نجيب الروائية ، فكان عليّ أن اعتمد اعتمادا شبه كلي على نفسي في تحليل الروايات وتقييمها ، وتحديد موقعها على قدر طاقتي وجهدي .

أما منهجي في دراسة روايات نجيب فيستند أولا وقبل كل شيء إلى تقسيم هذه الروايات حسب موضوعاتها إلى ثلاثة أنواع ، هي: الرواية التاريخيه ، والرواية الاجتماعية والرواية السياسية ، وقد جعلت لكل نوع منها فصلا مستقلا ، ولهذا جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول وخاتمة :

تناولت الفصل الأول حياة نجيب الكيلاني وآثاره المختلفة ، وذلك للتعرف على مسيرته العلمية والثقافية ، وانتمائه الفكري والسياسي . وبعد ذلك تحدثت عن مؤلفات نجيب في الشعر والمسرح والقصة القصيرة والدراسات الأدبية والفكرية ، ووقفت على أهم القضايا التي أثارها نجيب في هذه المؤلفات . وقد جاء الحديث في هذا الفصل مختصرا إلى حد كبير، ليساعد على التعرف على أهم المراحل التي مر بها نجيب في حياته حتى الآن ، لتشكل تمهيدا معقولا ومناسبا للدخول إلى عالمه الروائي .

أما الفصل الثاني ، فقد خصصته للحديث عن روايات نجيب التاريخية ، فتحدثت عن أهم القضايا التي طرحتها هذه الروايات، وكان من أبرزها موضوع الجهاد الإسلامي في مواجهة الأعداء على مر العصور . وبعد ذلك حاولت القيام بتحليل هذه الروايات تحليلا موضوعيا يشمل الشكل والمضمون معا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفعلت الشيء ذاته في دراستي للفصل الثالث الذى خصصته لروايات نجيب الاجتماعية ، فوقفت على أهم القضايا والموضوعات التي تضمنتها هذه الروايات،وكان من أبرزها اهتمام نجيب الكبير بمشكلات الريف في مصر في محاولة منه لوضع حلول ممكنة لها، ثم عرضت لأهم القضايا الفنية والموضوعية التي أبرزتها هذه الروايات .

اما الفصل الرابع فقد تناولت فيه روايات نجيب السياسية ،وقد وجدت أن هذا الفصل يتضمن دراسة أربع عشرة رواية من أصل خمس وعشرين، ولهذا ليس غريبا أن يكون أكبر فصول الدراسة . وقد قسمت هذه الروايات إلى ثلاثة محاور حسب الموضوعات التي عرضتها:

المحور الأول ،ويشمل الروايات التي تناولت الواقع السياسي في مصر قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م وبعدها . أما المحور الثاني فتضمن روايتين تناولت واقع القضية الفلسطينية في أبعادها المختلفة . بينما اختص المحور الثالث بالروايات التي طرحت بعض القضايا السياسية البارزة التي يعيشها المسلمون في بعض الدول الإسلامية خارج حدود الوطن العربي ؛ بعد ذلك كله تناولت هذه الروايات بالدراسة والتحليل والتقييم في محاولة للوقوف على أهم القضايا الفنية والموضوعية التي تضمنتها .

أما بالنسبة الى تحديد موقع روايات نجيب التاريخية والاجتماعية والسياسية في مصر فانني قد حاولت ـ قدر جهدي واستطاعتي ـ القيام بمقارنة هذه الروايات بعدد من الروايات التي طرقت الموضوعات ذاتها التي تناولها نجيب في رواياته دون اللجوء إلى الاطالة ، لعلمي أن ذلك قد يخرج الدراسة عن إطارها العام ، وأن هذا التحديد قد يحتاج لدراسة علمية مستقلة . كما أحب أن أنبه إلى أن هذا التحديد ليس نهائيا وقاطعا فالباب مفتوح للدارسين لمن أراد التغيير أو الإضافة .

وأود أن أشير إلى أنني في دراستي هذه قد كنت حريصا أشد الحرص على عدم ذكر الأحكام السريعة والعامة التي تنقصها الدقة والتحليل ،إذ حاولت ـ جاهدا ـ الاستناد إلى التحليل والاستنتاج للوصول إلى أحكام محددة وواضحة،وان كان هذا لا يعني البتة أن هذه الاحكام دائما صائبة ولا يعتورها نقص أو تقصير،فذلك بعيد عن طبيعة هذه الدراسات الأدبية التي تختلف فيها الآراء بل وقد تتناقض تناقضا شديدا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما مصادري ومراجعي التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة فكانت متنوعة ومختلفة، وقد كانت روايات نجيب المختلفة هي المصدر الرئيسي لهذه الدراسة ،إذ شكلت محورها الأساسي وعمودها الفقري . أما المصادر الثانوية التي ساعدت على سد ثغرات هذه الدراسة، فهي مؤلفات نجيب الأخرى الأدبية والفكرية وغيرها، إضافة إلى ثلاث رسائل بعثها لي على فترات مختلفة ،ورسالة واحدة من زوجته ،ومن هذه المصادر أيضا شريطا تسجيل بصوت نجيب وقد تسلمتهما في نهاية ١٩٨٣م.

أما المراجع التي رجعت إليها ، فقد كان معظمها يدور حول فن الرواية بشكل عام ، ومنها أيضا المراجع التي وجدت فيها بعض الدراسات التي تناولت عددا من روايات نجيب الكيلاني ، كذلك رجعت إلى عدد من المراجع التاريخية للوقوف على الخلفية التاريخية لعدد من الروايات .

أما الخاتمة ، فكانت استعراضا لأهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة .

هذا هو موضوع الدراسة والدافع إليها ،فإن كنت قد وفقت ،فهذا فضل من الله كبير ، وإن كنت قد قصرت فإنما هي محاولة متواضعة قد يصيبها ويعتورها بعض الخطأ والتقصير ، فإن كان ذلك ،فإننا لا نعدم أجر المخطئ وما الكمال إلا لله وحده .

سهيل ياسين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الاول

نجيب الكيلاني : حياته وآثـــاره

١ـ سيـــرة حياتـــــه .

٢ـ ثقافتـه ومصادرهـا .

٣ـ آثـــــــــــاره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجيب الكيلاني : حياته وآثاره

سأحاول في هذا الفصل الكشف عن الخطوط العامة في حياة نجيب الكيلاني في مراحلها المختلفة ، والتعرف على تكوينه الثقافي ، وما صدر عنه من الآثار الأدبية والفكرية والعلمية .

١: سيرة حياته

ولد نجيب الكيلاني إبراهيم عبد اللطيف في اليوم الأول من شهر حزيران من سنة ألف وتسعمائة وإحدى وثلاثين (١٩٣١م) ، وهو أول مولود لوالديه (١) . وكانت ولادته في قرية (شرشابة) ، من أعمال المحافظة الغربية على بعد عشرين كيلو مترا من طنطا (٢) ، وتمتاز هذه القرية بخصب أراضيها وجودتها ، ويزرع فيها القطن والقمح والذرة ، وإن كان القطن أكثرها أهمية ، فهو يعتبر عماد الحياة الاقتصادية فيها (٣) .

نشأ نجيب في أسرة ذات إمكانات متواضعة ، وكانت هذه الأسرة تملك مساحة قليلة من الأرض لا تفي بحاجاتها المختلفة ، خاصة بعد أن أصبح عدد أفراد العائلة كبيرا بعد وفاة - جده لأبيه - إبراهيم ، إذ أصبحت الأسرة تضم كلا من عمه عبد الفتاح ، وجدته لأبيه ، ومباركة إحدى زوجات جدّه الأربعة ، عدا أمه وأخواته(٤) .

وكان أكثر ما يسبب للعائلة الحزن والإرباك المادي ، هو تعطل عم عبد الفتاح عن نجيب من الحمل ، فقد كان يقضي أيامه في القرية دون القيام بشيء ما لمساعدة أسرة أخيه الكيلاني ، وقد قام هذا العمّ في فترة ما ببيع حصته من الأرض، الأمر الذي اضطر والد نجيب إلى الاستدانة لشرائها منه ، حتى لا تخرج هذه الأرض من يد العائلة ، إذ أن بيعها للغرباء يعني الخزي والعار عند الفلاحين في شرشابة .

---

(١) انظر: نجيب الكيلاني ، ملامح من حياتي ، مخطوط ، ص١٤ .
(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص ٦ .
(٣) انظر: المصدر نفسه ، ص ٦ .
(٤) انظر: المصدر نفسه ، ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا نشأ نجيب نشأة متواضعة مثل كثير من أترابه في القرية، حتى أن والده "باع العجلة الوحيدة التي كان يملكها من أجل تعليم نجيب في كلية الطب" (١)

وكان والده الشيخ الكيلاني إبراهيم عبد اللطيف يثق به ثقة كبيرة ، وكانت معاملته لولده نجيب تتسم باللين واللطف . وكان أميا ، ومؤديا للفروض الدينية ، ولم يكن يستمع إلى المذياع إلا للفقرات الدينية ، التي تتألف من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، وكان لذلك أثره على نجيب في تدينه ، إذ يقول عن نفسه : ((وكنا منذ الصغر نشعر بإثم واكتئاب إذا تكاسلنا عن الصلاة ، أو ارتكبنا مخالفة تتنافى مع الآداب الدينية ....)) (٢) .

أما جدّ نجيب لأمه — الحاج عبد القادر الشافعي — ، فكان حسن السمعة، ومن كبار تجار القطن ، حافظا للقرآن ، ومن أكثر المشجعين لتعليم نجيب ، حتى أنه أرسله بنفسه إلى المدرسة الابتدائية الأميركية بسنباط قرب شرشابة ، وسجّله فيها ، بعد أن أقنع والدي نجيب بذلك ، إذ أنهما كانا يخافان من تكاليف وأعباء الدراسة ، وقد كان جده هذا متعلما ، فنراه يدرس نجيبا مسائل الحساب ، ويدربه على الخطابة . وقد توفي سنة ألف وتسعمائة وخمس وخمسين (١٩٥٥م) (٣) .

ويعتبر عمه عبد الفتاح من أكثر الأشخاص تأثيرا في شخصية نجيب وصقلها، فقد كان على حظ من العلم والثقافة ، وهو المتعلم الوحيد في أسرة والده (٤) ، إذ درس في الأزهر فترة من الزمن ، وكان يزود نجيبا بالكتب الأدبية والثقافية المختلفة ، مثل كتب المنفلوطي ، وديوان أحمد شوقي ، ومؤلفات طه حسين ، وبعض كتب التراث ، فكان المورد الأول لثقافة نجيب في فترة مبكرة من حياته . وقد رحل عمه هذا إلى القاهرة

---

(١) محمود حنفي كساب ، حوار مع مجاهد مسلم ، المكتبة القومية بطنطا ، ١٣٩٩هـ ، ص٧. وقد نشر هذا الحوار أيضا في مجلة البيان الكويتية ، عدد ١٧٤ ، أيلول ١٩٨٠ ، ص٨٠ — ٩١ .

(٢) ملامح من حياتي ، ص١٢١ .

(٣) انظر: المصدر نفسه ، ص٢٤ — ٢٥ .

(٤) انظر: نجيب الكيلاني ، مسلامح من حياتي ، ص٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعمل بوزارة الدفاع ، ولم ينس واجبه تجاه نجيب ، فكان يرسل له المال اللازم لشراء الكتب (١) ، وقد ورد في رواية (الطريق الطويل) كثير من أخبار عمه عبد الفتاح تحت اسم فريد (٢) .

ولما بلغ نجيب الرابعة من عمره ، اصطحبه جده - لأبيه - ابراهيم عبد اللطيف إلى مكتب القرية لتحفيظ القرآن الكريم ، واشترى له الأدوات المدرسية الضرورية (٣) ، وكان هذا المكتب يقوم بتحفيظ القرآن الكريم ، ويعلم الطلاب بعض المبادئ الأولية في القراءة والكتابة . وما أن بلغ السابعة من عمره حتى ألم بالقراءة والكتابة ومبادئ الحساب ، وبقدر لا بأس به من السيرة النبوية والأحاديث الشريفة ، والأناشيد الوطنية والدينية (٤) . وقد أخبرني نجيب أنه حفظ معظم القرآن الكريم في هذا المكتب (٥) .

وفي هذه السنة أيضا (١٩٣٨م) ، التحق نجيب بالمدرسة الأولية الإلزامية في شرشابة طالبا مسائيا ، لأن الفترة الصباحية كانت مخصصة للبنات ، وفي الصباح كان يذهب إلى مكتب تحفيظ القرآن ، إذ لم ينقطع عنه عند التحاقه بهذه المدرسة (٦) . وكان نجيب يدرس في المدرسة الأولية مواد الجغرافيا والعلوم والصحة والتاريخ والحساب (٧) .

---

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٢ - ٢٣ .
(٢) انظر : نجيب الكيلاني ، الطريق الطويل ، ص ٥٥ - ١٠٠ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٩٣ - ١٩٥ ، ١٩٨ - ٢٠٦ ، ٢٣٣ - ٢٣٧ ... إلخ . وقد ورد هذا الخبر في ملامح من حياتي ، ص ٢١ .
(٣) انظر : ملامح من حياتي ، ص ٢٠ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
(٥) كان ذلك في الشريط المسجل الذي أرسله للباحث في ١٨/١١/١٩٨٣م .
(٦) انظر : ملامح من حياتي ص ٨ .
(٧) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم انتقل لإكمال تعليمه في مدرسة تبشيرية تابعة للإرسالية الأمريكيـــة ، وكانت مختلطة (١) ، وتقع في قرية سنباط ، التي تبعد خمسة كيلو مترات عـــن قريته شرشابة ، وقد كانت هي المدرسة الوحيدة في تلك المنطقة ، التي تدرس اللغة الإنجليزية ، كما أنها تمنح شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، وقد أدى نجيـــب امتحانا إجباريا في الإملاء والحساب حتى يقبل في هذه المدرسة ، ونجح فـــي الامتحان ، ومن ثم تم قبوله فيها (٢) ، فكان يذهب إليها مشيا على الأقـــدام قاطعا عشرة كيلو مترات يوميا ، إذ كان يغادر شرشابة منذ طلوع الفجر ، ويعـــود عند الغـــروب (٣) .

ومن المدرسين الذين تلقى العلم على أيديهم في هذه المدرسة ، الأستـــاذ (إنجلي حنا) ، الذي كان يدرس العلوم والرياضيات ، وقد عرف بقسوته وشدتـــه في معاملة التلاميذ (٤) ، ومنهم أيضا الأستاذ (أحمد الراعي سليمان) ، مـدرس اللغة العربية والدين ، الذي كان متمكنا من هاتين المادتين ، ومطلعا على كثيـــر من قضاياهما ، وكان صديقا لجده عبدالقادر الشافعي (٥) .

وخلال دراسته في هذه المدرسة ، كان نجيب يساعد أهله في الأعمال الزراعية ، إلا أن جده عبدالقادر الشافعي نصح والده بأن يتفرغ ابنه للدراسة ، واقترح عليـــه أن يبقى أخوه أمين - الأصغر من نجيب - للعمل في الزراعة (٦) .

أرسلت مدرسة سنباط الأمريكية طلابها الذين سيتقدمون للامتحان النهائـــي للشهادة الابتدائية الى طنطا ، ومنهم نجيب نفسه ، وقد نجح في هذا الامتحـــان بتفوق ، وحصل على الترتيب الخامس في منطقة وسط الدلتا ، فاتجه تفكيره لإكمـــال تعليمه ، والتحق بالمرحلة الثانوية التي تبلغ سنوات الدراسة فيها خمس سنـــوات

---

(١) انظر : ملامح من حياتي ، ص ٣٦ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٨ - ٢٩ . وورد ذلك أيضا في الشريط المسجل .
(٣) انظر : ملامح من حياتي ، ص ٣٠ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ٣٢ .
(٥) انظر : المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
(٦) انظر : المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ لا يوجد في تلك الفترة مرحلة إعدادية (١).

عزم نجيب على الرحيل إلى أقرب منطقة لقريته فيها مدرسة ثانوية، فكانت مدرسة (كشك) الثانوية في مدينة زفتي أقربها. وقد قام والده الشيخ الكيلاني بنصحه وتشجيعه على إكمال الدراسة الثانوية، على الرغم من قلة موارده الاقتصادية، إذ أن الحالة الاقتصادية للعائلة كانت صعبة إلى حد كبير، وقد تركت بصماتها في نفسيته، خلال التحاقه بهذه المدرسة، حيث يقول: "وكنت آخذ نصف ساندوتش فول وطعمية، بنصف قرش مرتين أسبوعيا، ثم أتجنب النظر إلى القدر النحاسي في باقي الأيام." (٢)

استأجر نجيب مع بعض أصحابه غرفة صغيرة متواضعة في مدينة (زفتي)، وكان يدفع مقابل ذلك بضعة قروش شهريا، وفي نهاية الأسبوع يستقل القطار الذي يوصله إلى قرية سنباط، ثم يكمل سفره لشرشابة مشيا على الأقدام، وكان يستغل فرصة هذه العطلة القصيرة ليأكل مع أهله ما لذّ من الطعام، فقد مل أكل الجبن والخبز في زفتي (٣).

قضى نجيب في مدينة زفتي شهرين، وعزم على طلب النقل إلى مدرسة ثانوية في طنطا، لشعوره بغربة ضاقت بها نفسه، لابتعاده عن أصحابه التلاميذ الذين انتقلوا إلى طنطا (٤). وتم الأمر له، فرحل إليها، حيث قبل في المدرسة الزراعية، لعدم توافر مكان له في صفوف الأول ثانوي في مدارسها، فعرض عليه خاله إبراهيم الشافعي أن يدرس فيها مؤقتا لحين تحويله إلى مدرسة أخرى (٥). وانتظم في المدرسة الزراعية، وتفوق في دراسته، ثم انتقل منها إلى مدرسة غير زراعية، وهي مدرسة (طنطا الثانوية الجديدة) (٦). وخلال دراسته (للتوجيهية)

---

(١) انظر: ملامح من حياتي، ص ٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٢ - ٨٣.
(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٧.
(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٦.
(٦) انظر: ملامح من حياتي ص ٩١. وورد ذلك أيضا في الشريط المسجل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العامة) ، عرضت مسابقة للمواد العلمية والأدبية ، المختلفة على مستوى المملكة آنذاك سنة (١٩٥٠م) ، فتقدم نجيب لهذه المسابقة ضمن (شعبة اللغة العربية) ، وكان معه أربعة عشر تلميذا ، فلم ينجح منهم أحد إلا هو ، الذي استطاع اجتياز الامتحان التحريري المعدّ للمسابقة ، فأرسل إلى القاهرة ليكمل الامتحان الشفوي ، وكان أحمد أمين وعميد دار العلوم في تلك الفترة سموءلين عن إجراء هذا الامتحان ، ونجح فيه أيضا ، وكان ترتيبه الثاني على المملكة ، وأعطي جائزة مالية لفوزه . وقد كانت مواد هذا الامتحان تتألف من ديوان المتنبي مشروحا ، وقصة (هاتف من الأندلس) لعلي الجارم ، (وحديث الأربعاء) لطه حسين (١) .

لم تمنعه الدراسة في طنطا من الاهتمام بالأمور العاطفية في مرحلة شبابه هذه ، فتعلق قلبه بفتاة لها من العمر ستة عشرة سنة ، إلا أن حبه لها انتهى بالفشل ، حين أشيع عنها أن لها علاقة آثمة مع أحد الشباب ، فلم يصدق في بداية الأمر ، حتى تأكد من ذلك ففارقها ، ورحل عن المنطقة كلها التي كان يسكن فيها ، لينسى تلك الذكريات الجميلة مع تلك الفتاة (٢) ، وقد أدرك نجيب فيما بعد " أنها تجربة طائشة ، لا معنى لها ولا هدف . " (٤)

تقدم نجيب إلى امتحان الثانوية العامة في طنطا ، ونجح فيه ، وحصل على مجموع عال من العلامات أهله لدخول كلية الطب في جامعة فؤاد الأول (القصر العيني حاليا) في القاهرة سنة (١٩٥١م) (٤) .

وخلال إقامة نجيب في طنطا ، حصل تحول خطير وحاسم غير مجرى حياته فكريا وسياسيا ، وكان لهذا التحول أثر كبير على مسار حياته في المراحل اللاحقة ،

---

(١) انظر : رحلتي مع الأدب الاسلامي ، مخطوط ، ص ٧ .
(٢) انظر : ملامح من حياتي ص ١١٨ - ١٢٠ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .
(٤) ورد ذلك في الشريط المسجل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ أخذ يتردد على نادي الإخوان المسلمين في هذه المدينة ، وكان ذلك في المرحلة الأخيرة من دراسته الثانوية ، وكان يستمع إلى المحاضرات الثقافية المختلفة ، التي كانت تتناول القضايا السياسية والفكرية والأدبية ، ولكنه كان متردداً في الدخول في عضوية الجماعة ، لأن عائلته كانت تناصر حزب الوفد وتدعمه ، وجماعة الإخوان المسلمين في تلك الفترة في نزاع وخصام معه ، والخروج عن رأي الأسرة في الانتماء السياسي يعني المروق والفساد (١) ، خاصة إذا علم أن أحد أخواله كان سكرتيراً لزعيم الحزب مصطفى النحاس ، وله مكانة كبيرة في الحزب (٢) .

لم يمنع نجيبا انتماء أسرته السياسي لحزب الوفد من استمراره في التردد على نادى الإخوان المسلمين ، فكان يطلع على نشرات الجماعة ومجلاتها ، التي كانت توضع تحت تصرف الرواد (٣) ، ثم بدأ بكتابة الشعر لأول مرة من خلال مجلة الجماعة ، فكتب قصيدته (النور بين أيادينا) سنة ألف وتسعمائة وثمان وأربعين (١٩٤٨م) ، وتناول فيها أحداث القضية الفلسطينية ، وما كان يحدث على أرض فلسطين من صراع عنيف بين اليهود والعرب الفلسطينيين ، ويقول فيها :

قف دامع العين وانع هيئة الأمم في أفق باريس مهد الرقص والنغم
واندب حظوظ دويلات قد اغتصبت وأصبحت مرتعا للذل والألم (٤)

وفي سنة ألف وتسعمائة وثمان وأربعين (١٩٤٨م) ، وخلال اضطراب العلاقات بين حكومة الملك فاروق وجماعة الإخوان المسلمين ، بسبب اغتيال المرشد العام للجماعة حسن البنا ، انضم نجيب إلى الجماعة رسمياً في أحلك ظروفها على الساحة المصرية ، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة (١٧ سنة) ، وأصبح يتابع باهتمام بالغ كل ما يمت إلى الجماعة بصلة ، فأخذ يقرأ منشوراتها

---

(١) انظر : ملامح من حياتي ، ص ٩٥ ـ ٩٦
(٢) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ١٥ .
(٣) انظر : ملامح من حياتي ، ص ٩٥ .
(٤) رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ١٤ ، وورد الحديث عن القصيدة في ملامح من حياتي ، ص ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتبها ومجلاتها ،خاصة مجلة (الإخوان المسلمون) ، الأسبوعية (١) ،وكان ابن عم والدته الحاج محمد الشافعي يزوده بأخبار الجماعة عن طريق منشوراتها في فترة وجوده في شرشابة ،ثم يعيدها إليه بعد الانتهاء من قراءتها، وكان نجيب ملازما له ، ومؤيدا لمواقفه الحازمة في مواجهة بعض البدع والخرافات المنتشرة في شرشابة مثل زيارة الأضرحة للتبرك بها ، وكذلك هجومه الشديد على المرابين الذين يمتصون دماء الفلاحين ، وقد توفي قريبه هذا سنة ألف وتسعمائة واثنتين وثمانين (١٩٨٢)(٢) .

بعد أن أنهى نجيب دراسته الثانوية في طنطا ،سافر إلى القاهرة للالتحاق بكلية الطب في جامعة فؤاد الأول (القصر العيني) ، وفعلا بدأ الدراسة فيها في العام الجامعي (١٩٥١م) (٣) ،إلا أنه كان متأثرا من مشاهدة الجثث عند تشريحها ،فعزم على ترك كليته والالتحاق بكلية الحقوق ، ولكن مدرسيه في كلية الطب أقنعوه بضرورة مواصلة الدراسة ،وتم ذلك فعلا ،(٤) وكان والده الكيلاني في شرشابة يبيع نصف محصوله ويرسله له للإنفاق على المصاريف الدراسية (٥) .

لم تمنع الدراسة الجامعية نجيبا من الاهتمام بالقضايا السياسية ،خاصة أنه عضو رسمي في جماعة (الإخوان المسلمين) في فرع التنظيمات الجامعية ،فقد دعي للاشتراك في معسكر للتدريب على السلاح في الجامعة نفسها سنة (١٩٥١م) ، إبان مطالبة المصريين بإلغاء اتفاقية الجلاء مع البريطانيين الموقعة سنة(١٩٣٦م)، وكان معسكر الجامعة يضم طلابا من مختلف التنظيمات السياسية في الساحة المصرية ، إلا أن نسبة كبيرة منهم كانوا ينتمون إلى (الإخوان المسلمين) (٦) .

وفي سنة ألف وتسعمائة وخمس وخمسين (١٩٥٥م) ، حين كان طالبا في السنة الرابعة فوجئ في صبيحة أحد الأيام باعتقاله من قبل البوليس المصري ، وكانت التهمة

---

(١) انظر : محمود حنفي كساب ، حوار مع مجاهد مسلم ،ص ٢٢ ،وانظر: ملامح من حياتي ،ص ٩٨ - ٩٩ .
(٢) انظر : ملامح من حياتي ،ص ٩٩ - ١٠١ .
(٣) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ،ص ١٧ .
(٤) أخبرتني بذلك زوجته في رسالة بتاريخ ١٨/٥/١٩٨٣ .
(٥) انظر : ملامح من حياتي ،ص ٥٧ .
(٦) انظر: رحلتي مع الأدب الإسلامي ص ١٧ ، وأخبرني بذلك في الشريط المسجل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموجهة إليه العمل في الجهاز العالي لجماعة (الإخوان المسلمين) (١) . ثم حوكم أمام محكمة مجلس الشعب في جلسة سرية في السنة نفسها ، وصدر الحكم عليه بالسجن عشر سنوات (٢) . وقد تنقل نجيب في فترة اعتقاله بين سجون عديدة ، حيث كان نزيلا في السجن الحربي بالقاهرة ، ثم نقل إلى سجن أسيوط ، وبعده إلى سجن القناطر الخيرية ، ثم سجن القاهرة (٣) ، حيث أفرج عنه وهو نزيل فيه بعد ثلاث سنوات وبضعة شهور ، وبالتحديد في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) لسنة ١٩٥٨م (٤) .

بعد الإفراج عنه ، توجه نجيب مباشرة إلى الشيخ محمود شاهين ، الحاصل على الشهادة العالمية من الأزهر ، وهو من قرية شرشابة ، وكان نجيب يزوره مرتين أسبوعيا ، فيتلقى على يديه علوم الدين والفقه حتى تم اعتقاله سنة ١٩٥٥م . وطلب نجيب منه بإصرار الزواج من ابنته كريمه ، وتم ذلك سنه ١٩٥٩م ، وكانت الفتاة تحمل شهادة الثانوية العامة ، ثم اتفقت مع زوجها نجيب على إتمام دراستها في حقل الخدمة الاجتماعية في النظام المسائي ؛ حتى تستطيع التوفيق بين شؤون البيت والدراسة (٥) . أما نجيب فانصرف لإكمال دراسته الجامعية المتبقية عليه ، فالتحق فيها مباشرة بعد الإفراج عنه ، وتخرج من كلية الطب في ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٦٠م (٦) .

بعد التخرج انتقل نجيب إلى الحياة العملية ، فعين طبيبا في مستشفى (أم المصريين) بالجيزة لمدة سنة واحدة ، انتقل بعدها إلى قريته شرشابة ، فعمل

---

(١) أخبرتني بذلك زوجته السيدة كريمة شاهين في رسالتها المؤرخة في ١٨/٥/٨٣ ، وورد ذلك أيضا في الشريط المسجل ، ورحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ١٨ .

(٢) انظر : مجلة الشهاب اللبنانية ، السنة ٥ ، العدد ٩ ، الأول من آب سنة ١٩٧١م ص ٩ . وانظر : محمود حنفي كساب ، حوار مع مجاهد مسلم ص ٧٠ . ورحلتي مع الأدب الإسلامي ص ١٨ .

(٣) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ١٨ . وورد ذلك أيضا في الشريط المسجل .

(٤) ورد ذلك في رسالة زوجة نجيب في ١٨/٥/١٩٨٣ . وانظر : مقدمة مسرحية (على أسوار دمشق) لنجيب ، ص ٣ .

(٥) ورد ذلك في رسالة زوجته في ١٨/٥/١٩٨٣م .

(٦) ورد ذلك في رسالة نجيب المؤرخة في ١٨/٤/١٩٨٤ .

٢٩٧١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في وحدتها المجمعة أكثر من سنة ،ثم نقل الى مستشفى السكة الحديدية ،وبعدها عين رئيسا للقسم الطبي بالمدينة السكنية في (أبو زعبل) ،وبقي فيها حتى تم اعتقاله للمرة الثانية سنة ١٩٦٥م(١) .

اعتقل نجيب للمرة الثانية في قضية سيد قطب ،ومكث في السجن أكثر من سنة بقليل ، وأفرج عنه في أواخر ألف وتسعمائة وست وستين (١٩٦٦م)(٢) ، وقد كانت فترة اعتقاله هذه المرة أشق على نفسه وأصعب من اعتقاله في المرة الأولى ، لأنه كان قلقا على مصير زوجته وأولاده .(٣)

بعد أن اطلق سراح نجيب من السجن سنة (١٩٦٦م) ،فكر بالخروج من مصر إلى إحدى دول الخليج العربي ،وقد شجعته زوجته على ذلك ،فقرر السفر من مصر مع أسرته ،وكان ذلك سنة ألف وتسعمائة وثمان وستين (١٩٦٨م) ، حيث عمل طبيبا عاما بالمستشفى الكويتي بدبي ، ثم عين مسؤولا عن مستشفى الأمراض الصدرية بالإضافة إلى عمله كرئيس لقسم التثقيف الصحي ، ثم تفرغ في سنة ١٩٧٦ للعمل في التثقيف الصحي فقط ، وبدأ يشارك كعضو في وفد دولة الإمارات الصحي في مؤتمرات وزراء الصحة العرب (٤) .

ولنجيب أربعة أبناء هم : حسام الدين ، وعزّة ،وجلال الدين ومحمود (٥) .

---

(١) أعلمني بذلك نجيب في رسالته المؤرخة في ١٩٨٤/١٢/١٢ .
(٢) أخبرني بذلك نجيب في رسالته المؤرخة في ١٩٨٣/١٢/٢٩ .
(٣) ورد ذلك في رسالة زوجته المؤرخة في ١٩٨٣/٥/١٨م .
(٤) ورد ذلك في رسالة من نجيب في ١٩٨٤/١٢/١٢ .
(٥) ورد ذلك في رسالة من نجيب في ١٩٨٤/١٢/١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- ثقافته ومصادرها

يمكن القول إن ثقافة نجيب الكيلاني متنوعة المصادر ، فقد استند إلى ثقافة إسلامية شاملة في الفقه والتفسير والسيرة ، عدا كونه حافظا لمعظم القرآن الكريم ، ودرس الأدب العربي في عصوره المختلفة ، كما أنه لم يغفل عن التزود بالثقافة الأجنبية ، خاصة ما يتعلق منها بالأدب ، إذ اطلع على بعض روائع الأدب الروسي والإنجليزي .

وتقسم مصادر ثقافته إلى مصدرين أساسيين هما :

أ- الثقافة الإسلامية .

ب- الثقافة الأدبية العربية والاجنبية .

أ- الثقافة الاسلامية :

كان للبيئة التي عاشها نجيب في شرشابة أثر بيّن في ثقافته ، حيث تربى ونشأ في ظل أسرة متدينة ، تلتزم بتعاليم الإسلام ، خاصة فيما يتعلق بأداء الفروض الدينية (١) ، كما كان نجيب يرتاد - وهو طفل في القرية - حلقات الذكر في المناسبات الدينية ، مثل عيد المولد النبوي الشريف ، وكان يستمع إلى المدائح النبوية ، والأشعار الدينية المتصلة بهذه المناسبات ، وقد حفظ نجيب كثيرا من هذه الأشعار والأهازيج (٢) ، كما تعلم خلال وجوده في مكتب القرية قصص السيرة والأحاديث ، وحفظ القرآن ، والأناشيد الدينية المختلفة . (٣)

وكان نجيب يستغل فترة وجود بعض المثقفين من شباب القرية ممن يدرسون في الأزهر للتزود من أحاديثهم الثقافية ، التي كان معظمها يتناول موضوعات في السيرة والأحاديث النبوية والتفسير ، وكانت هذه الدروس تلقى في مساجد القرية في المناسبات

---

(١) انظر : ملامح من حياتي ، مخطوط ، ص ٤١ ، ٦٠ ، ١٢١ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١١ - ١٢ وانظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ص ٥ .
(٣) أخبرني ذلك في الشريط المسجل ، وانظر أيضا : ملامح من حياتي ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسية والدينية المختلفة ، وإن كان اقبال الفلاحين عليها ليس كبيرا ، كما هي العادة في احتفالات الموالد والأولياء الصالحين (١) .

مال نجيب منذ الصغر إلى رجال الصوفية ، وكان متأثرا بهم إلى حد بعيد ، فلا غرابة أن نجد عددا لا بأس به من رواياته تتأثر بأقوال مشايخ الصوفية ، وصالها من أثر في مجتمع القرية والريف بشكل عام ، وقد وكله شيخ الطريقة الأحمدية في شرشابة الشيخ محمود المداح بكتابة الرسائل والخطب لإرسالها إلى أصحابه في المناطق المختلفة (٢) ، وكان نجيب ملازما له ، وحاضرا لمجالس الذكر عنده .

وعندما غادر نجيب شرشابة إلى طنطا لإكمال تعليمه ، حدث تحول كبير على ثقافته وفكره إذ دخل جماعة (الإخوان المسلمين) كما سبق أن ذكرنا ، والتزم بمبادئها وأسسها السياسية والدينية والفكرية ، وكان ذلك وعمره سبع عشره سنة (١٧ سنة) ، فتوسعت آفاق الثقافة الإسلامية عنده ، وأخذ يقرأ مجلات الجماعة ومنشوراتها ، التي كانت تتناول القضايا المختلفة ، وقد كان يقرأ لعدد من المفكرين المسلمين ، ومنهم مرشد الجماعة حسن البنا ، ومحمد الغزالي وغيرهما (٣) .

وعند انتقال نجيب إلى القاهرة لدراسة الطب ، التقى بالشيخ محمود شاهين الذي أخذ على عاتقه تثقيف نجيب ، فبدأ يزوده بثقافة إسلامية هامة في الفقه والتفسير وغيرهما ، حتى أن نجيبا يعتبره الأب الروحي له كما تقول زوجته (٤) .

وكان اعتقاله وسجنه سنة (١٩٥٥م) من أكثر الفرص التي استغلها لتعميق دراساته الإسلامية ، منتهزا الوقت الممل الذي كان يعيشه ، فانكب على الكتب الدينية المختلفة ، قديمها وحديثها ، واطلع على بعض كتب السلف في التفسير والأحكام

---

(١) انظر : ملامح من حياتي ، ص ١٣ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
(٣) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٨ .
(٤) في رسالتها المؤرخة في ١٨/٥/١٩٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفقه ، كما درس فلسفة الشاعر المسلم الباكستاني محمد إقبال ، وتأثر بفكره وتصوراته الإسلامية للقضايا المختلفة (١) .

من كل ما سبق يمكن حصر العوامل التي ساعدت على تكوين ثقافته الاسلامية وهي كما يلي :

١ . بيئته أسرته وبيئة القرية بشكل عام .

٢ . دخوله وانتماؤه لجماعة (الإخوان المسلمين) ، وما ترتب على ذلك من اعتقاله وسجنه .

٣ - ملازمة نجيب للشيخ محمود شاهين والد زوجته .

ب - ثقافة نجيب الأدبية العربية والأجنبية :

تفتحت عينا نجيب الكيلاني على الأدب في فترة مبكرة من حياته ، إذ كان وهو طفل يتابع باهتمام وشغف الشعر الذي يتحدث عن السير الشعبية العربية مثل : سيرتي : الزير سالم ، وأبو زيد الهلالي ، وذلك عن طريق شاعر الربابة في شرشابة (٢) .

وعند حلول عطلة المدرسة الصيفية كان نجيب يستغل وجود بعض الطلاب الذين يدرسون في المعاهد المختلفة ، ومنهم الطالب محمد أحمد حسب الله الذي كان أكثرهم معرفة وعلما ، وقد درس نجيبا أجزاءً من كتب وحي القلم ، لمصطفى صادق الرافعي ، وقادة الفكر ، لعباس محمود العقاد ، وقسما من شعر المتنبي والمعري (٣) .

ومن الشخصيات التي أثرت ثقافة نجيب الأدبية عمه عبد الفتاح إبراهيم ، الذي كان يزوده بكتب الرافعي والمنفلوطي ، وديوان شوقي ، ومؤلفات لطه حسين ، وبعض كتب التراث ، وكان عمه هذا يساعده في شرح وتوضيح ما يصعب من هذه المؤلفات فكان مصدرا هاما من موارد ثقافته الأدبية (٤) .

---

(١) أخبرني بذلك في الشريط المسجل ، وانظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٣٣-٣٦ .
(٢) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٥ .
(٣) انظر : ملامح من حياتي ، ص ٤٤ - ٤٥ .
(٤) انظر : ملامح من حياتي ، ص ٢٢ - ٢٣ ، وأخبرني أيضا في الشريط المسجل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند رحيل نجيب إلى طنطا ،أخذ يتردد كثيرا على المكتبة العامة فيها ، ويقرأ بعض كتب التراث ، كما كان أحيانا يشتري بعض الكتب ،إلا أنه في معظم الأحوال كان يشترك مع زملائه الطلاب في شراء بعض الكتب والمجلات كالهلال وغيرها ، نظرا لصعوبة وضعه المادي (١) ،وكان يحرص كثيرا على متابعة مجلتي (الرسالة) لأحمد حسن الزيات (والمختار) الأمريكية المترجمة للعربية ،وقد تعرف من خلال المجلات الأدبيه على عدد من الأدباء مثل : العقاد وطه حسين والمازني ،وعلي الجارم ، ومحمد سعيد العريان وغيرهم (٢) . ولم يقف ، الأمر عند حدود هذه المجلات ، بل تعداها إلى متابعته لما يصدر من الدوريات المختلفة مثل : سلسلة أقرأ،وكتب للجميع ،والكتاب الفضي ،والكتاب الذهبي (٣) .

كما استغل فرصة وجود المسابقات الثقافية في نهاية المرحلة الثانوية ،فدرس ديوان المتنبي مشروحا ، ورواية هاتف من الأندلس لعلي الجارم ،وحديث الأربعاء لطه حسين ،واليوم خمر لمحمود تيمور (٤) . وقد ضاق وقته خلال دراسته في كلية الطب إذ أن المقررات الدراسية للكلية الطب قد استحوذت على اهتمامه ، ولهذا ضعفت قراءاته الأدبية بشكل واضح حتى تم اعتقاله ،فاستغل فترة الفراغ الطويل في السجن ليقرأ ديوان ضرب الكليم للشاعر محمد إقبال ، الذى ترجمه عبد الوهاب عزام (٥) . كما قرأ كتاب (النقد الأدبي ومذاهبه) لمحمد مندور (٦) ، وروايات نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبدالله (٧) .

---

(١) انظر : ملامح من حياتي ،ص ٤٥ ،واخبرني بذلك في الشريط المسجل .
(٢) انظر : ملامح من حياتي ،ص ١٢٥ ، واخبرني بذلك في الشريط المسجل .
(٣) انظر : ملامح من حياتي ،ص ١٢٩ .
(٤) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ،ص ٧ .
(٥) انظر : المصدر نفسه ،ص ٣٤ .
(٦) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ،ص ١٩ .
(٧) انظر : حوار مع مجاهد مسلم ،ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرص نجيب على الاطلاع على ما يستجد من قضايا على الساحة الأدبية في مصر ، فحظي بلقاء عدد من الأدباء ، ومنهم نجيب محفوظ ، إذ ارتبط معه بصداقة شخصية قوية ، وكان يلتقي معه في ندوة (الحرافيش) ، وفي بعض الأماكن الأخرى التي كان يتردد عليها نجيب محفوظ ،(١) وقد قدم نجيب الكيلاني بعض أعماله الروائية لنجيب محفوظ ، ومنها روايته (ليل العبيد) ، فأشار عليه نجيب محفوظ بأن يحاول تقديمها للإنتاج السينمائي ، وقد تم ذلك فعلا ، وعرضت في فيلم سينمائي خارج مصر ، بسبب ما يتضمنه من موقف سياسي مناوئ للثورة المصرية وسياستها في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وأطلق على هذا الفيلم اسم (ليل وقضبان) (٢) .

ومن الأدباء الذين التقى بهم أيضا عباس محمود العقاد ، إذ تردد نجيب على ندوته الأسبوعية في أيام الجمع ، التي كانت تعقد في منزله ، وقد حظيت عبقرياته ودراساته الإسلامية باهتمام نجيب ، لما فيها من عمق وتحليل دقيق . (٣)

كما ارتبط نجيب بصداقة حميمة مع علي أحمد باكثير ، وقد قضيا معا ذات مرة ثلاثة أيام في مدينة المنصورة ، لتسلم جوائز من الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ، وذلك ضمن مسابقة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، إذ نال نجيب جائزة الرواية التاريخية عن روايته (اليوم الموعود) . وأما باكثير فقد نال جائزة على مسرحيته (دار ابن لقمان) (٤) . وفي سنة ألف وتسعمائة واثنتين وستين (١٩٦٢م) ، اشترك كل من نجيب وباكثير ضمن وفد كبير من الأدباء والمفكرين والإعلاميين في زيارة لمخيمات اللاجئين في قطاع غزة ، للاطلاع على أحوالهم عن كثب ، والتعرف على مشكلاتهم وأوضاعهم المختلفة (٥) كما واستفاد نجيب كثيرا من الثقافة الأدبية في القصة والمسرح ، وذلك من خلال لقاءات له مع الأديب محمود تيمور في أواخر حياته (٦) .

---

(١) انظر : حوار مع مجاهد مسلم ، ص ٣٨ - ٣٩ .
(٢) أخرج الفيلم أشرف فهمي ، وعرض في بداية السبعينات ، وحصل على جائزة من جان طشقند الدولي للسنة ١٩٧٢ - ١٩٧٣ . وورد ذلك في رسالة نجيب المؤرخة في ١٢/١٢/١٩٨٤ .
(٣) انظر : ملامح من حياتي ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
(٤) انظر : نجيب الكيلاني ، نحن والإسلام ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
(٥) انظر : نحن والإسلام ص ١٢٤ - ١٢٥ .
(٦) انظر : ملامح من حياتي ، ص ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يقف نجيب عند هذا الحدّ في التزود من الثقافة الأدبية بمصادرها المختلفة ، واتجاهاتها المتباينة ، فشارك بصورة فعالة في بعض الجمعيات والنوادى الأدبية ، ومنها : (نادى القصة) ،و (اتحاد الكتّاب) ،و (رابطة الأدب الحديث) (١) . كما كان أحد ممثلي الوفد المصري في مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا في مطلع الستينات (٢) .

وامتدادا لهذا النشاط الثقافي والأدبي ، شارك نجيب في الفترة الأخيرة في مؤتمر حول الأدب الإسلامي أقيم في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة (١٩٨١م) وقدّم بحثا حول هذا الأدب . كذلك شارك في الندوة التي أقيمت إلى جانب المؤتمر وحث المؤتمرين على ضرورة دعم وتشجيع الأدب الإسلامي بفنونه المختلفة من الشعر والقصة والمسرح ، وهذا أمر ملح وضروري ؛ إذ أن الساحة الأدبية تغصّ بالمذاهب الأدبية المختلفة ، إلا أنه نبّه الى ضرورة عدم اللجوء الى الوعظ والنصح المباشر (٣) .

وحرصا من نجيب الكيلا ني على ضرورة متابعة القضايا الأدبية في العالم اهتم بآداب الأمم الأخرى ، فقرأ من الأدب الروسي روايات : ويستدفسكي وتولستدى ومكسيم جوركي ، ومن الأدب الغربي : قرأ لاكسندر ديماس ولإميل زولا (٤) ، ولجان بول سادتر (٥) .

---

(١) أخبرني بذلك في الشريط المسجل .
(٢) أخبرني بذلك في رسالته المؤرخة في ١٩٨٣/١٢/٢٩م ،

(٣) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ،ص ٧٩ - ٨٠ .
(٤) انظر : محمود كساب ،حوار مع مجاهد مسلم ،ص ٣٢ - ٣٣ .
(٥) ورد ذلك في الشريط المسجل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ : آثـــــاره

إن المتتبع لآثار نجيب الكيلاني يلاحظ ما يلي :

١ . غزارة انتاجه ، فعدد مؤلفاته يربو على خمسين مؤلفا .

٢ . تنوعه ، فقد ألف في فنون الأدب المختلفة ، فله عدة دواوين شعرية ، وعدد كبير من الروايات ، كما أن له مجموعات عدة في القصة القصيرة ، ومسرحية واحدة ، إلى جانب بعض الدراسات الأدبية والنقدية والفكرية والاجتماعية والطبية .

وسأحاول في هذا الصفحات القليلة أن أتناول هذه الآثار مع التركيز على القضايا العامة فيها ، دون اللجوء إلى مناقشة الجزئيات الكثيرة المبثوثة فيها ؛ لأن ذلك يخرج البحث عن إطاره وغايته ، فالمهم هو التعرف على الخلفية الفكرية والثقافية التي يتمتع بها نجيب ، ومدى انعكاسها على أعماله الروائية المختلفة التي تقوم عليها هذه الدراسة .

أ ـ الشعـــــر :

بدأت مسيرة نجيب الأدبية شعرا ، ثم ما لبث أن ركز جهوده على الرواية ، وإن كان هذا لم يمنع أن يستمر في نظم الشعر . وقد اشتهر بكونه روائيا أكثر منه شاعر ، وقد بدأ نظمه للشعر في مرحلة مبكرة من عمره ، إذ كتب أول قصيدة له حين كان في السابعة عشر من عمره سنه (١٩٤٨م) ، عندما كان طالبا في المرحلة الثانوية في طنطا ، ثم تابع نظم القصائد المختلفة ، حتى جمعها في ديوان صغير سماه (نحو العلا) ، وكان ذلك في سنه ألف وتسعمائة وثمان وأربعين (١٩٤٨م) ، ونشره على حسابه الخاص مع تقديم له من أستاذ اللغة العربية في مدرسة طنطا الثانوية ،(١) إلا أن نجيبا لم يقم بنشره مرة أخرى ، ويبدو أنه لا يعتبره ديوان شعر ، بقدر ما هو مجموعة خواطر قيلت في مناسبات معينة ، وغلبت عليها النغمة الخطابية والحماسية (٢) .

---

(١) انظر : نجيب الكيلاني ، رحلتي مع الأدب الإسلامي ، مخطوط ، ص ٦ .

(٢) ورد ذلك في الشريط المسجل ، ولم يزودني بنسخة من هذا الديوان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند اعتقال نجيب سنه (١٩٥٥م) ،نظم قصائد عديدة ،غلب عليها الحزن والقلق والتوتر ،لما كان يعانيه في غياهب السجون ، وقام بنشر هذه القصائد بعد الإفراج عنه في ديوان سماه (أغاني الغربة) (١) ،وقد التزم نجيب فيه بالشكل التقليدي للقصيدة العربية .

أما ديوانه (عصر الشهداء) (٢) ،فقد مزج فيه بين الشكلين التقليدي والحديث في نظم قصائده ،وإن غلب عليه الشكل التقليدي ،وقد برر نجيب لجوءه إلى الشكل الحديث بأن الشكل متروك لاختيار الأديب ،والمهم أن يتمكن من توصيل المضمون عن طريق هذا الشكل (٣) . وقد أشاد اثنان من الدارسين بالديوان ،لما طرحه الشاعر من قضايا عربية وإسلامية مهمة ومصيرية ، ولأنه عرض معاناة الأمة من التمزق والضياع والتشرد من خلال تصور إسلامي واع(٤) .

وقد صدر لنجيب مؤخرا ديوان (كيف ألقاك) (٥) بمناسبة حلول القرن الخامس الهجري (١٤٠٠هـ) ، وقد قدم ديوانه بهذه الكلمات " إلى الأمة الاسلامية ،حاملي راية التوحيد في معركة الخلود والشرف ،أهدي هذه الكلمات في مطلع القرن الخامس عشر الهجري " .(٦) ومزج فيه أيضا الشكلين القديم والحديث .

وقد عالجت هذه الدواوين الشعرية موضوعين أساسيين وهما :

١. الموضوع السياسي .
٢. الموضوع الاجتماعي .

---

(١) أغاني الغربة ،مطابع دار الكتب ،بيروت ،ط١ ١٩٧٢ . ويضم الديوان ٢٢ قصيدة ، وتقع في ٩٢ صفحة .
(٢) عصر الشهداء ، ١٩٧١م ،دون مكان للنشر ،ويحتوي على ٢٨ قصيدة تقع في ١٠٧ صفحات عدا المقدمة .
(٣) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ،ص ٥٩ .
(٤) انظر : مقدمة الديوان ، ص٧ - ١٢ ، وقد وقع اسم الدارس تحت الرمز ع . م وانظر أيضا : محمد حسن بريغش ،في الأدب الاسلامي : دراسة وتطبيق ، مكتبة الحرمين ،ط١ ، ١٩٨٢م ، ص١٢٨ - ١٤٢ .
(٥) نجيب الكيلاني ،ديوان (كيف ألقاك) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ويضم الديوان ٢٣ قصيدة تقع في ٦٩ صفحة .
(٦) كيف ألقاك ،ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الموضوع السياسي فقد عالج فيه نجيب القضايا السياسية المختلفة في مصر والعالم العربي والإسلامي في نظرة شمولية لواقع الأمة العربية والإسلامية .

أما فيما يتعلق بوطنه مصر فقد غلب على شعره النقد الشديد للظلم ، وكبت الحريات وتشييد المعتقلات والسجون ، وهذا أمر عاناه الشاعر بنفسه ، حين انتمى لجماعة (الإخوان المسلمين) ، التي اصطدمت مع حكومة الثورة المصرية في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، فانعكست هذه المعاناة الشديدة التي عاشها على شعره ، وبرزت في نقده لسياسة الحكم إذ يقول :

الحرف أمسى مشنقه
والرأى إثم سادر
إن تبتسم .. فأنت ساخرٌ
وقبضة الجلاد قادره
إن تمتعض فذاك جرم بالغ (١)

وفي الدواوين الثلاثة قصائد أخرى تتعرض لنقد الوضع السياسي والحكم في مصر (٢) . كما تناول بعض الأحداث السياسية التي مرت بها مصر ، ومنها العدوان الثلاثي على مصر في سنة ألف وتسعمائة وست وخمسين (١٩٥٦م) ، وكان نجيب آنذاك في السجن (٣) .

وحظيت القضية الفلسطينية وما فيها من أحداث جسام باهتمام نجيب ، خاصة بما حلّ في مدينة القدس ، لما لها من مكانة في نفوس العرب والمسلمين ، فكان لها حضور كبير في دواوينه المختلفة ، فتناول أفعال اليهود الوحشية ضد الشعب الفلسطيني ، وما تعرض له هذا الشعب من نكبات ومصائب ، وهاجم بشدة تخاذل

---

(١) عصر الشهداء ، ص ٣٨ .
(٢) انظر : (أغاني الغرباء) . ص ٧ ، ١١ ـ ١٧ ، ١٩ ، ٥٤ ـ ٥٥ ، ٩٠ و(عصر الشهداء) ، ص ٣٧ - ٤٢ ، ٦٤ - ٦٥ و(كيف ألقاك) ص ٥٠ ، ص ٦٥ .
(٣) انظر : أغاني الغرباء ، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمين حكاما وشعوبا عن نصرة القضية المقدسة ، وعرّض بالقادة السياسيين الذين يريدون انتهاج السلام ، الذي يرى فيه الشاعر سرابا لا قيمة له ، لأن تاريخ اليهود معروف لكل ذى بصيرة ، ولا يجدي معهم إلا سبيل القوة ، وطالب بانتهاج هذا الطريق .

كما نبه نجيب إلى أن الاستبداد السياسي وتحكيم الأهواء من الأسباب التي أدت إلى ضياع فلسطين وغيرها من المناطق الإسلامية ، فيقول :

آفة الشرق حاكم معبود ... وشعوب تروعهن قيود
أمة تملك الكثير ولكن ... هدّها الجهل والأسى والجمود
وتطيل السجود في كل حين ... ولغير الإله ذاك السجود (١)

ولما حلت النكبات بهذه الأمة ، لم يكن الرد على مستوى الحدث ، فعمت الشكوى والصياح وفي ذلك يقول :

لم نزل نشكو ونشكو كلما ... آذنا الظلم لجأنا للنواح
رد فعل القهر في أجيالنا ... دمدمات وهتاف وصياح (٢)

ويرى نجيب أن تنكر هذه الأمة لدينها وعقيدتها من أهم الاسباب التي أدت إلى هزائمها ونكباتها فيقول :

هذه أمة الرسول تهاوت ... في فجاج من الضلال المبين
هجرت محكم الكتاب وشطت ... عن طريق الهدى ودرب اليقين
دهمتها جحافل الكفر غدرا ... وغزاها الأشرار من صهيون
ونسينا القرآن جهلا وحمقا ... ففغلنا عن جوهر مكنون
إنما النصر في ركاب رجال ... أرخصوا الروح للإله المعين (٣)

---

(١) عصر الشهداء ، ص ٩٦ .
(٢) كيف ألقاك ، ص ٣٩ .
(٣) كيف ألقاك ، ص ١٣ - ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا يرى الشاعر أن طريق إرجاع المقدسات والارض المغتصبة لا يكون الا بالسلاح فيقول :

أرض النبوة والبطولة والفدا ... كم سال في أرجائها منا الدم
إن كان منطقهم سلاحا مشرعا ... فأنا السلاح .. أنا القضاء المفحم
فليملأوا الدنيا احتجاجا صارخا ... وليهجم الأنذال أو لا يهجموا (١)

ولم يقف الأمر بالشاعر عند حدود وطنه مصر ، وأمته العربية ، بل تعدى ذلك ليتابع واقع المسلمين في الدول الإسلامية الأخرى ، فوقف على ما تعانيه من قهر وإذلال ، ومن اغتصاب للأرض والثروات ، وتقتيل وتشريد للمسلمين ، وقد كان للاحتلال الروسي لأفغانستان صدى في شعره ، حيث نشر الروس الخراب والدمار في تلك البلاد الإسلامية ، حيث يقول في قصيدته (الروس قادمون) :

لا تسألي عن الإخاء والسلام
وغصن زيتون تدلى أو حمام
(فالمنجل) المحموم يحصد الرقاب
ويذبح المحبة
وينشر الخراب
إن تبصري (المطارق)
فلتذكر البنادق
وساحة المشانق (٢)

ونسي الروس أن هذه البلاد بلاد جهاد منذ القديم ، حين كان محمود الغزنوي يجاهد فيها في سبيل الله ، ويقاوم المعتدين ، ولهذا يحمل الشاعر حاضر الأمة بماضيها المجيد ليبعث في نفوسها الأمل والنصر ، فيقول :

---

(١) كيف ألقاك ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هم يقصدون باب(خيبـــر)
ونحن نزحـم الممر بالرجال
في خيبر مليون قبـــــر
إن تسألي التاريـــــخ
يجب على الســـــؤال
"الغزنوي" صامد هنـــاك
على جـــواده
يعانـق الأفـــــــلاك
يشد من عزيمـــة المجاهدين(١)

أما الموضوع الثاني الذي تناوله نجيب الكيلاني فهو الموضوع الاجتماعي ، إذ طرح بعض القضايا الاجتماعية ، مصورا بعض الآفات التي يعاني منها المجتمع العربـــي والإسلامي ، ومنها قضية البـون الشاسع بين الطبقات الغنية والفقيرة ، وما يسببه ذلـــك من اضطراب وخلل في توازن المجتمع، فيقول معرضا بطبقة المترفين المتخمين ، التـــي يرى فيها الشيطان نفسه :

شيطان من يأكل حتى التخمـــة
يتجشـــأ
يزدرد الأقـــــراص لكي يهضم
ولكي لا تسقمـــه التخمـــــة
شيطان من يطعم خيلـــــــه
قطعـــا من سكـــر
كي تحرز قصب السبق الأكبـــر(٢)

وينتقد نجيب بشدة النفاق في مظاهره المختلفة عند الشعراء المادحيـــن للحكام ، وأجهزة الإعلام الفاسدة ، والكتاب وخطباء المساجد ، فيقول :

---

(١) كيف ألقاك ، ص ٢٨ .
(٢) كيف ألقاك ، ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر في ردهات الحكم ينتحر وأغنيات النضال الحق تحتضر
وخطبة الجمعة الغراء قد مسخت وأصبحت نشرة تلقى وتندثر
والسامعون لدى المذياع قد بهتوا لترهات لها الوجدان ينفطر
والصحف أمست على الأعتاب جاثية والكاتبون فنون الزرق ما نشروا
صلّوا بحضرة جلاد وما برحوا يتمتمون خشوعا وهو ينبهر (١)

أما موقفه من المرأة فهو يتجلى في انتقاده ومهاجمته للسلوك المنحرف والشاذ في علاقاتها مع الرجال والذي يؤدي لإيقاعهم في شباكها دون أن يكون لهم حول ولا قوة، فيصبحوا ضحايا لهذه العلاقات الآثمة، فيقول :

أبائعة الحب لا أشتري فجودي بما شئت أو قتّري
فغصنك ذاك الرطيب الوضيء ضحاياه كثر ولم تحصر
فما ذاك حب ولكنه بضاعة سوء لمن يشتري
أريد الهوى الطهر في قدسه أو المجد في أفقه الزاخر
أريد الصفاء على عهده يتيه بروئه ناظري(٢)

وقد تناول نجيب الكيلاني في دواوينه أيضا موضوعات جزئية متفرقة، منها قصائد صوفيه مثل (يابدوي) (٣)، (وصوفيات) (٤)، كما توجد له قصائد قيلت في مناسبات مختلفة مثل (عيد الأم) (٥)، و (الهجرة) (٦)، وزيارته لقبر الرسول وللأراضي المقدسة(٧).

---

(١) كيف ألقاك، ص ٩٠
(٢) أغاني الغرباء، ص ٢٥ ـ ٢٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٨ ـ ٥٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠ ـ ٤٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤ ـ ٣٩.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣١ ـ ٣٣.
(٧) عصر الشهداء، ص ٢٩ ـ ٣١، ٨٣ ـ ٨٥، ٨٦ ـ ٨٨، ٨٩ ـ ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ الروايـــــة :

كانت فترة اعتقال نجيب الكيلاني في المرة الأولى من سنة (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨م) تحولا كبيرا في حياته الأدبية ، إذ شهدت نشاطا أدبيا واسعا خاصة في العمـــل الروائي ، فقد استغل أوقات الفراغ الكثيرة في المعتقل استغلالا مناسبا في استعارة المؤلفات الأدبية والنقدية من مكتبة السجن ، حين سمح له بذلك بإذن مدير السجن ، شرط أن تخضع هذه الكتب للمراقبة والتفتيش حتى لا تكون وسيلة لإخفاء المراســلات والأشياء الممنوعــة (١) .

وخلال وجوده في السجن ، أعلنت وزارة التربية والتعليم عن إجراء مسابقات أدبية في القصة ، واشترطت الوزارة أن تعبر القصة عن كفاح الشعب المصري إبـــان الحرب العالمية الثانية حتى نهاية العدوان الثلاثي في سنة ألف وتسعمائة وســت وخمسين (١٩٥٦م) وقد رأى نجيب في ذلك فرصة ذهبية لدخول عالم القصة من أوســع أبوابه ، فكانت روايته الأولى (الطريق الطويل) التي كتبها سنة ألف وتسعمائة وست وخمسين (١٩٥٦م) ، في فترة وجوده في سجن أسيوط (٢) . وقد وضع عليها نجيــب اسما مستعارا ، وأوصى أن لا تفتح الرسالة التي وضعها بداخلها إلا بعد إعلان النتيجة ، حيث كان فيها الاسم الحقيقي ، وتم ذلك من خلال مساعدة أحد موظفي السجن (٣) . وقد فازت هذه الرواية بعد إعلان النتائج بجائزة وزارة التربية والتعليم لسنة ألــــف وتسعمائة وسبع وخمسين (١٩٥٧م) . واستمر نجيب في كتابة الرواية بعد أن حفزتـــــه هذه النتيجة على المضي قدما في هذا الطريق ، فألف الروايات التالية :

١ـ (في الظلام) : ١٩٥٨م .

٢ـ (طلائع الفجر) : ١٩٦٠م .

وقد فقدت بعض النسخ الأصلية لعدد من رواياته خلال وجوده في السجن ، نتيجة المحملات التفتيشيـة التي كان يشنها رجال الأمن والمخابرات . والروايات هي (٤) :

---

(١) انظر : رحلتي مع الأدب الاسلامي ، ص٣٤ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص٢٠ ،
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص٢١ .
(٤) ورد ذلك في الشريط المسجل . كما فقدت أيضا رواية رابعة بعنوان (عذراء القريـــة) وقد أبلغني نجيب أنه لا يملك أي نسخة منها ، وحاولت العثور عليها عن طريـــق اثنين من الزملاء يقيمان في مصر إلا أنهما لم يعثرا عليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ـ (أرض الأشـواق) ٠
٢ـ (الكأس الفارغـة) ٠
٣ـ (الرايات السـوداء) ٠

وبعد أن أفرج عن نجيب في أواخر سنة ألف وتسعمائة وثمان وخمسين(١٩٥٨م)، استمر في طريق العمل الروائي ، فألف في الفترة مابين (١٩٥٨م ـ ١٩٦٥م) ـ أى حتى اعتقاله ثانية ـ الروايات التاليـة :

١ـ (اليوم المـوعـود) ، ١٩٦٠م ٠
٢ـ (ليل الخطايـا) ، ١٩٦٠م ٠
٣ـ أرض الأنبيـاء) ، ١٩٦٠م ٠
٤ـ (رأس الشيطـان) ، ١٩٦٢م ٠
٥ ـ (الربيع العاصـف) ، ١٩٦٢م ٠
٦ـ (حمامة سـلام) ، ١٩٦٣م ٠
٧ـ (النداء الخالـد) ، ١٩٦٤م ٠
٨ـ (الذين يحترقـون) ، ١٩٦٥م ٠
٩ـ (ليل العبيـد) ، مطلع الستينات. (١)

ويلاحظ الباحث أن هذه الروايات السابقة قد عالجت الواقع المصري سياسيـا واجتماعيا وتاريخيا من خلال التزام وطني واضح ، وقد شذ عنها رواية (أرض الانبياء) التي صورت مأساة الشعب الفلسطيني إبان حرب سنة الف وتسعمائة وثمان وأربعيـن (١٩٤٨م) ، إذ عرضها من خلال التزام قومي بقضايا الأمة العربية ممثلة بالقضيـة الفلسطينية ، التي تصدرت الأحداث منذ أن وطئت أقدام اليهود أرض فلسطين ٠

وقد شهدت الفترة مابين (١٩٦٨م ـ وحتى الآن) نقلة هامة في أعمـال نجيب الروائية ، إذ تخلص من الاستبداد السياسي الذى عاشه في مصر منذ رحيلـه إلى إمارة دبي ، ويلاحظ على رواياته سيطرة المضمون الإسلامي في عرضه للقضايا الاسلامية

(١) ورد ذلك في الشريط المسجل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعاصرة وداخل الوطن العربي وخارجه ، وقد تبدّى ذلك بجلاء في رواياتـــــــه السياسية والتاريخية ، التي صدرت لنجيب في هذه المرحلة وهي :

١ـ (عمر يظهر في القدس) : ١٩٧١م.
٢ـ (دم لفطير صهيـــون) : ١٩٧١م.
٣ـ (قاتل حمـــــــزة) : ١٩٧١م.
٤ـ (ليالي تركستـــــان) : ١٩٧٢م.
٥ ـ (عـذراء جاكرتـــا) : ١٩٧٢م.
٦ـ (عالقـة الشمـــــال) : ١٩٧٢م.
٧ ـ (نور اللـــــــــه) : ١٩٧٢م.
٨ـ (رمضان حبيـــــي) : ١٩٧٤م.
٩ـ (أميرة الجبـــــل) : ١٩٧٥م .
١٠ـ (رحلة إلى اللـــه) : ١٩٧٩م.
١١ـ (مواكـــب الأحـــرار) : ١٩٨٠م.
١٢ـ (الظل الأســـــود) : كتب سنه ١٩٦٨م وصدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٨٢م.
١٣ـ (حكاية جار اللـــه) (١) : ١٩٨٥م.

وقد صدر خمس من هذه الروايات تحت عنوان (روايات إسلامية معاصـــرة)، وهي : (ليالي تركستان) و (عذراء جاكرتا) ، و (عالقة الشمال) ، و (رمضان حبيبي) و (الظل الأســـود) .

وقد ترجم عدد من رواياته نجيب الكيلاني إلى عدة لغات أجنبية مختلفة كالإيطالية والتركية ، كما قام أحد المستشرقين الروس بترجمة روايته الأولى (الطريق الطويل) إلـــى الروسية مبررا ترجمته لها بقوله : " إني أشمّ فيها رائحة الريف المصري وألمـــــس معاناته وآلامه وآماله." (٢)

---

(١) ورد قوله هذا في كتاب نجيب ، رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٠ ، وورد ذلـــك أيضا في الشريط المسجل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج ـ القصة القصيـــرة

صدر لنجيب الكيلاني ست مجموعات في القصة القصيرة ، وسأتناول الحديـــث عنها بإيجاز شديد .

١ـ العالم الضيـق (١).

٢ـ موعدنا غدا (٢) :

وقد ألفت معظم قصص هذه المجموعة خلال وجود نجيب في المعتقل سنـــة ١٩٥٥ـ ١٩٥٨م (٣) ، وتضم المجموعة ثلاث عشرة قصة ، تناولت قضايا اجتماعية فـــي مصر ، وأهمها : الخيانة الزوجية ، وإهمال الكفاءات العلمية ، وعدم تشجيع الأدبـــاء إلا بعد وفاتهم ... الخ . واستخدم نجيب في هذه المجموعة دون غيرها من المجموعات الألفاظ العامية ، خاصة في قصة (كفاءات) (٤) على الرغم من تركيزه على استعمال الفصحى في العمل الأدبي ، وهذا ما سأحاول توضيحه في إنتاجه الأدبي والنقدي في الصفحـــات القادمـــة .

٣ـ دموع الأميـر (٥) :

وقد عالجت هذه المجموعة بعض المواقف المهمة والحاسمة في التاريخ الاسلامي ، التي كان لها أثر في توجيه الأحداث ، ومن ذلك مواقف العلماء من الحكام ، والوقـــوف أمام جبروتهم وسلطاتهم ومن هؤلاء العلماء ابن تيمية ، وأبو حنيفة . كما عرضت قضـــايا الفتوح والجهاد ، والظلم الذي تعرضت له الرعية في أواخر الخلافة العثمانية ... الخ .

---

(١) ألفت بعد خروجه من السجن سنة ١٩٥٨ وقد نشرتها مكتبة النور بطرابلس الغـــرب وحاولت الحصول على نسخة منها إلا أن المؤلف أخبرني أنه لا يملك أي نسخة منها ، فأرسلت رسالة إلى مكتبة النور في شهر آذار من سنة ١٩٨٤ وأرجعت لي بعد فترة حيـــث أن صاحبها غادر طرابلس دون معرفة لعنوانه ، وقد أخبرني نجيب نفسه ان هذه المكتبة ربما قد أغلقت . وأعلمني أيضا في الشريط المسجل المجموعة تتناول قضايا السجـــون والمعتقلات وما يعانيه المعتقلون من ظروف سيئة .

(٢) نجيب الكيلاني : موعدنا غدا ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٥٩ . وقد فازت هذه المجموعة بجائزة نادي القصة ، وميدالية طه حسين الذهبية عن إحدى قصصها واسمها (شجاع) ، وتم ذلك في سنة ١٩٥٩ . وتسلم نجيب من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر جائـــزة مالية في السنة نفسها : وقد علمت ذلك في رسالته المؤرخة في ٢٩/ ١٢/ ١٩٨٣ .

(٣) انظر: رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٣٠ .

(٤) انظر: ص ٢٦ ـ ٢٩ .

(٥) نجيب الكيلاني ، دموع الامير ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٦٢م . وقد فازت بجائزة القصص الإسلامية والتاريخية القصيرة . وقد وردت هذه المجموعة تحت اسم آخر وهو: (رجال الله) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ــ عند الرحيـــل (١) :

وهي من أكبر مجموعات نجيب القصصية ، وقد عرض من خلالها كثيرا من السلبيات التي يعانيها المجتمع المصري ، ومن هذه السلبيات انتشار المخدرات ، وعمل الخادمات فـــي قصور الأغنيـاء ، وما يترتب عليه من مشكلات اجتماعية ، وكذلك شيوع ظاهرة التسول لانعدام التوازن الاقتصادي بين طبقات المجتمع ، وغيرها من هذه القضايا التي تناولها من خـــلال معايشته لهذا الواقع .

وقد ورد بعض قصص هذه المجموعة في عدد من المجلات الثقافية المصرية ، ومنهـا مجلة (القصة) (٢) ومجلة (الرسالة) (٣) .

٥ــ حكايـــات طبيـب (٤) :

وهذه المجموعة تعبر عما يمر بالطبيب خلال مزاولته لمهنته ، وربما عاش نجيـــب بعض تجاربها ، لكونه طبيبا عمل في المناطق المختلفة ، سواء كان ذلك في مصر أم في دبـــي ، وقد صيغت المجموعة بأسلوب (ضمير المتكلم) . ومن استعراض هذه المجموعة يقف القارئ على بعض مشكلات الريف، كعادات الثأر ، وتفضيل البنين على البنات ، وانحطاط مكانة المـــرأة ، وزواج البدل . أما مشاكل المدينة التي عرضتها المجموعة فأهمها : الإجهاض، ووجود العلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة ، وما يترتب عليها من مشكلات .

---

(١) نجيب الكيلاني ، عند الرحيل ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، دون تاريخ . وتضـــم المجموعة ٢٨ قصـــة .

(٢) انظر مجلة القصة : قصة (ولي الله) ، السنه الأولى ، العدد ٩ ، ١٩٦٤ ، ص٢٢ ، و(ست بنات) ، السنة الاولى ، عدد ١١ ١٩٦٤ ، ص٥٠ ، و (الدفء وليالي الشتاء) ، السنـــة الثانية ، العدد ٤ ، ١٩٦٥ ، ص٤٩ ، و (الغرباء) : السنة الاولى العدد ٥ ، ١٩٦٤ ، ص١٠١ .

(٣) انظر : مجلة الرسالة ، قصة (الإنذار) ، السنة ٢١ ، العدد ١٠٢٩ ، ١٩٦٣ ، ص٣٩ و(اليقظة) السنة ٢١ العدد ١٠٣٣ ، ١٩٦٣ ، ص ٣٩ ، و (أنين السواقي) ، السنة ٢٢ ، العدد ١٠٨٦ ، ١٩٦٤ ، ص٦٣ و (التضحية) ، السنة ٢٢ ، العدد ١٠٩٣ ، ١٩٦٤ ، ص٢٢ ، و (البحث عن منى) ، السنة ٢٢ ، العدد ١٠٧٦ ، ١٩٦٤ ، ص٦٢ ، و (السراب) ، السنة ٢١ ، العدد ١٠٣٦ ، ١٩٦٣ ، ص٣٩ ، و (الملاك) ، السنـــة ٢١ ، العدد ١٠٢٢ ، ١٩٦٣ ، ص ٦٢ .

(٤) نجيب الكيلاني : حكايات طبيب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩ . وتتضمن ٢٧ قصة وقد كتبها المؤلف في الفترة ما بين ١٩٧٣ ــ ١٩٧٨ . وأخبرت بذلك في رسالة نجيب في ١٨/ ٤/ ١٩٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ ـ فـــارس هـــوازن (١) :

تشمل هذه المجموعة عددا من القصص التاريخية والسياسية . ومن أهـــم القضايا التاريخية التي عرضتها ، معركة بدر ،وقتال المسلمين لقبيلة هوازن ، وفتـــوح بلاد فارس. ومن القضايا السياسية التي عالجتها ، قضية تعذيب المعتقلين السياسيين والتشهير بهم في وسائل الإعلام المختلفة . والملاحظ على هذه المجموعة ،أنها تضمنت قصتين ورد ذكرهما في مجموعتي (دموع الأمير) ،و (موعدنا غدا) السابقتين ،إذ وردت قصة (ابن سبيل) في مجموعة (دموع الأمير) (٢) ، بينما وردت قصة (رجال اللـــــه) في مجموعة (موعدنا غـدا) (٣)

٤ ـ المســـــرح :
==========

امتد اهتمام نجيب من الشعر وعالم القصة إلى المسرح ،إلا أنه كان مقـلا فيه ، فقد ألف مسرحيتين هما : مسرحية (حسناء بابل) ، التي فقدت خلال فتـــرة اعتقاله ، في سنة ١٩٥٥م ، وقيل لنجيب في تلك الفترة إن أحد الضباط المسؤوليـــن في السجن قد أخذها ، وذلك خلال عراك حدث مع السجناء ، وهي مسرحية تاريخية تحكي قصة (هاروت وماروت) (٤) التي وردت في القرآن الكريم .

أما المسرحية الثانية ، فهي مسرحية تاريخية أيضا ، واسمها (على أسـوار دمشق) (٥) وتتألف من خمسة فصول وقد عالجت حدثا تاريخيا هاما وحاسما في التاريـخ الإسلامي، وهو الغزو المغولي المدمر الذي تعرض له العالم الإسلامي ، فتناولـــت حصار المغول لمدينة دمشق بقيادة (قازان) ، وصمود أهلها الرائع أمام جيوشـــه الجرارة ، مع إبراز الدور الفعال الذى قام به شيخ الإسلام (ابن تيمية) ، حين وحّـد الجبهة الداخلية ، وقاوم غلاة الشيعة ، الذين كانوا يعيثون فسادا ودمارا في دمشـق ،

---

(١) نجيب الكيلاني ،فارس هوازن ، مؤسسة دار العلوم ، الكويت ، ١٩٧٩ . وتتضمن إحدى عشرة قصة.
(٢) انظر: دموع الأمير ، ص ١٠٥ ـ ١١٤ . ووردت في فارس هوازن ص٨١ ـ ٨٩ .
(٣) انظر: موعدنا غدا ، ص١٢٧ ـ ١٣٨ . ووردت في فارس هوازن ص٧١ ـ ٧٩ .
(٤) انظر: رحلتي مع الأدب الإسلامي ،ص٢٢ ، وورد ذلك أيضا في الشريط المسجل .
(٥) نجيب الكيلاني : على أسوار دمشق ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨ .
وقد ألفها خلال فترة وجوده في السجن،ونشرها بعد خروجه مباشرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويناصرون العدو المغولي ، كما بينت الرواية جهود ابن تيمية لدى المغول لمنع اقتحام المدينة ، إلا أنهم نكثوا بعهدهم له وهاجموها ، ولكنهم هزموا شر هزيمة ، فتردد اسم ابن تيمية على ألسنة المسلمين ، وأصبح ملكا غير متوج على دمشق ، وقد أظهرت أحداث المسرحية أربعة أمور وهي :

١ـ مدى الضعف والهوان الذي أصاب المسلمين أمام زحف المغـــول بوصفهم قوة لا تقهر ، وقد ترك ذلك آثارا نفسية سيئة في نفوسهم .

٢ـ الموقف الحازم الذي وقفه بعض علماء الأمة ضد المتخاذلين من الحكام الذين لا يتعدى اهتمامهم الاحتفاظ بسلطانهم ونفوذهم .

٣ـ التعاون الخفي والعلني الذي قام به غلاة الشيعة مع العدو ، وعملهم على تفكيك الجبهة الداخلية في دمشق من خلال حملة الاغتيالات لقادة الأمة ، وحملات التشهير ضد علمائها المخلصين .

٤ـ أهمية اجتماع كلمة المسلمين ممثلة في الاتحاد المتماسك بين قوى مصر والشام ، ووقوفها الرائع أمام العدو الوحشي .

ويرى نجيب أن التاريخ الإسلامي يملك رصيدا ضخما من المواقف الحاسمة المهمة التي يمكن الاستفادة منها في وقتنا الحاضر في الصراع ضد العدو والاستعمـــار الحديث (١) .

هـ ـ التراجم والسيـــر :

ألف نجيب أربعة كتب في هذا المجال ، تناول في ثلاثة منها شخصيـــات مشهورة ، والكتب هي :

١ـ شوقي في ركب الخالدين .

٢ـ إقبال الشاعر الثائـــــر .

كما نقد له كتاب ثالث عن الرافعي حياته وأدبه خلال فترة اعتقاله في المرة الأولى

---

(١) انظر : مقدمة على أسوار دمشق ، ص٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الكتاب الرابع ، فقد خصه لسيرته الذاتية وخاصة المراحل الأولى منها ، وأطلق عليه اسم (ملامح من حياتي) (١) .

وسأحاول في سطور قليلة أن أعرض هذه المؤلفات عدا كتابه المفقود المشار إليه سابقاً .

١ـ شوقي في ركب الخالدين (٢) :

تتبع المؤلف في كتابه هذا سيرة أمير الشعراء أحمد شوقي ، ومراحل حياته المختلفة ، ثم تناول شعره بالدراسة والتحليل ، وبين تأثره بالأفكار والتصورات الإسلامية ، مستشهداً ببعض الأبيات للتدليل على صحة رأيه ، وأشار أيضاً إلى ثقافة شوقي التراثية وإلى فن الشعر التمثيلي الذي استحدثه في الأدب العربي الحديث (٣) وعلى الرغم من أن شوقي قد عبر في شعره عن بعض قضايا العصر السياسية والاجتماعية والأخلاقية ، إلا أنه دون محمد إقبال في شعره الإسلامي الذي كان يصدر عن تصور شامل وعميق للإسلام (٤) .

٢ـ إقبال الشاعر الثائر (٥)

وقد كان من أسباب تأليفه لهذا الكتاب هو التعريف بالشاعر والفيلسوف

---

(١) الكتاب ما يزال مخطوطاً ، وانتهى من كتابته في ٢/ ١٠/ ١٩٨٣ .

(٢) طبع أول مرة في سنة ١٩٥٨ عن الشركة العربية للطباعة والنشر في القاهرة ، وقد فاز بجائزة التربية والتعليم (قسم الترجمة والسير) سنة ١٩٥٨ ، وهو رهن الاعتقال ولم أستطع أن أحصل على نسخة منه على الرغم من بحثي المستمر عنه ، إذ أن المؤلف نفسه لا يملك نسخة منه ، وبعثت برسالة لدار النشر المذكورة في شهر نيسان ١٩٨٤ ، ولكن للأسف لم أحصل على رد حتى هذا الوقت ، إلا أن كاتبين آخرين للمؤلف يسعفان في التعرف على هذا الكتاب وهما : (نحن والإسلام) و (الإسلامية والمذاهب الأدبية) فاستعنت بهما .

(٣) انظر : نجيب الكيلاني ، الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٩٦ ـ ٩٨ ، و(نحن والإسلام) ص١٤٠ ـ ١٤٧ .

(٤) انظر : نجيب الكيلاني ، نحن والإسلام ، ص١٤٧ .

(٥) صدر أول مرة سنه ١٩٥٩م عن الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة ، ويقع في ستة فصول ، وفاز بجائزة التربية لسنة ١٩٥٧ خلال فترة وجوده في السجن ، كما حاز أيضاً على الميدالية الذهبية المهداة من الرئيس الباكستاني ضياء الحق وذلك بمناسبة الاحتفال بذكرى إقبال المئوية سنة ١٩٧٧ ، الذي أقيم في السفارة الباكستانية في (أبو ظبي) ، انظر رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباكستاني محمد إقبال ، إذ يرى كثيرا من الناس يجهلونه ، ولا يسمعون عنه على الرغم من شهرته ، وذيوع صيته ، فهو أحد مؤسسي دولة باكستان الحديثة (١) .

وقد درس المؤلف بتفصيل بيّن حياة محمد إقبال وثقافته وفكره الإسلامي ، وخصص الجزء الأكبر من كتابه هذا للحديث عن شعر إقبال ، والقضايا التي طرحها من خلاله ، وأهمها : قضية المرأه ، ومشكلات العالم الاسلامي ، وما يتعرض له من مؤامرات دولية ، كما عرض مفهومه للفن عامه ومنه الشعر .

وقد استشهد نجيب ببعض شعر إقبال المترجم ، معتمدا على ما ترجمه عبد الوهاب عزام لديواني إقبال (ضرب الكليم) ، و (رسالة من الشرق) .

وقد تأثر نجيب بأفكار وتصورات إقبال الإسلامية ، فقد عرض في عدد من مؤلفاته المختلفة بعض أفكاره وأشعاره (٢) ، وكان تأليفه لهذا الكتاب بمثابة تعبير عن تقديره وإعجابه بإقبال ، ومدى تأثره به .

٣ـ ملامح من حياتي : (٣)

وهو كتاب تناول فيه أهم المنعطفات في حياته منذ مولده في سنة (١٩٣١م)، وقد فصل الحديث فيه عن المراحل الأولى منها ، فتناول أوضاع قريته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية ، ، ثم عرّج على أسرته وأوضاعها المختلفة ،وأثر ذلك فيه ، كذلك تعرض لحياته الثقافية وانتمائه السياسي ، وعلاقته ببعض الأدباء كباكثير والعقاد ونجيب محفوظ .

و ـ الدراسات الأدبية والنقدية

لم تقتصر جهود نجيب الكيلاني على انتاجه الشعري والقصصي وغيرهما من فنون الأدب،بل امتدت اهتماماته إلى معالجة بعض القضايا الأدبية والنقدية،وقد وردت في كتبه التالية :

---

(١) انظر: مقدمة الكتاب ، ص٥ ـ ٦ .
(٢) انظر: نجيب الكيلاني ،تحت راية الإسلام ص١١٣ ـ ١١٤، الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٩٤ . ورحلتي مع الأدب الإسلامي ص٣٤ ـ ٣٥ ، ونحن والإسلام ، ص٦٩ .
(٣) مخطوط: ويقع في اثني عشر فصلا عدا المقدمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ـ الإسلامية والمذاهب الأدبية (١) .
٢ـ آفاق الأدب الإسلامي (٢) .
٣ـ رحلتي مع الأدب الإسلامي (٣) .
٤ـ تحت راية الإسلام (٤) .
٥ـ نحن والإسلام (٥) .

ويمتاز الكتابان الأخيران بأنهما تعرضا لبعض القضايا الجانبيه غير الأدبية، مثل: قضايا الحرية والفلسفات المعاصرة وغيرها .(٦)

وتجنبا للتكرار الممل، آثرت أن استعرض أهم القضايا العامة الأدبية والنقدية في هذه المؤلفات، إذ أن الباحث يلاحظ أن معظم هذه الآراء في هذه القضايا ورد بصورة أو بأخرى في مختلف هذه المؤلفات الآنفة الذكر. ومن هذه القضايا:

١ـ الدعوة إلى أدب إسلامي معاصر:

دعا نجيب الكيلاني إلى ضرورة الاهتمام بالأدب الإسلامي بفنونه المختلفة، لأن هذا الأدب ـ كما يرى ـ يستند إلى عقيدة الأمة العربية والإسلامية وفكرها، وقد انتقد بشيء من الحسرة والألم إغفال الحركات الإسلامية الحديثة لهذا المجال المهم في التعبير عن نفسها، ولرجعها لقضايا الإسلام في العصر الحديث، فهو

---

(١) نشر في أول طبعة له سنة ١٩٦٣م عن مكتبة النور بطرابلس الغرب، وصدرت أحدث طبعاته سنه ١٩٨١ عن مؤسسة الرسالة ببيروت .
(٢) كتاب مخطوط انتهى المؤلف من كتابته في ٧/ ١/ ١٩٨٤. وقد ورد قسم من موضوعات هذا الكتاب في مجلة الأمة القطرية في الأعداد التالية:
أ ـ الوجه الحضاري للأدب الإسلامي: السنة ٢، العدد ١٨، (نيسان) ١٩٨٢م ص ١١ ـ ١٣ .
ب ـ الأدب الإسلامي ومصادر القوة الصامدة: السنة ٢ العدد ٢٤، (تشرين الأول) ١٩٨٢م ص ١٤ ـ ١٦ .
جـ ـ وظيفة النقد في المجتمع الإسلامي: السنة ٣، العدد ٣١، (نيسان)، ١٩٨٣م ص ١٥ ـ ١٧ .
د ـ الرمز في أدبنا المعاصر: السنة ٣ العدد ٣٥، (آب) ١٩٨٣م، ص ٢٠ ـ ٢٣ .
(٣) مخطوط، انتهى نجيب من كتابته سنة ١٩٨٤م .
(٤) صدر سنة ١٩٧٩ عن مؤسسة الرسالة بيروت .
(٥) صدر سنة ١٩٨١ عن مؤسسة الرساله ببيروت .
(٦) أصل الكتابين مجموعة أحاديث إذاعية سجلت لتلفاز وإذاعة "ابو ظبي" في بداية السبيعنات، تحت اسم (آداب وفنون)، وورد ذلك في الشريط المسجل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى أن كثيرا من الفلسفات الحديثة قد اتخذت من الأدب وسيلة مهمة لنشر أفكارها ومبادئها، لما له من تأثير على النفوس وقدرة على التغيير (١) .

وقد استشهد نجيب بنماذج تطبيقية تمثل الأدب الاسلامي في عصر الدعوة الإسلامية والحروب الصليبية (٢) ، أما حديثا، فقد عرض نماذج شعرية ونثرية لهذا الأدب لأحمد شوقي (٣) ، وأحمد محرم (٤) وعلي أحمد باكثير (٥) ، ومصطفى صادق الرافعي (٦) .

٢ـ الشكل والمضمون :

أثار نجيب هذه القضية في أكثر من موضع (٧) ، إذ يرى أن الارتباط بين الشكل الفني والمضمون وثيق ، لأن الموضوع قد يحدد الشكل الأدبي الذي يخرج فيه ، كما يحدد جسم الإنسان بأبعاده شكل الرداء الذي يناسبه ، ولهذا ينظار للعمل الأدبي من خلال النظارة الشمولية لكليهما (٨) . ثم انتقل نجيب لتطبيق هذه القضية على ماسماه بالأدب الإسلامي ، إذ يرى أن الأديب المسلم ملتزم بالمضمون العقائدي ، الذي ينبع من التصور الإسلامي الشامل للإنسان والكون والحياة ، وهو حر في اختيار الشكل أو القالب الذي يصب فيه هذا المضمون (٩) .

---

(١) انظر: نجيب الكيلاني ، آفاق الأدب الإسلامي، مخطوط ، ص٢٨ ، ٦١ ـ ٦٢ ، وانظر: الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٤٧ ، ٥٠ ، وانظر: رحلتي مع الأدب الإسلامي ص ٢٩ ـ ٣٣ .

(٢) انظر: الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٨٦ ـ ٩٠ .

(٣) انظر: المصدر نفسه ، ص٩٥ ـ ٩٩ ، وانظر: نحن والإسلام ، ص١٣٩ ـ ١٤٧ .

(٤) انظر: الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص١٧٩ ـ ١٨٦ .

(٥) انظر: نحن والإسلام ص١١٩ ـ ١٢٧ ، وانظر: الإسلامية والمذاهب الأدبية ١٠٦ ـ ١٠٢ ، ١٥٩ ـ١٦٧ .

(٦) انظر: نحن والإسلام ، ص١٠٩ـ١١٧ ، وانظر: الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص١٠٠ـ ١٠٤ .

(٧) انظر: رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٥٨ ـ ٧٠ والإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٧٨ـ ٨٠ ، وانظر: محمود كساب ، حوار مع مجاهد مسلم ، ص٢٦ ـ ٢٧ ، ص٣٢ .

(٨) انظر: الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٧٩ .

(٩) انظر: المصدر نفسه ، ص٧٩ ، وانظر أيضا: رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يدعو إلى الاخذ بالأشكال الفنية المستحدثة بعد دراستها ، ودراسة آراء النقاد حولها سواء أكان ذلك معها أم ضدها ، أما أن ترفض دون تعليل ومن البداية ، فهذا أمر فيه إجحاف (١) .

٣ـ الدين والفن :

يرى نجيب الكيلاني أن صلة الدين ـ ومنه الأدب ـ بالفن صلة متينة منذ القدم حتى قبل ظهور الأديان السماوية ، حين كان الناس يؤدون صلواتهم المختلفة في معابدهم بالرقص والغناء تقربا للآلهة ، وكانت تعزف الموسيقى ، وتدق الطبول في هذه الأماكن المقدسة عندهم ، ويظهر ذلك بوضوح في الأساطير الاغريقية القديمة التي نسجت ملاحمها ومسرحياتها من الآلهة التي تنوعت اسماؤها واختصاصاتها (٢) .

أما الخصام الذي طفى على السطح بين الدين والفن ، فقد كان نتيجة ظروف تاريخية قاسية مرت بها أوروبة في عصر النهضة ، حين وقف بعض رجال الدين ضد العلم والحريات ، وحركات الإصلاح ، وناصر هؤلاء أيضا الملوك والإقطاعيون وانعكس كل ذلك على الفن ، حين ظهر رجل الدين في الآداب الأوروبية في صورة فردية ومتحللة وتمثل التخلف والجهل (٣) .

أما في الحضارة العربية الإسلامية فلم تنشأ هذه الخصومة ، وإن كان هذا لا ينفي بالطبع وجود بعض من علماء الدين ناصروا الظلم والسلاطين ، وحاربوا الحريات ، ولهذا يعتقد نجيب أن صورة رجل الدين في أدبنا العربي مثال مكرر عن صورته في الآداب الأوروبية ، فهو يمثل الشعوذة والجهل والسذاجة المفرطة . وهذه صور مبالغ فيها إلى حد بعيد ، وقد مثل لذلك بشخصية (الشناوي) في رواية (الأرض) لعبد الرحمن الشرقاوي ، إذ يقف ضد مصالح الفلاحين ويناصر الظالم وأصحابه ، ويفهم الدين من زاوية ضيقة محدودة ، وكذلك شخصية الشيخ (الجنيدي) في رواية (**اللص والكلاب**) **الغارق** في أورادة وتسبيحاته والصراع الاجتماعي عنيف من حوله (٤) .

(١) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٦١ .
(٢) انظر : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص١٦ ـ ١٧ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص٢٠ ـ ٢١ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص٢٤ ، وانظر أيضا : تحت راية الإسلام ص١٥٧ ـ ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الصورة التي يظهر فيها رجل الدين بهذه الصفات صورة غير واقعية، وتعكس الواقع من خلال نظرة جزئية ذات بعد واحد .

وانطلاقا من كل ذلك حرص نجيب الكيلاني على إبراز صنفين للرجل المتدين في رواياته : صورة الرجل المتدين المثقف الذي يعيش الواقع ويتأثر به ويؤثر فيه ، ويقف ضد عوامل التخلف والجهل والظلم ، وصورة الرجل المتدين المنغلق الفكر ، الذي يهوم في عالم بعيد عن الواقع (١) . وقد برز ذلك فعلا في أكثر من رواية عنده ، وهذا ما سأحاول تبيانه خلال دراسة الروايات في الفصول اللاحقة .

٤ـ اللغة بين الفصحى والعامية :

يحدد نجيب الكيلاني موقفه بشأن اللغة واستخدامها في الرواية ، ويؤيد بقوة استخدام اللغة الفصحى ، لأنه يرى فيها لغة الفن والكتابة والعلم ، ولا يقصد بالفصحى اللغة ذات الكلمات المهجورة التي عفا عليها الزمن ، والتي لم تعد مناسبة في أيامنا هذه ، وإنما يقصد اللغة الفصحى المفهومة السلسلة ، وهو يرى أن العربية غنية بألفاظها وتعبيراتها التي تؤدي هذا الغرض (٢) .

أما دعاة العامية الذين يرون أنها لغة الشعب ، ويجب التعامل معها واستخدامها للتعبير عن واقعه الحقيقي ، فيشكك نجيب في دعوتهم ، إذ أن كثيرا من أبناء الشعب الذى يكتبون له بالعامية هم أميون بطبيعتهم ، ولهذا يرى نجيب أن من المصلحة أن تبسط اللغة وتعبيراتها ، وتعلم لأفراد الشعب ، مع الابتعاد عن التعقيدات اللغوية المختلفة (٣) .

٥ـ الجنس في الأدب :

ينتقد نجيب الكيلاني الأدباء الذين يلحون ويسرفون في تصوير مشكلة الجنس في أعمالهم الروائية ، إذ أنهم جسّموا هذه المشكلة تجسيما مبالغا فيه يخرج عن الواقع (٤) ،

(١) انظر : محمود حنفي كساب ، حوار مع مجاهد مسلم ، ص١٩ .
(٢) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٦٨ ـ ٦٩ ، وانظر : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٧٦ ـ ٧٧ .
(٣) انظر : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٧٧ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص٥٦ ـ ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعتقد أن الأديب من الضروري أن يعالج ويصور مواطن الضعف البشري المتصلة بقضايا الجنس ، إلا أنه يطالب أيضا بتصوير الجوانب المشرقة للشخصية الإنسانية ، التي تصمد وتصارع هذه الغريزة القوية ، وذلك عندما يدور صراع عنيف بين العفة والفضيلة وبين هذه الغريزة ، وهو أمر يتجسد في كثير من البشر ، ويضرب لنا مثلا حول هذا الصراع بقصة يوسف — عليه السلام — ، الذي قام وجاهد للتخلص من الوقوع في حمأة الرذيلة (١) .

كما يلفت نجيب الانتباه إلى أن المرأة في ظل التصور الإسلامي لها رسالتها الإنسانية ومسؤوليتها العظيمة ، المنبثقة من طبيعة تكوينها ، وهي ليست مخلوقة — فقط — لمجرد الإشباع الجنسي والمتعة الوقتية (٢) . ومن الضروري أن لا ينظر الأديب للمرأة من جانب واحد وهو الجنس ، فعلاقة الرجل بها علاقة واسعة متشابكة ، فهي أم وأخت وزوجة ، ولا تقتصر على زاوية محددة وضيقة .

٦ — الالتزام في الأدب :

حظي مبدأ الالتزام في الأدب باهتمام نجيب الكيلاني ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة إليه لأنه داعا — كما قلت سابقا — إلى ضرورة الاهتمام بالأدب الإسلامي المرتكز على أسس وتصورات إسلامية ، فهو أدب ملتزم بطبيعة الحال ، إذ أن الأديب المسلم ملتزم بمنهج شامل للحياة ، يعبر عنه قولا وفعلا ، ويتمثل ذلك في نفسه وفي اندماجه مع مجتمعه . وهذه الشمولية في التصور الإسلامي تمنح الأديب الحرية في نظرته للإنسان والكون والحياة ، دون أن يحصر نفسه وأدبه في زاوية ضيقة ، كما تفعل بعض المذاهب الأدبية النابعة من تصورات فكرية معينة ، فالأدب الإسلامي المنبثق من هذا التصور الشمولي يتسم بسمات إنسانية عالمية تتسع لبني البشر ، ويمجد الفضائل الإنسانية في جوّ من الأخوة والتعاون والعدالة (٣) .

---

(١) انظر : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص ٦٠ .
(٢) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٤٣ .
(٣) انظر : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يحدد نجيب الفرق بين الالتزام والإلزام ، فالأديب المسلم أصلا ملتزم بعقيدته ومبادئه ، وهذا الالتزام لم يصدر عن سلطات القانون أو أي قوة أخرى تفرض الآراء ، وتحدد الاتجاهات بما يخدم مصالحها وإنما صدر عن التزام حقيقي بمبادئ العقيدة الإسلامية .(١)

وليس غريبا أن يهاجم نجيب الكيلاني مقوله (الفن للفن) ؛ لأنها تناقض تناقضا تاما ما يدعو إليه في الأدب الإسلامي ؛ لأن الأديب المسلم محاسب على كل ما يصدر عنه من قول ومن وفعل ، كما أن الأدب الإسلامي له دور حيوي ومسهم في إبراز الأفكار والمبادئ الإسلامية ، والدعوة إليها ، وهو دور جليل يقع على عاتقه (٢) .

ز ـ الدراسات الفكرية الإسلامية:

صدر لنجيب الكيلاني عدد من الكتب الفكرية التي تناولت بعض القضايا الإسلامية المعاصرة ، وسأحاول عرض هذه القضايا من خلال استعراض سريع لهذه الكتب وهي :

١ـ الطريق إلى اتحاد إسلامي (٣) .

٢ـ حول الدين والدولة (٤) .

٣ـ الإسلامية والقوى المضادة (٥) .

٤ـ أعداء الإسلامية (٦) .

١ـ الطريق إلى اتحاد إسلامي :

وقد وضعه المؤلف للإجابة عن سؤال طرحه في مقدمة الكتاب وهو "إلى متى تظل الشعوب الإسلامية فريسة للفرقة والانقسام" (٧)

---

(١) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص١٠٨

(٢) الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٣٧ .

(٣) صدر عن مكتبة النور بطرابلس الغرب ، سنه ١٩٦٢م ويتضمن ٦ فصول .

(٤) صدر من مؤسسة الرسالة بيروت ، سنة ، ١٩٧١ م ويتضمن ٧ موضوعات .

(٥) صدر عن مؤسسة الرسالة بيروت ، سنة ١٩٨٠م ويتكون من ٨ فصول .

(٦) صدر عن مؤسسة الرسالة بيروت ، سنة ١٩٨١م ، ويتكون من ٧ موضوعات .

(٧) الطريق إلى اتحاد إسلامي ص٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدأ دراسته هذه بحديث عام عن الفلسفتين الفردية في الغرب والجماعية في الدول الشيوعية ، واختلافهما عن الإسلام وتصوره للفرد والمجتمع ، ثم بدأ بتحليل للمشكلات السياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي بعد انسحاب الاستعمار الغربي منه عسكريا ، ثم عرض بإسهاب الوسائل المختلفة لنهضة الامة الاسلامية انطلاقا من تصورات إسلامية شاملة ، مع الاستفادة من مظاهر التقدم المعاصر ، وتراث الأمم الأخرى دون تعصب ، وختمه بحديث عن بعض أسس التصور الإسلامي ، مثل : التوحيد ، والخلافة وفي معاملة أهل الذمة ، مبينا ضرورة قيام دولة إسلامية متحدة من مختلف الأقطار الإسلامية .

٢ـ حول الدين والدولة :

يمتاز هذا الكتاب بعدم طرحه لموضوع محدد ، بل تناول فيه نجيب عددا من القضايا ، وأهمها الواقع السياسي الذى يعيشه العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث ، حين فصل الدين عن الدولة بعد سقوط الدولة العثمانية ، وهذا الفصل خارج عن طبيعة الإسلام ، فهو دين ودولة ، وينتقد المؤلف بشدة مواقف العلماء السلبية ، حين يركزون على قضايا هامشية أشبعت بحثا ودراسة ، كفرائض الوضوء وغيرها من الأمور المعروفة ، في حين تعاني الأمة الإسلامية التمزق والضياع والتفتت السياسي (١) ، فلا يتعرض أحدهم لتحليل هذا الواقع السلبي ، ودراسته بعمق للخروج بنتائج إيجابية لصالح الأمة . ثم تناول قضايا الانتماء والولاء في الإسلام ، وفقدان الحرية بأشكالها في العالم العربي والإسلامي ، وسيطرة الإرهاب الفكري على شتى مناحي الحياة .

وأشاد محمد عبدالله السمان بالكتاب في معرض تقديمه له ، داعيا إلى قراءته وتدبره ، إلا أنه أخذ على المؤلف عدم تفصيله لبعض المواقف الفكرية المهمة ، كقضية الحرية في الإسلام ، إذ لم يلجأ نجيب إلى مقارنتها مع المذاهب الحديثة كالوجودية وغيرها (٢) .

---

(١) انظر : حول الدين والدولة ، ص ٧ .
(٢) انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ١٢ ، نقلا عن مجلة الأزهر عدد نوفمبر ، (تشرين الثاني) ١٩٧٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الكتابان الأخيران الثالث والرابع وهما: (الإسلامية والقوى المضادة) ، و(أعداء الإسلامية) فأفكارهما متشابهة إلى حد بعيد ، إذ تناول المؤلف فيهما الأخطار والمصاعب التي تواجه الإسلام حديثا ، لوجود عدة قوى مناهضة له وأهمها: الصهيونة العالمية ، والماركسية المادية ، والاستعمار الحديث بأشكاله المختلفة ، خاصة الاستعمار الفكري والثقافي ، والتبشير الذى استغل لأغراض استعمارية وليست دينية . والمؤلف لا يعفي المسلمين من المسؤولية والتقصير في مواجهتها ، بل إنه يرى أن إلقاء كل تلك المصائب التي نزلت بالمسلمين على عاتق الاستعمار فيه مبالغة كبيرة ، لأن هذا هروب من المسلمين من مواجهة المواقع ومشكلاته ، في محاولة لتبرير التقصير واللامبالاة التي تسيطر عليهم .

ح : الدراسات الاجتماعية والطبية
==========

أعدّ نجيب الكيلاني خلال فترة اعتقاله من (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨م) دراسة اجتماعية حول مجتمع السجون ، وهي (المجتمع المريض) (١) ، إذ عاش التجربة القاسية بنفسه إلى جانب أعداد كبيرة من السجناء ، الذين وجهت إليهم تهم مختلفة في السجن سواء أكانت سياسية أم غيرها من تهم القتل والاعتداء . وقد وصف نجيب حياة السجناء ، ومايعانونه من مشكلات ومنغصات ، كما تحدث عن الجريمة وأسبابها وعلاجها ، وقد اعتمد نجيب على بعض المراجع من مكتبة سجن القاهرة لمساعدته في دراسته ، إلى جانب تجربته العملية في السجن ، وبعد خروجه في سنة (١٩٥٨) ، أضاف لهذه الدراسة بعض الإحصائيات عن هذا الموضوع لسنتي ١٩٦٢ و ١٩٦٣م (٢)

أما في مجال اختصاصه نجيب الطبي فقد ألف الكتب التالية :

١ـ احترس من ضغط الدم .
٢ـ التحصين وقاية لطفلك .
٣ـ التيفوئيد .
٤ـ الجدري والجديري .
٥ـ الدفتيريا عدو الطفولة .
٦ـ الدواء سلاح ذو حدّين .
٧ـ الدّين والصحة .
٨ـ الصوم والصحة .
٩ـ الغذاء والصحة .
١٠ـ مستقبل العالم في صحة الطفل .

---

(١) نجيب الكيلاني : المجتمع المريض ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٥٨م . ويحتوى الكتاب على ثمانية فصول ، وصورت له طبعة حديثة عن مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١م وقد حصل نجيب على مؤلفه هذا جائزة وزارة التربية والتعليم المصرية سنة ١٩٥٨م .
(٢) ورد ذلك في رسالة نجيب بتاريخ ١٨/ ٤/ ١٩٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــــل الثانـي

روايات نجيب الكيلاني التاريخيـــــة

١ـ موضوعـــات الرواية التاريخيـة وقضاياهـا .
٢ـ البنـــــاء الفنـــي .
٣ـ موقع روايات نجيب الكيلا ني التاريخية مـــن مسيـرة الرواية التاريخية في مصـــــــر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روايات نجيب الكيلاني التاريخية

١ . موضوعات الرواية التاريخية وقضاياها :

اهتم نجيب الكيلاني بالرواية التاريخية في فترة مبكرة من بداية عمله الروائي ، إذ ألف روايته التاريخية الأولى (طلائع الفجر) خلال اعتقاله في الفترة الممتدة ما بين (١٩٥٥م - ١٩٥٨م) وهي الفترة التي شهدت انطلاقته في الفن الروائي بروايته السياسية (الطريق الطويل) التي كانت أول أعماله التي انتهى من كتابتها سنة ١٩٥٦م . وكان سبب اتجاه نجيب للرواية التاريخية ، إيمانه بضرورة الاهتمام بالمواقف البارزة في التاريخ العربي الإسلامي ليعبر من خلالها عن بعض التفسيرات والتصورات ويسقطها على الواقع المعاصر ؛ لأنه يرى أنّ الرواية التاريخية ليست مجرد سرد أحداث ثابتة تاريخيا ، ولكنها تفسير وتحليل باستخدام الحدث والحركة والحوار المعبر ... " (١)

ويلحظ الباحث أن روايات نجيب التاريخية قد اتكأت على التاريخ العربي الإسلامي دون غيره منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد خصّ وطنه مصر بنصف رواياته التاريخية الست ،فتناول حملة لويس التاسع على المنصورة في عصر الحروب الصليبية ، وحملة نابليون على مصر (١٧٩٨م - ١٨٠١م) ،وحملة فريزر على مدينة رشيد سنة ١٨٠٧م .

أما روايات نجيب التاريخية فهي :

١) طلائع الفجر . (٢)

٢) اليوم الموعود . (٣)

---

١) رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٩٤ .

٢) طلائع الفجر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٨م. وقد صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٦٠ عن دار الفكر بدمشق تحت اسمي جمال عبد الناصر ونجيب الكيلاني ،إذ كتب جمال منها ٢٨ صفحة و ٨ سطور سنة ١٩٣٥م تحت عنوان (في سبيل الحرية) فجاء نجيب وأكمل الرواية وأطلق عليها (طلائع الفجر) .

٣) اليوم الموعود ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ١٩٨٣م ، وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠م منها عن دار القلم بالقاهرة ، وقد فازت بجائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب لسنة ١٩٦٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣) قاتل حمزة (١) .

٤) دم لغطير صهيون . (٢)

٥) نور الله . (٣)

٦) مواكب الأحرار . (٤)

وقد طرح نجيب الكيلاني في رواياته التاريخية ثلاث قضايا رئيسية ، جسّدها من خلال تفاعل الشخصيات مع الأحداث ، مع اختلاف التناول الفني لكل رواية بسبب اختلاف الفترة الزمنية التي صدرت فيها ، ولطبيعة الموضوع المطروح . وهذه القضايا الثلاث هي :

١) إبراز فكرة الجهاد بمضمونها الإسلامي : وعرضت لها روايات (اليوم الموعود) و(مواكب الأحرار) ، و (طلائع الفجر) .

٢) العداء اليهودي للإنسانية ، وتناولت هذه القضية روايتا (نور الله) و (دم لغطير صهيون) .

٣) الحرية الإنسانية ومفهومها : وطرحتها رواية (قاتل حمزة) .

---

١) قاتل حمزة ، مؤسسة الرسالة ، ط٧ ١٩٨٣م ، وصدرت الطبعة الأولى منها عن المؤسسة نفسها سنة ١٩٧١م ، وفازت بجائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٢م .

٢) دم لغطير صهيون ، دار النفائس ، بيروت ، ط٥ ١٩٨١ ، وصدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٧١م عن دار الكتب ، بيروت ، وقد أخبرني نجيب في رسالته بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٢٩ أن هذه الرواية سوف تخرج فيلما تلفزيونيا في دولة الكويت .

٣) نور الله جزءان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ١٩٧٩م ، أما الطبعة الأولى فقد صدرت سنة ١٩٧٢ عن المؤسسة نفسها . وقد تصرف أحد الناشرين بهذه الرواية ، فأصدر روايتين مقتطعتين منها ، وهما : (على أبواب خيبر) ، و (لقاء عند زمزم)

٤) مواكب الأحرار ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ١٩٨٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القضية الأولى - وهي إبراز فكرة الجهاد - فقد اختيرت من خلال مواقف تاريخية على فترات زمنية مختلفة،فرواية (اليوم الموعود) تحدثت عن حملة لويس التاسع على المنصورة في عصر الحروب الصليبية،حيث شهدت الساحة المصرية معارك حاسمة،تمكن المسلمون من تحطيم الحملة ، ومني لويس التاسع بهزيمة منكرة ، وقد لعب الأيوبيون وفئات الشعب المختلفة دورا بارزا في معركة المنصورة الحاسمة ، كما كان لعلماء الدين حضور قوي في الساحة ، فقد حثوا الشعب على الجهاد في مصر وفي بلاد الشام ، إلاأن الملاحظ في هذه الرواية أن المؤلف قد أولى المقاومة الشعبية في مواجهة الحملة أكثر العناية في توجيه الأحداث،أما دور الجيش النظامي فقد كان أقل ظهورا وبروزا .

أما رواية (مواكب الأحرار) فقد اختصت بإبراز حدث ضخم مرّت به مصر في فترة حديثة نسبيا ، إذ تمكن نابليون سنة ١٧٩٨م من احتلال مصر ، فقد كانت هذه الحملة تمثل فترة حرجة من الاصطدام المباشر بين الحضارة الغربية والعرب المسلمين في مصر، فجاءت هذه الرواية لتصور الجهاد البطولي الذي خاضه الشعب بفئاته المختلفةبقيادة شخصية تاريخية مغمورة ، وهي شخصية التاجر مصطفى البشتيلي ،الذي تزعم ثورة بولاق ضد الفرنسيين ، ودعمه عدد كبير من علماء الأزهر قولا وفعلا .

وقد سيطر الشعور الديني على ساحة المعارك ، حتى أن الفرنسيين كانوا ينعتون بالكفار (١) ، وليس غريبا أن يعمل نابليون للمخادعة، حين أعلن إسلامه وحمايته للشريعة في بيانه المشهور الذى وزع على الشعب المصري في بداية الحملة ،إلا أن الحيلة لم تنطل على علماء الأمة والمواعين فيها ،فاستمرت الثورات، وأشهرها ثورة بولاق، التي تمكن الفرنسيون من إخمادها بعد أن تكبدوا خسائر

---

(١) انظر : عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،دار الجيل بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨ ، ٣١٨/٢ ،وانظر أيضا دور العلماء في قيادة المقاومة ضد نابليون ،محمد فيصل عبد المنعم ، مصر تحت السلاح ،مكتبة القاهرة الحديثة ،ص١٠٣ - ١٠٤ ، وانظر كذلك: محمد عبد الرحمن حسين ،نضال شعب مصر و(١٧٩٨ - ١٨٠١)منشأة المعارف،الاسكندرية ،ص١٢ - ١٣ ، ١٦-١٧، وأمين سعيد ،تاريخ مصر السياسي ،من الحملة الإفرنسية ١٧٩٨ ،إلى انهيار الملكية سنة ١٩٥٢م ،دار الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص١٩ - ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جسيمة ،ويمكن اعتبارها بداية النهاية للوجود الفرنسي في مصر .

ويرى عدد من الدراسين أن من أسباب حملة نابليون على مصر الانتقام لهزيمة لويس التاسع في المنصورة سنة ١٢٥٠م (١) .

وتناولت رواية (طلائع الفجر) حدثا مشابها للذى تناولته رواية (مواكب الأحرار) ،فقد استغل الإنجليز ضعف مصر بعد خروج نابليون منها في محاولة لسد الفراغ الذي تركه فيها ،فوجهوا حملة فريزر ،التي تمكنت من التوغل في الأراضي المصرية ،بعد أن أقدم والي الاسكندرية التركي على تسليم المدينة لفريزر دون مقاومة ،إلا أن الحملة منيت بعد ذلك بهزائم متتالية على يد أبناء مدينة (رشيد) ،وقد توّجت المعارك الحاسمة بين الطرفين بانسحاب فريزر مهزوما ،وعودته إلى بلده . وقد ساهم العلماء هنا أيضا بدور فعال في تعزيز صمود مدينة رشيد ، حين حثوا سكان المدن والقرى المصرية على التوجه لمساندة رشيد ،كما قاموا بجمع الأموال والعتاد للمدينة ،وبناء المتاريس والتحصينات في القاهرة نفسها ،تخوفا من اقتحام الإنجليز لها (٢) .

والمتتبع للروايات التي تناولت موضوع الجهاد ومقاومة المعتدين ،يلاحظ عدة قضايا متشابهة طرحتها هذه الروايات ، ومن أهمها صمود الشعب ،وتحقيقه الانتصارات ضمن مقاومة شعبية شاملة ،يدعمها العلماء ،في وقت انشغل به الحكام ، وأصحاب السلطة بمعارك جانبية للاستيلاء على السلطة والاستفراد بها ؛ فرواية (اليوم الموعود) تحدثت عن صراع أمراء بني أيوب في الشام ومصر على الحكم ، وروايتا (مواكب الأحرار) ،و (طلائع الفجر) تعرضان تنازع المماليك والأتراك على اقتسام النفوذ في مصر ،وقد ترك كل ذلك آثارا سلبية على قوة الثبات والمواجهة لدى الشعب في بعض المراحل ، مما زاد من بطش الغزاة وجبروتهم ضد الجماهير .

---

(١) انظر أمين سعيد : تاريخ مصر السياسي ،ص ١٥ - ١٦ ،وانظر أيضا : محمد فيصل عبد المنعم ، مصر تحت السلاح ،ص ١٢٨ .

(٢) انظر : الجبرتي ،عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ٢/١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما عرضت الرواية لبعض العملاء ، الذين باعوا وطنهم وأمتهم بثمن بخس ، وانحازوا للمعتدين ، فظهر (قطّان) في (طلائع الفجر) عميلا للإنجليز ، وبرتلمي الرومي في رواية (مواكب الأحرار) عميلا للفرنسيين .

أما قضية عداء اليهود للإنسانية فقد تمثلت في موقفين وهما : الصراع الذي قاده اليهود ضد المسلمين في بداية عصر الدعوة الإسلامية ، ثم موقف اليهود العدائي الحاقد على المسيحية من خلال استعراض لجريمة منكرة قام بها بعض علماء اليهود ضد الأب توما في دمشق سنة ١٨٤٠م .

أما الموقف الأول فتناولته رواية (نور الله) ، وهي أكبر روايات نجيب على الإطلاق ، إذ يتجاوز عدد صفحاته خمسمائة وعشر صفحات في جزأين ، حيث غطّت مرحلة هامة من التاريخ الإسلامي ، حين احتدم الصراع بين المسلمين واليهود الذين اتبعوا وسائل شتى مادية ومعنوية لتحطيم الدعوة الجديدة ، متعاونين مع المنافقين من العرب بزعامة عبد الله بن أبي ، وقد حرصت الرواية على تسجيل عدد من المواقف المهمة التي تبرز هذا الصراع ، ومنها انسحاب المنافقين واليهود من جيش المسلمين قبل بدء معركة أحد بقليل بهدف تحطيم معنويات الجنود المتقين ، ثم محاولة اغتيال الرسول ـ عليه السلام ـ مرتين : إحداهما على يد بني النضير بإلقاء صخرة عليه ، والأخرى بمحاولة السّم الذي وضع له في لحم الشاة . إلا أن أعظم وأخطر مواقف التآمر كان في غزوة الأحزاب ، حيث اجتمع أعداء المسلمين الثلاثة لحربهم ، وهم قريش ومن معها من قبائل العرب ، والمنافقون الذين انسحبوا من العمل خلال حفر الخندق ، بحجة أن بيوتهم عورة وتحتاج للحراسة ، ثم نقض بني قريظة اليهود عهدهم مع الرسول لحماية المدينة ، وانضمامهم إلى قريش ، مما شكل خطرا حقيقيا داخل المدينة نفسها حيث يسكن هؤلاء .

أما الحرب النفسية التي قادها اليهود والمنافقون فتمثلت في مهاجمة الدعوة الجديدة ، والتشكيك بالرسول ـ عليه السلام ـ ونشر الأكاذيب عنه وعن زوجته عائشه في حديث الإفك المشهور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتطلع رواية (نور الله) القارىء على الموقف الحذر الواعي الذي كان يقفه المسلمون تجاه حلقات التآمر من اليهود والمنافقين ، الذين تمّ احباط مؤامراتهم ، فقد أجلي بنو النضير وتبنقاع عن المدينة ، وحوصر يهود بنو قريظة وخيبر ، وأنزلوا عن حصونهم ، وهزموا شر الهزائم .

ويمكن اعتبار الرواية نذيرا وتحذيرا للعرب والمسلمين في العصر الراهن ليأخذوا حيطتهم وليستعدوا لمواجهة المدّ اليهودي الذي بدأ يتغلغل في المنطقة العربية والإسلامية ، مستخدما وسائله الخبيثة للوصول إلى أهدافه ، من حرب إشاعات ، وقتل واغتيال .

ويؤمن نجيب بأن الصراع مع اليهود والمنافقين لن يهدأ أو يتوقف ؛ لأن جذوره ممتدة في التاريخ (١) ، ولأن مواقف هؤلاء لن تتغير بتغير الزمان والمكان كما يتوهم بعض الناس ، فاليهود لا يرعون للعرب والمسلمين إلاّ ولا ذمة ، ولهذا فلا إمكانية للصلح والسلام معهم . ولنا في التاريخ الحديث من العبر والعظات ما يكفي لتصديق ذلك حيث ارتكب اليهود أبشع الجرائم في فلسطين ومصر وسوريا والأردن ، وما زالت جرائمهم مستمرة بعد أن غاب الرد العملي المناسب لوقفها ، ويخطىء من يظن أنه من الممكن إحلال السلام مع اليهود ، فعلى الرغم من الصلح المنفرد الذي عقدته مصر في عهد للسادات المسمى كامب دافيد فإن هذا الصلح سيظل هشا ، لأن الاختلافات بين مصر وإسرائيل كثيرة حتى حول تفسير بعض بنود الاتفاقية ، والاختلاف حول طابا - التي لا تتجاوز مساحتها كيلو مترا مربع - ماثل للعيان ، كما أن العدو استغل فرصة تحييد مصر للانقضاض على المقاومة الفلسطينية في لبنان حيث شنّ حربا واسعة النطاق توجت بمجازر صبرا وشاتيلا .

أما العداء اليهودي للمسيحية فهو معروف منذ ظهور المسيح - عليه السلام - حين أنكروا رسالته ، وتآمروا لقتله ، فليس بمستهجن أن يهاجموا أتباعه ويقاتلوهم ، فقد قام هؤلاء اليهود بذبح عدد من المسيحيين لأخذ دمائهم ومزجها بفطير عيد

---

(١) انظر : مقدمة نور الله ، ١/٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصح اليهودي ، وقد حدثت إحدى جرائمهم سنة ١٨٤٠ في دمشق ، حين كانت خاضعة لحكم محمد علي باشا ، حيث أقدم عدد من علماء اليهود على ذبح (الأب توما) ، وتقطيعه وتصفية دمه ، تمهيدا لمزجه بالفطير المقدس . فجاءت رواية (دم لفطير صهيون) لتجسّد هذه المأساة بصورتها البشعة . وان كانت هذه الرواية لم تتناول بصورة مباشرة قضية إسلامية من خلال الأحداث ، إلا أنها تعطي تصورا ومفهوما يتفق تماما مع المنظور الإسلامي في التعامل مع اليهود من خلال إطار واسع تجاوز الإسلام ليشمل المسيحية ومواقف اليهود منها .

وتظهر الرواية بجلاء مدى النفوذ والتغلغل اليهودي في أوروبا ، حين أقدم هؤلاء على إرسال مبعوثين إلى محمد علي باشا لإغرائه بالمال الوفير لاطلاق سراح المجرمين ، الذين قاموا بالجريمة ، فتم لهم ما أرادوا ، وأطلق سراحهم ، وكأن شيئا لم يكن ، على الرغم من الضجة الواسعة التي أحدثتها هذه الجريمة على المستويين الداخلي والخارجي .

والرواية بفكرتها الرئيسية تكشف حقيقة ناصعة البياض ، وهي أن عداء اليهود لا يختص بملّة دون غيرها ، بل موجه ضد العداء الإنسانية بمذاهبها المختلفة ، وعقائدها المتباينة ، لسبب بسيط ، وهو أن اليهودية تنظر لغير اليهودي نظرة احتقار وازدراء ، وتجعل منه خادما مطيعا لها ، بحيث يستطيع اليهود أينما كانوا أن يستغلوا بل يقتلوا كل من لا يوافقهم في المذهب ، لأنهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وغيرهم خلقوا لخدمتهم . وقد استطاعت رواية (دم لفطير صهيون) القيام بهذه المهمة على خير وجه في الإفصاح عن خطر اليهود على العالم المسيحي ، بقدر ما عبّرت رواية (نور الله) عن خطرهم على العالم الإسلامي .

أما القضية الثالثة والأخيرة من قضايا الرواية التاريخية عند نجيب الكيلاني ، فتتمثل في تسليط الأضواء حول قضية الحرية وما تثيره من تساؤلات عديدة قديما وحديثا ، إذ تعتبر هذه القضية من أكثر القضايا التي اختلفت المذاهب الفكرية حولها ، فمن الناس من يرى أن الحرية محدودة ومقيدة بضوابط معينة ، وآخرون يرون أن حرية الانسان من أغلى القيم التي يعتز بها في حياته ، وبها يعبر عن وجوده ، وقيمته ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا بأس أن تكون واسعة دون حدود . ومن هذا المنطلق عمد المؤلف إلى استحضار حدث تاريخي ، تجسد في إقدام وحشي على قتل حمزة — رضي الله عنه — من أجل الظفر بحرية تعفيه من العبودية والاستغلال ، ولما تم له الأمر ، وجد وحشي نفسه خائبا يائسا ، إذ أنه لم يتغير في جوهره مطلقا ، وإن حصل على الأموال الكثيرة من سيدة جبير بن مطعم وهند بنت عتبة ، وظل وحشي هائما لا يلوي على شيء ، حتى استقر به الأمر عندما أعلن إسلامه لتتخذ حياته مسارا آخر ، حين انقلب من شخص استبدت به الشهوات ، إلى رجل مجاهد يواجه الموت بنفس راضية .

٢ — البناء الفني :

رسمت لنا الروايات التي تناولت موضوع الصراع العسكري مع الغزاة من الصليبيين والفرنسيين والإنجليز على الساحة المصرية صورا متعددة ، ألقت مزيدا من الضوء على الأحداث ، وساهمت في دفعها إلى الأمام ، فقد اشتركت روايات (اليوم الموعود) ، و (مواكب الأحرار) ، و (طلائع الفجر) في رسم هذه الصور المعبرة ، ومن هذه الصور صورة المقاومة الشعبية التي أولاها نجيب عناية فائقة دون سواها ، ليجسّد من خلالها أهمية قوة الشعب في المواجهة على الرغم من تخاذل حكامه في فترات مختلفة ، وقد أعلن نجيب ذلك صراحة في تقديمه لرواية (اليوم الموعود) (١) ، ولذا اختار بعض الشخصيات التاريخية المغمورة أو الموضوعة لتمثل أماني الشعب ، وتسعى لتحقيقها ، متجردة من أي أغراض شخصية محددة ، فمثلت هذه الشخصيات بحق روح الجماعة ، وقد حقق نجيب في رواياته هذه معنى البطولة الحقيقة التي تحمل في ثناياها بذور العدوى ، وتدفع إلى المشاركة والإلهام ، لأن البطل ليس بطلا حقا ، إلا بما هو مثال وأنموذج متجسد ، حتى يصبح الشعب كله ، الذي ينتمي إليه بطلا (٢) .

---

(١) انظر : ص٧ ، وأشاد أحمد الهواري بالعناية التي أولاها نجيب الكيلاني لدور الشعب في جهاد العدو ، انظر : الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ، عبده قاسم وأحمد الهواري ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٩م ، ص٧٤ .

(٢) انظر : سهيل ادريس ، البطل في الرواية العربية الحديثة ، مجلة الآداب ، السنة ٤ ، عدد يناير (كانون الثاني) ، سنة ١٩٥٩م ، ص٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي رواية (اليوم الموعود) تتحدث الرواية عن صمود سكان المنصورة أمام جحافل الصليبيين سنة ١٢٥٠م، واستطاعة المدينة بتعاونها مع الجيش الأيوبي من تحطيم العدو، وأسر قائد الحملة لويس التاسع نفسه.

ولا يعني هذا أن صفوف الشعب خلت من بعض الخونة والعملاء، إذ أن أحد هؤلاء وجه ضربة قوية إلى صفوف المسلمين حين أرشد العدو على بعض الطرق التي تمكنهم من مفاجأة المسلمين وتحطيم قوتهم، وقد حصل ذلك فعلا حين أخذ المسلمون على حين غرة قرب مخاضة سلمون، مما أدى إلى تشتيت قواهم وقتل قائد المعسكر فخر الدين أيبك.

وإضافة إلى هؤلاء الخونة من الشعب، تكشف الرواية مدى التخاذل الذي وصل إليه بعض حكام المسلمين، الذين ركنوا إلى شهواتهم، في حين يقاسي الشعب صنوف العذاب والبلاء، وقد شغل هؤلاء بكراسي الحكم وحب السلطة، مما جعل البلاد تعيش في صراع داخلي مرير، مما ساعد على تفتيت الجبهة الداخلية وإضعافها، وكان ذلك من الأسباب القوية التي أغرت الغزاة لاحتلال مصر، كما أن هذا الصراع الداخلي قد سبب إرباكا ملحوظا لجهود المقاومة التي تحمل الشعب أعباءها حين خذله حكامه، وقد امتد هذا الصراع الداخلي من مصر إلى بلاد الشام، حين تآمر الأمراء الأيوبيون بعضهم على بعض، ثم تطور الصراع مع القوة الصاعدة في المجتمع الإسلامي في مصر وهي قوة المماليك.

ولأن حبكة هذه الرواية قامت على تصوير الصراع بين المسلمين والصليبيين فإنها صورت المعارك المتعددة بينهما في أكثر من موضع (١) دون إسراف في التفاصيل الجزئية، إذ انصب هدف نجيب على تصوير أوضاع الشعب وصموده وجهاده. وقد عاب أحد النقاد (٢) على نجيب في روايته (اليوم الموعود) أنه لم يفصل كثيرا في وصف

---

(١) انظر: اليوم الموعود، ص١٦٥ ـ ١٦٩، ١٧٢ ـ ١٧٩.

(٢) انظر: فؤاد دواره، في الرواية المصرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعارك الحربية . والحقيقة أن الروائي ليس ملزما بايراد التفصيلات الجزئية الدقيقة لكل مجريات الحرب ،إذ أن كتب التاريخ تقوم بهذه المهمة على أكمل وجه ، فالمهم في الرواية، هو أن تجسد تفاعل الشخصيات مع الأحداث ،ومدى انعكاس أحداث المعارك على نفسياتها وتفاعلاتها المختلفة ، كما أنه لا بد من القول إن المهم في إيراد أخبار المعارك هو النتائج والآثار المترتبة عليها ،ومدى تأثير ذلك على مواقف القوى المختلفة .

ولم يقتصر اهتمام نجيب على إيراد الأحداث التاريخية المعروفة ،فلجأ إلى تطعيمها بعلاقة غرامية جمعت بين عدنان بن المنذر وزمردة ،وقد نجح المؤلف في تجسيد هذه العلاقة من خلال ارتباطها العضوي بصلب أحداث الرواية فلم تكن مجرد دفع للملل ، وإنما استطاعت هذه العقدة الغرامية أن تشكل تفاعلا حيا مع الأحداث التاريخية نفسها ، إذ انعكست علاقة عدنان مع زمردة عليها من خلال مشاركة الحبيبين في الأعمال الحربية في مواجهة العدو كل حسب طريقته .

وقد كان لحماسة نجيب الكيلاني لفكرة الجهاد ضد الصليبيين أثر بيّن على مجريات الأحداث التي بدا بعضها يتنافى مع المنطق ففقدت مصداقيتها ، خاصة الأعمال التي قامت بها زمرة وهي-شخصية موضوعة-إذ ليس من المعقول أن تقوم هذه المرأة بالهروب من حصن كيفا دون أن تثير الانتباه ، ثم تقطع المسافات الشاسعة الى حلب ثم إلى القاهرة ، ثم تتابع سيرها إلى المنصورة للبحث عن حبيبها عدنان ،وللمشاركة معه في الجهاد ، والأبلغ من ذلك زياداتها المتكررة لمعسكرات الصليبيين لترفه عن الجنود بالرقص والغناء ، ثم يقوم الجندي مارسيل بتزويدها بمعلومات عسكرية بالغة الأهمية، وكأن المعسكر لا قائد له يحقق في أمر وجود هذه المرأة بين جنوده ، وتتابع زمردة مغامراتها الخارقة العجيبة في ذلك المعسكر دون شك بها ،ويبدو أن محاولة المؤلف التعاطف معها قد أوقعه في تناقض كان الأجدر به أن لا يقع فيه لولا أن بعض التعصب قد تسرب إليه ، فهو يخبرنا أن الجنود الصليبيين قد انهكتهم الملذات ومطاردة النساء وهتك أعراضهن، ولكن علاقتهم مع زمردة كانت تشوبها البراءة والطهر ،وهي التي تملك من الجمال الفتان ما يثير المشاعر ،فمارسيل وغيره من الجنود لم يفكروا أبدا في الاقتراب منها ، مع أن أحدا لا يستطيع منعهم . والذي يبدو من تفحص الجانب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغرامي من رواية (اليوم الموعود) أن المؤلف اعتمد كثيرا على المغامرات والصدف التي تقوم بها زمردة ، وهي بذلك تقترب إلى حد كبير من مفهوم الأدب الشعبي، الذي يهتم بالمغامرات والصدف والأفعال الخارقة ، التي يمكن أن يكون نجيب قد تأثر بها من قراءاته لروايات جرجي زيدان ، إذ أن جرجي زيدان يركز في رواياته على المغامرات الخيالية التي لا تتفق وطبيعة البشر ، حيث يكتسح الأبطال كل العقبات التي تقف أمامهم فبي سعيهم لتحقيق أهدافهم ، ويظهر ذلك جليا في استعراض جرجي للحادثة الغرامية في رواياته (١) .

وحتى يشوق نجيب القارئ لمتابعة أحداث الرواية ، يلجأ إلى وسيلة مكشوفة ، باعتماده على أسلوب اللغز أو اخفاء السر لاحدى شخصيات الرواية ، وقد أوقع هذا الأسلوب نجيبا في تناقض عجيب لا يخفى على القارئ العادي ، إذ حاول أن يقنع القارئ أن زمردة ليست نفسها ياقوته الغجرية ، مع أن المتتبع لأحداث الرواية يعرف دون صعوبة أنها نفسها ، وقد توهم أحد الدارسين لهذه الرواية أنهما شخصيتان مختلفتان وذلك في معرض تحليله للشخصيتين (٢) .

وقد عاب أحمد الهواري على نجيب حين جعل زمردة تخاطب الجنود الصليبيين وكأنها على معرفة كبيرة بلغاتهم ، مع أنهم وفدوا من مناطق أوروبية مختلفة ذات لغات متباينة ، فلو أن المؤلف لجأ إلى مترجم بينها وبينهم لأوحى ذلك باستحالة التواصل بين المسلمين والصليبيين، فيشكل بذلك رمزا ذا دلالة مؤثرة (٣) .

---

(١) انظر: محمود شوكت ، الفن القصصي في الأدب العربي الحديث ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط١ ١٩٦٣م ، ص٧٩ ، السعيد الورقي ، اتجاهات الرواية المصرية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص٣٢ ، وعبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠ — ١٩٣٩) ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ١٩٧٦م . ص١٠٤ .

(٢) انظر: عبد القادر القط في معرض تحليله لرواية اليوم الموعود في المقدمة ، ص١٠ ، وقد لفت هذا الأمر الناقد فؤاد دوارة ، الذي انتقد لجوء نجيب إلى هذا الأسلوب المفضوح للتشويق ، كما استغرب من تحليل عبد القادر القط للشخصيتين على أنهما مختلفتان ، مع أن الواقع ليس كذلك . انظر: فؤاد دوارة ، في الرواية المصرية ، ص٢٠٦ .

(٣) انظر: أحمد الهواري ، قاسم عبده ، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ، ص٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الشخصية الموضوعة الثانية، فهي عدنان بن المنذر — عشيق زمـــردة وشريكها في الجهاد — وقد قدمه المؤلف تقديما معقولا وبعيدا عن الغرابة والمبالغـــة ، إذ تجسدت فيه آمال الشعب والأمة فتخلى عن همومه الذاتية المتمثلة في الانتقام مـــن ثوران شاه لسجنه إياه ظلما ، ولمحاولته الاستيلاء على حبيبته زمردة في فترة سابقة ، فاتجه كليا إلى الانخراط في جموع الشعب ، يقول محدثا نفسه : " أليس من العـــار أن أتجه إلى حصن كيفا لأنتقم لنفسي ، وجموع الشعب تسارع إلى دمياط لترد الصليبيين؟ .. " (١) ثم يقوم بعمليات فدائية جريئة ضد معسكرات العدو متبعا الحيل الذكية في ذلك . إن شخصية عدنان ، متمردة على الواقع ، وتريد التخلص من الذل والهوان الذي تفرضـــــه السلطة ، حتى أنه لم يرض لنفسه المشاركة في جيش الأيوبيين لقتال العدو ، معتبرا أن الشعب هو القوة الحقيقية الممثلة للبلاد ، فيقول : " هذه هي القيادة التي سأنضـــوي تحت لوائها ... هؤلاء العامة البسطاء هم كل شيء ... هم القادة والجنود ... وأياديهم العجفاء الخشنة هي التي تصنع المجد ... " (٢)

أما رواية (طلائع الفجر) التي تناولت حملة فريزر الإنجليزي على مدينـة رشيد سنة ١٨٠٧م فقد أحاطت المقاومة الشعبية وصمود أهالي رشيد بعنايتها واهتمامها ، فبدت محور الرواية وعمودها الفقري ، إذ تمكنت مدينة رشيد من تحطيم الحملة مما اضطرها إلى مغادرة مصر مذمومة مدحورة . وقد لعب علي السلانكي محافظ المدينة ، وطاهر بـــك عمدتها دورا رئيسيا في توحيد قوى الشعب ، وتوجيه المقاومة الشعبية فيها (٣) ، وصورت الرواية مدى التفكك الذى كانت تعانيه مصر حينما ابتليت بزعماء اقتصـــرت على ذواتهم ومصالحهم الشخصية ، فلم يمدوا يد المساعدة لنجدة أمتهم وبلادهم ، ولما تمكن أهل رشيد من إحراز النصر على الإنجليز ، نشط هؤلاء الزعماء بالدعاية لأنفسهم ولجهودهم التي بذلوها في صد العدوان، وهم في الحقيقة أبعد الناس عن ذلك ، إذ كان همهم الظهور أمام الناس وكأنهم حماة للأمة والشريعة .

---

(١) اليوم الموعود ، ص٥٠ .
(٢) المصدر نفسه ص٧٤ .
(٣) انظر: طلائع الفجر ، ص١٠٢ — ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما على صعيد المستوى الشعبي فقد أبرزت الرواية بوضوح خيانة نفر من أبناء الأمة حين خفوا لمساندة العدو ، ومن هؤلاء قطان باشا الأرمني الذي أمدّ الإنجليز بالمعلومات العسكرية المهمة عن مدينة رشيد (١) ، مع أن قطان هذا كان قد لقي الاحترام والتقدير من أبناء الشعب المصري في رشيد على الرغم من كونه أرمني الأصل وليس مصريا .

وإذا كان المؤلف قد نجح في تطوير أحداث الرواية ، مبتعدا عن الاستطراد والمبالغة ، فإنه وقع في بعض المزالق الفنية ، ومنها عدم قدرته على إقناعنا بصدق التحولات الجذرية التي تعرض لها محسن ، إذ صوره المؤلف من البداية لاهيا وعابثا ، لا هم له إلا التسكع في الطرقات ومطاردة النساء ، وعندما أسر وإذا به ينقلب انقلابا جذريا وحادا ليصبح رجلا مخلصا وعلى درجة كبيرة من الوعي والمسؤولية ، مع أنه أصلا لم يكن مهيئا للعب هذا الدور . كما أن المؤلف وقع في عيب آخر حين جعل محسنا عارفا اللغة الإنجليزية التي كان يتخاطب بها الجنود الإنجليز الذين أسروه ، وقد مكنه ذلك من معرفة بعض الأسرار العسكرية التي تتعلق بالعدو وبالجاسوس قطان (٢) ، ولا ندري من أين تعلم هذه اللغة ! إذ ليس معقولا أن يتعرف عليها من خلال أيام معدودة قضاها في أسر العدو ، وقد كان لهذا الحدث أثر كبير في تطوير أحداث الرواية وتعقيدها ، إذ لولا سماع محسن لأخبار قطان باشا وخيانته من خلال حوار الإنجليز ، لما كشف أمر هذا الجاسوس أبدا ، الذي أولاه المؤلف عناية كبيرة على صفحات الرواية ، وقد شكلت هذه الأحداث غير الواقعية التي مرت بمحسن وبقطان باشا ، صلب الرواية ، وحاول المؤلف من خلالها تطوير أحداثها وتعقيدها ، ولكنه أخفق في ذلك .

وقد انصب اهتمام المؤلف على الشخصيات الموضوعة ومنها إبراهيم المقنع ، الذي تعمد المؤلف إخفاء حقيقته ، ولم يكشف الستار عنه إلا في نهاية أحداث

---

(١) انظر : طلائع الفجر ، ص ٢٥ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٤٦ - ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرواية في محاولة منه لتشويق القارئ وشد انتباهه ، وقد صوره المؤلف ثائرا على الأوضاع السلبية السائدة المتمثلة في تخاذل الحكام عن نصرة مدينة رشيد في مواجهة الإنجليز ، فانخرط إبراهيم في جموع الشعب لمقاومة العدو حتى سقط شهيدا في ساحة المعركة .

أما الشخصيات التاريخية، فلم يعرها المؤلف اهتماما كبيرا ، فقد عرض معظمها في تقارير مباشرة دون الوقوف على أبعادها التفصيلية ، فبدت باهتة ومتشابهة إلى حد كبير ، ومن هذه الشخصيات علي السلانكي وقرينزر .

واهتمت رواية (مواكب الأحرار) بإبراز حدث تاريخي مهم مرّت به مصر ، وهو حملة نابليون التي امتدت مابين (١٧٩٨م - ١٨٠١م) ، حيث شهدت مصر ثورات شعبية متتالية ضد الوجود الفرنسي ، وقد كانت ثورة بولاق من أبرز هذه الثورات وأشدها ، إذ تكبد الفرنسيون من جرائها خسائر فادحة ، جعلت الفرنسيين يفقدون أعصابهم ، مما دفعهم إلى ضرب حي بولاق وغيره بالقنابل فاستشهد المئات نتيجة لذلك ، كما عانى الشعب من الأوضاع السيئة ، فقد قلّت الأقوات ، وارتفعت الأسعار ، وفتحت السجون للمعتقلين الثوار ، إلا أن ذلك لم يمنع المقاومة من الاستمرار ، على الرغم من عدم تكافؤ الفريقين ، خاصة إذا علمنا أن الفرنسيين يملكون أسلحة حديثة ووسائل قتالية متطورة ، بينما كان المصريون يعتمدون على أسلحة قديمة بدائية ، حتى أن قسما منهم استخدم السيوف والرماح .

ويستخلص من الأحداث أن الروح الدينية الإسلامية قد سيطرت على شعور المقاتلين ، سواء أكانوا ضمن الجيش النظامي ، أم في صفوف الشعب ، إذ كانت فكرة الجهاد الإسلامي متجسدة بأبهى صورها ، فقد نظر هؤلاء الى الغزاة الفرنسيين باعتبارهم كفارا ، وقد ألهب علماء الأزهر المشاعر الإسلامية ضد العدو ، ومن هؤلاء العلماء الشيخ السادات والفيومي وغيرهما ، ممن ساهموا مساهمة فعّالة في تعبئة وحشد الجهود ، وتوجيهها نحو المعركة ، فاشتركوا في دعوة العامة والحكام للقتال ، كما اهتموا ببناء التحصينات والمتاريس لصد هجمات العدو ، وقاموا بجمع الأموال والأقوات لتدعيم صمود المقاتلين في أحياء القاهرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختلفة ، ويظهر من حوار الجنرال الفرنسي د بيوى . مع الجاسوس برتلمي الرومي ما يدل على دور العلماء ونفوذهم لدى أبناء الشعب المصري :

" - قال د بيوى :

- السادات وحده ليس شيئا ، إن الذين يسيرون خلفه ، ويلتفون حوله ، ويسمعون من الشعب هم كل شيء . . . "(١)

وقد أدرك نابليون مدى تمكن الشعور من المصريين فلجأ إلى حيلتين مكشوفتين لخداع الجماهير ، أولاهما : حين أعلن إسلامه منذ وطئت قدماه مصر (٢) ، والثانية : عندما أسس مجلسا للديوان في القاهرة ، يضم عددا من العلماء المشهورين ، كالشيخ الشرقاوي وغيره ، في محاولة للتقرب من العامة عن طريق هؤلاء العلماء بحجة الوقوف على مشاكل الشعب لحلها (٣) .

وقد رسمت رواية (مواكب الأحرار) صورة دقيقة ومؤثرة لسيرة الثورات الشعبية في عدد من أحياء القاهرة ضد معاقل الفرنسيين ، حيث يتعرف القارئ بشيء من التفصيل على هذه الثورات ، ورموزها وأسلحتها وخططها ، وبالمقابل أيضا يتعرف على القوات الفرنسية وأسلحتها الحديثة ، وأساليبها الفنية المتطورة ، ولهذا تفوقت هذه الرواية على روايتي (اليوم الموعود) و (طلائع الفجر) في إعطائها صورة متكاملة ونابضه بالحيوية لسير المقاومة الشعبية في تفاصيلها الدقيقة)٤) .

ولئن صورت روايتا (اليوم الموعود) و (طلائع الفجر) بعض المهتمين بذواتهم على حساب أمتهم وكرامتهم تصويرا باهتا ، فإن رواية (مواكب الأحرار) قد استطاعت أن تجسد في شخصية برتلمي نموذجا حيا للعمالة والجاسوسية ، وبرتلمي هذا

---

(١) مواكب الأحرار ، ص ١١٧ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٣٤ - ٣٦ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٧٠ - ٧٤ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ١١٣ - ١٢٠ ، ٢١٤ - ٢٢١ ، ٢٢٧ - ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس مصريا وإنما رومي استقر بمصر ، وكان ينظر بشغف واهتمام لمقدم نابليون لاحتلال مصر ، فآماله معلقة عليه ، وما أن تحقق ذلك حتى كشر عن أنيابه ، وأظهر مطامعه ، وساعد الفرنسيين كثيرا في ضرب المقاومة الشعبية ، وقد عينه نابليون مساعدا لمحافظ القاهرة، ورئيسا لشرطة مصر . وقد استطاع نجيب بنجاح أن يرسم هذه الشخصية، وتابعها دون أن يبالغ في تصويرها، إذ أكد تاريخ الجبرتي وغيره من المراجع الحديثة وحشية برتلمي في معاملته للمصريين، ومساندته غير المحدودة للفرنسيين (١) .

وكما كانت العلاقة الغرامية في (طلائع الفجر) ضعيفة ومتهافتة ، لم تؤد دورا مهما في الرواية ، فإن هذه العلاقة في رواية (مواكب الأحرار) تشبهها إلى حد بعيد ، إذ ارتبطت ابنة برتلمي هيلدا مع أحد المماليك، وهو إبراهيم آغا ، إلا أن هذه العلاقة لم تشكل خيطا رئيسيا في الرواية فبدت ضعيفة دون أن تدفع بالأحداث للنمو والتطور في مسارها الطبيعي ، والذي يبدو أن نجيبا في إيراده لهذه الحادثة الغرامية يريد أن يؤكد أخوة البشر ، والصلات الإنسانية العميقة فيهم من خلال التقاء هيلدا المسيحية مع إبراهيم المسلم ، أما فشل هذه العلاقة فيعود إلى أسباب خارجة عن نطاق الدين ، وترجع إلى طلب برتلمي من هيلدا أن ترتبط بعلاقات جديدة وفاضحة مع الضباط الفرنسيين في محاولة دنيئة منه ، حتى يتولى مناصب عالية، ولو على حساب شرفه وعرضه ، وقد كشفت هذه العلاقة الجديدة بين هيلدا والجنرال ودبيوى مدى الانحلال والانهيار الخلقي عند الفرنسيين .

وتقف في رواية (مواكب الأحرار) عند شخصيتين رئيسيتين تمثلان أوجه العلاقات المتناقضة في الرواية ، أولاهما : مصطفى البشتيلي، الذي يمثل فكرة الجهاد

---

(١) انظر : عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ص ٢/١٩٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ وانظر : أمين سعيد ، تاريخ مصر السياسي من الحملة الإفرنسية ١٧٩٨م إلى انهيار الملكية سنة ١٩٥٢ ، ص ٢٠ ، ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأبهى صورها ، فتجسدت فيه كأعمق ما يكون التجسيد ، وقد قدمها المؤلف واقعية بعيدة عن التكلف ، فهو شخصية واعية ومثقفة ، ومدرك لواقع الأمور السياسية في مصر إبان حملة نابليون ، فعرف نوايا الفرنسيين الاستعمارية ، وفضح أكاذيب نابليون في منشوره المشهور الذي ادعى فيه الإسلام ، فواجه هذا الواقع الجديد بالقول والفعل ، وحرض العامة على الثورة والجهاد ، ففجر ثورة بولاق ، وقادها بعنف وقوة على الرغم من قلة إمكانياته ، فيجد القارئ فيه الحس الديني والوطني اللذين يدفعانه لحماية وطنه حتى آخر رمق مع إيمان وتسليم كامل بقضاء الله ، واستلهام لسير الصحابة — رضوان الله عليهم — لحث الناس على الجهاد ، ولهذا كله خاض غمار الثورة والحرب بأقصى قوته ، فحصن المتاريس ، وزود المقاتلين وغيرهم بالمواد التموينية والتسليحية — لكونه في الأصل تاجرا — ورفض كل الحلول الاستسلامية المطروحة من بعض علماء مجلس الديوان ، الذي أنشأه نابليون لامتصاص نقمة الشعب وهاجم بعنف بعض المستسلمين والمتخاذلين من الأمة ، مثل تاجر البارود المدبولي ، الذي هرب إلى فلسطين عند قدوم نابليون ، ولم يقف الأمر عند ذلك ، فقد دفع بابنه الحسين وخطيب ابنته زينب للقتال ، وفي حوار مصطفى مع زوجته تتضح لنا صورته في فكره ووعيه ، فزوجته تقول له : " وما جدوى انتظارنا ؟ إنه الانتحار بعينه . . . غدا يدهمنا هؤلاء الغزاة الكفرة ، ويجردوننا من كل ما نملك وقد يقتلوننا . . . أنا لا أطيق الحرب . . . .

ولوح بيده متوعدا وصرخ :

— كفي عن هذا الهراء . . إذا لاذ الجميع بالفرار فلمن تكون هذه الديار؟ وكيف نقابل الله ، وقد تقاعسنا عن الجهاد في سبيله ؟ لسنا وحدنا يا جاهلة" (١)

وحين طلب بعض مجلس الديوان وقف إطلاق النار من جموع الثائرين ، وقف بحزم وإصرار تساند قائدها مصطفى داعية إلى استمرار الجهاد حتى النهاية ، وتستمر المقاومة الشرسة ، ويهزم مصطفى في معارك عديدة ، لكن اليأس لم يتسرب إلى نفسه ، ولم يتوان عن الاستمرار مهما كانت النتائج ، على الرغم من عدم التكافؤ

---

(١) مواكب الأحرار ، ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينه وبين الفرنسيين ، فاستمر في إدارة حلبة الصراع . يقول محدثا نفسه : "... رغم كل ما حدث .. فأنا أتحرق إلى معركة جديدة ، ولو يائسة ، معركة .. معركة معركة .. لا بد أن تستمر المعارك حتى يتعبوا ..." (١)

ويقبض على مصطفى البشتيلي المجاهد ، بعد أن استطاع الصمود ضد الفرنسيين في مواجهات عديدة ، فبدت صورته مشرقة من بداية الرواية حتى نهايتها ، ثم قام الفرنسيون بقتله أمام أصحابه بوحشية (٢) ، لما أذاقهم من الخوف لفترة طويلة ، وقد كانت هذه النهاية المشرفة متلائمة ومنطقية مع نهاية كل مجاهد ، يرفض الذل والخنوع ، ويجاهد بما له ونفسه حق الجهاد ، فليس مستغربا إذن أن يكون الاستشهاد نصيبه وغايته الأسمى ، وهو أمر نصب له نفسه منذ البداية .

وعلى الرغم من الدور البارز الذي لعبه مصطفى البشتيلي في قيادة ثورة بولاق ، فإن الكتب التاريخية لم تعن به حق العناية ، فقد أوردت عنه معلومات عامة ومتشابهة إلى حد بعيد (٣) . ومع ذلك استطاع نجيب الكيلاني أن يبرز أهمية هذه الشخصية التاريخية المغمورة ، ويخلدها في روايته (مواكب الأحرار) بصورة واقعية ومؤثرة .

---

(١) مواكب الأحرار ، ص ٥٤ .

(٢) وردت قصة استشهاد مصطفى البشتيلي في الرواية مختلفة عما ورد في الكتب التاريخية ، إذ تذكر هذه الكتب أن الفرنسيين أمروا أصحابه بأن يقتلوه بأيديهم بحجة أنه سبب لهم القتل والتدمير . وهكذا كانت نهايته . انظر : عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ومحمد فيصل عبد المنعم ، مصر تحت السلاح ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ، وأمين سعيد ، تاريخ مصر السياسي ، ص ٢٩ .

(٣) انظر : عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ٢/ ٣٣٠ ، ٣٣٩ - ٣٤٠ ، وانظر أيضا : محمد عبد الرحمن ، نضال شعب مصر ، ص ١٧ ، وأمين سعيد : تاريخ مصر السياسي ، ص ٢٩ ، ومحمد عبد المنعم ، مصر تحت السلاح ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الشخصية الثانية المهمة التي اهتم نجيب بإبرازها، فهي برتلمي الجاسوس، إذ يقف برتلمي هذا على النقيض تماما من مصطفى البشتيلي، فقد عمل على خدمة الفرنسيين من خلال تعيينه في مراكز حساسة خلال وجودهم في مصر، وقد نكّل بالشعب، وسحق وعذب الكثير من أبنائه بحقد ووحشية، وقد أبرزه المؤلف إنسانا قلقاً يتحفز لتحقيق أهداف ذاتية ضيقة (١)، ضاربا عرض الحائط بكل المثل والقيم، حتى أنه قدم ابنته الوحيدة هيلدا هدية رخيصة للجنرال دييوي، الذي هتك عرضها في إحدى الليالي الماجنة، ثم تركها محطمة النفس، منكبة على الخمر، لتنسى بعض ما ألمّ بها.

ولأن برتلمي عميل ارتبط مصيره بمصير الفرنسيين، فلا بد أن يعيش حياته في خوف وتردد وقلق على مصيره، حتى أنه لما علم بأن نابليون عازم على الرحيل انهارت أعصابه، وخارت قواه، وتبدّدت آماله، ونسي ما لديه من الثروة والجاه والنفوذ، إلا أن المؤلف لم يشأ أن يطلعنا على نهايته، إذا ختم الحديث عنه عندما قام بمهاجمة خمي بولاق يقود عددا من الفرنسيين للقضاء على مصطفى البشتيلي.

وقد رسم المؤلف الصورتين المتناقضتين (مصطفى البشتيلي) و(برتلمي)، بصفتهما نموذجين إنسانيين من واقع تاريخي معروف، ويمكن أن يتكرر هذا الواقع في كل زمان ومكان، ولجوء الكاتب إلى هذين النموذجين بصفاتهما الثابتة على مدار الرواية، لا يعني أنه قد ارتكب خطأ فنيا، لأن كون الشخصيات المغمورة التي تنقصها الفردية المتميزة يزيد من قيمتها بوصفها نماذج لبني البشر لارتباطها بأفكار محددة لم تتغير طوال الرواية (٢).

---

(١) انظر: تعليق محمود حنفي كساب على شخصية برتلمي في دراسته: المناضل المسلم في رواية (مواكب الأحرار)، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٣٠، (إبريل، مايو، يونيو) سنة ١٩٨٢م، ص١٥٩.

(٢) انظر: لين أولتينبرند وليزلي لوبس، الوجيز في دراسة القصص، ترجمة عبد الجبار عبد المطلبي، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد سنة ١٩٨٢م، ص١٢٤ - ١٢٥، وانظر: إدوين موير، بناء الرواية، ترجمة إبراهيم الصيرفي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دون تاريخ، ص٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن القول في نهاية الحديث عن الروايات التي أبرزت فكرة الجهاد بمضمونها الإسلامي ، بأنها حاولت أن ترسخ هذه الفكرة بتفاوت فيما بينها في مقدار النجاح الذى حققته ، وقد كانت رواية (مواكب الأحرار) أفضل من روايته الأخريتين ، وهما : (اليوم الموعود)، و (طلائع الفجر)، في عرضه للأحداث، وتقديمه للشخصيات ، إذ أن نجيبا قد ازداد تمرسا في العمل الروائي ، فتجنب الاعتماد على المغامرات الخيالية والصدف والأحداث المفتعلة ، وقد يكون للفترة التاريخية التي ألّفت فيها الروايات هذه أثر في ذلك ، إذ أن رواية (مواكب الأحرار) قد صدرت حديثا وبالتحديد في سنة ١٩٨٠م ، بينما صدرت روايتا (اليوم الموعود)، و (طلائع الفجر) في سنة ١٩٦٠ م ، أي في فترة مبكرة من بداية عمله الروائي ، وقد شهدت الفترة الحالية تطورا فنيا في تعامله مع الرواية التاريخية .

أما القضية الثانية التي تناولها نجيب في رواياته التاريخية ، فهي عداء اليهود للإنسانية متمثلا في وقوفهم بشدة وعنف ضد المسلمين والمسيحيين على السواء ، أما عداوتهم للمسلمين فتتجسّد في محاولاتهم المستمرة لتحطيم الدعوة الإسلامية في فترة مبكرة من تاريخها ، مستخدمين كافة الوسائل المتاحة ماديا ومعنويا لتحقيق ذلك ، أما موقف اليهود من المسيحية فمعروف مشهور، لا يخفى على كل ذى بصيرة منذ ظهور المسيح ـ عليه السلام ـ حتى العصر الحديث ، وقد صوّر نجيب هذا العداء من خلال جريمة بشعة شهدتها دمشق سنة ١٨٤٠م إبان حكم محمد علي باشا ، حين أقدم بعض أحبار اليهود المتعصبون على اقتراف هذه الجريمة ، فقد قام هؤلاء بذبح الأب توما وخادمه عمار وتقطيع أجسادهما وتصفية دمائهما من أجل استخدامها في فطير عيد الفصح اليهودي .

وقد تناولت روايتا (نور الله) ، و (دم لفطير صهيون) هذا الحقد والعداء اليهودي فالأولى تجسّد الصراع الإسلامي اليهودي في فجر الدعوة ، والثانية مثلت العداء اليهودي للمسيحية .

وقد كشفت أحداث (نور الله) في صور مختلفة وسائل اليهود المادية والمعنوية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للقضاء على الدعوة الإسلامية بالتعاون الوثيق مع المنافقين ، لاتفاقهم على الغايات والأهداف ، وقد حرص نجيب - ونجح في ذلك - على إبراز مواقف محددة لكشف هذا العداء وتجسيده ، فقد لجأ هؤلاء إلى الحرب النفسية والإشاعات لتحطيم الجبهة الداخلية للمسلمين ، فشككوا في شخصية الرسول ورسالته ، وزعموا أنه جاء ليحطم وحدة العرب وليأخذ الزعامة والسلطة ، ثم بدأوا بنشر الأخبار الكاذبة عن الرسول ومبادىء الإسلام ، واتهم بأنه ناقض للعهود والمواثيق حين طرد اليهود من بني قينقاع ، كما أنه داعية حرب يريد سفك الدماء إلى غير ذلك من التهم الكثيرة التي تبرز هذا العداء في أبشع صورة (١) .

وقد ترجم اليهود والمنافقون حربهم النفسية إلى واقع عملي ، فقد أعلن عبد الله بن أبي، ومن معه من اليهود انسحابهم من جيش المسلمين قبل بدء معركة أحد في محاولة لتثبيط العزائم وإضعاف المعنويات ، وتخلى اليهود عن معاهدتهم مع الرسول المتضمنة الدفاع عن المدينة إذا تعرضت للهجوم، وذلك خلال مهاجمة الأحزاب لها ، وانسحب المنافقون أيضا من صفوف المسلمين ، وتخلوا عن مساندتهم لهم في حفر الخندق بحجة أن بيوتهم عورة ، وتحتاج للحراسة خوفا من اقتحامها من قبل الأحزاب .

أما الصراع المادي فقد أخذ أبعادا خطيرة بين المسلمين واليهود ، فقد قام الرسول - عليه السلام - بإجلاء يهود بني قينقاع من المدينة ، عندما حاولوا هتك عرض إحدى المسلمات ، ثم حاصر بني النضير عند كشف خطتهم لاغتياله بإلقاء الصخرة عليه بالتعاون مع المنافقين ، كما هاجم المسلمون بشدة حصون بني قريظة الذين نقضوا معاهدتهم مع الرسول ، وانضموا للأحزاب ، فأمر الرسول بقتل المقاتلين وسبي النساء ، وكانت معركة خيبر آخر المعارك التي خاضها الرسول مع اليهود ، حيث حطم حصونهم المنيعة ، فاستسلموا صاغرين ، ولم ييأس اليهود على الرغم مما أصابهم في كل هذه المواقف ، فحاولت إحدى نساء يهود خيبر وهي

---

(١) انظر : نور الله ، ١/٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زينب بنت الحارث قتل الرسول بالسم ، واكتشف الرسول الأمر ، وهكذا كان الصراع رهيبا وحادا بين المسلمين واليهود والمنافقين بكافة الوسائل المادية والمعنوية .

وقد كان الجزء الأول من رواية (نور الله) هو الأغنى في الأحداث وتصوير المواقف، أما الجزء الثاني فيمكن القول إنه تضمن فقط فتح مكة وسقوط خيبر ، أما الأحداث الجزئية فيه فقد جاءت مقحمة بصورة مفتعلة على الرواية، ومن ذلك استعراض نجيب قصة إسلام خالد بن الوليد ز (١) وعلاقة لؤلؤة مع الحويرث، التي أظهرت انحطاط قريش الأخلاقي (٢) ، كل هذه الأحداث وغيرها يمكن اقتطاعها من الرواية دون أن يلحق أي خلل فني ، إذ أن سرد هذه الأحداث الجزئية قد ضخم الرواية دون مبرر منطقي معقول ، وقد سبب هذا التفصيل أيضا التشتيت والصفة التسجيلية في عرض الأحداث، مما قد يربك القارئ ويشوشه ، لأنه سوف يجد صعوبة في رصد هذه الأحداث المكثفة المبعثرة ومتابعتها إلى نهايتها ، والذي يبدو في لجوء نجيب إلى استعراض كثير من الأحداث في هذه الرواية هو إصراره على الواقعية التاريخية والالتزام الشديد بحقائق التاريخ ، ومساعدة في ذلك توفر المصادر التاريخية التي أرخت بتفصيل كبير لهذه الفترة المبكرة من الدعوة الإسلامية .

وقد تميزت رواية (نور الله) عن غيرها من روايات نجيب التاريخية بأنها لم تقم على حدث رئيسي يبدأ بالتطور والنمو باتجاه خط مستقيم ، وإنما جاءت على شكل إبراز مواقف منوعة ولوحات متباينة لإبراز فكرة الصراع الاسلامي اليهودي ، ولهذا لا يمكن اعتبار حبكتها متماسكة، لأن أهم ما تتصف به الرواية ذات الحبكة المتماسكة أنها " تقوم على حوادث مترابطة ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، وتسير في خط مستقيم حتى تبلغ مستقرها . " (٣) ومن هنا استندت هذه الرواية إلى

---

(١) انظر : نور الله ، ٢٠٨/٢ - ٢١٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ١٧٤/٢ - ١٨٠ ، ١٩٧/٢ - ٢٠١ ، ٢٠٥/٢ - ٢٠٧ .
(٣) محمد نجم ، فن القصة ، ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحبكة المفككة التي تعتمد على الفكرة الشاملة أو النتيجة العامة التي تنجلي عنها الأحداث وتفاعل الشخصيات معها (١) ، وموضوع القصة بأحداثه المتشابكة المتداخلة يناسبه هذا الشكل في التعامل مع الأحداث ، وقد نجح نجيب في طريقة عرضه هذه .

ولم تخل الرواية من بعض المزالق التي بدت قليلة بشكل عام فلم تترك بصمات قوية عليها ، ومن هذه المزالق تعليق المؤلف على الأحداث أو شرحها دون حاجة فنية لذلك ، والذي يبدو أن حماسة المؤلف لموضوعه قد دفعته إلى ذلك ، ويظهر ذلك بقوله : " سيرى أهل مكة معجزة تتحقق سيلمسون عن قرب أصالة الحق وقوته ، وصبره على المشاق ..." (٢) ، وفي قوله معلقا على إجهاض زينب بنت الرسول - عليه السلام - على يد الحويرث : " إن ما فعله الحويرث بزينب كان حماقة لا شك فيها ... فقد كان احترام المكيين لزينب احتراما كبيرا ، فهم يعلمون دماثة اخلاقها وتقديسها البالغ لحياتها الزوجية ..." (٣) ، والقارئ يعرف هذه المعلومات من خلال تتبعه لأحداث الرواية ، فلا يحتاج أبدا إلى هذا التعليق المفروض على الأحداث . وقد كرر نجيب هذا التدخل في أكثر من موقف (٤).

وقد أشاد الدارس فوزي صالح بجرأة نجيب وقدرته على توصيل بعض حقائق الدعوة الإسلامية في فترة مبكرة من خلال التزام بالحقائق التاريخية ضمن ثوب روائي جميل ، مبتعدا عن التعقيدات الموجودة في كتب السيرة (٥) .

ولأن الشخصيات تلعب دورا بارزا ومهما في نضج العمل الروائي وتحديد مستواه ، فقد حظيت شخصيات رواية (نور الله) بعناية بالغة ، وتصوير دقيق وواسع لإبراز مواقفها وصراعاتها الداخلية والخارجية ، ويمكن تحديد ثلاثة مستويات رئيسية

---

(١) انظر : محمود السمرة ، في النقد الأدبي ، الدار المتحدة للنشر ، ط١ ١٩٧٤، ص ٢٨ - ٢٩ ، وانظر أيضا : محمد نجم، فن القصة ، ص ٧٢.
(٢) نور الله ، ٢/ ٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ٢/ ١٥٩.
(٤) انظر : نور الله ، ٢/ ١٢٠، ١٣٢/٢ ، ٢/ ٢٤٠.
(٥) انظر : مجلة الأمة ، السنة ٤ ، العدد ٤٦ ، تموز ، ١٩٨٤م ، ص ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للشخصيات في هذه الرواية وهي :

١ـ شخصيات تمثل اليهود بواقعهم وتصوراتهم المختلفة .

٢ـ شخصيات تمثل المنافقين ودورهم المميز في الزمان والمكان .

٣ـ شخصيات إسلامية تمثل الأفكار الإسلامية المختلفة .

أما بالنسبة لشخصيات المستوى الأول، فيقف على رأسها حيي بن أخطب ، الذي بدت صورته متكاملة من خلال المواقف المختلفة التي شارك فيها ، ويعمد للمؤلف أنه لم يلجأ إلى التقارير المباشرة في عرضها ، إلا حين وصف ـ بإيجاز شديد ـ الهيئة الخارجية لها ، ليدلّل على مكانته ومركزه عند اليهود والقبائل العربية على السواء ، فوصفه بأنه نابه الشأن ، وعظيم المكانة ، وله اتصالات كثيرة مع قبائل العرب المختلفة (١) .

وأهم ما يميز حيي بن أخطب عمله الدؤوب ونشاطه المتوثب لتحطيم الإسلام بالتعاون الوثيق مع رأس المنافقين عبد الله بن أبي في كثير من المواقف ، وقد جاءت صفات حيي منطقية وواقعية وبعيدة عن المبالغة والتزييف ، وغلبت عليه صفة النمطية، فبدا نموذجا تتجسد فيه خلال اليهود وصفاتهم في المكر والخديعة والتآمر والفساد ، ولهذا فإن هذه الصفات لم تتغير منذ أن ظهر على مسرح الرواية حتى مقتله على يد المسلمين عندما استسلم بنو قريظة بعد غزوة الأحزاب .

أما الشخصيات اليهودية الأخرى مثل سلام بن مشكم وكعب بن أسد وغيرهما فقد كانت تمثل الظل لشخصية حيي ، منقادة لأوامره على طول الخط ، فغلب عليها التسطيح ، ولم تنم وتتطور من خلال المواقف المتتالية ، فاحتفظت بصفاتها ونظرتها الأحادية للأمور ، وهذا أهم ما يميز الشخصية المسطحة (٢) ، وقد نجح المؤلف في تصويرها على هذه الحالة ، لأن ذلك مناسب لجو القصة ، كما أن ذلك واقع تاريخي لهذه الشخصيات لا يستطيع نجيب التلاعب في تغييره .

---

(١) انظر : نور الله ، ص ١ / ٤١ .

(٢) انظر : محمد نجم ، فن القصة ، ص ١٠٣ ، ١٤٧ ، وانظر أيضا : محمود السمرة ، في النقد الأدبي ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الشخصية التاريخية التي تمثل المستوى الثاني من الشخصيات، فهي عبد الله ابن أبي ، وهو من أكثر شخصيات الرواية اعتدادا ، فهو يشكل رأس حربة المنافقين ضد الإسلام ، والمسلمين ، فلا نجد موقفا أو حدثا في الرواية إلا كان له حضور فعال فيه ، وقد برز دوره فعالا في محاولاته النشطة ضد الدعوة الإسلامية مستخدما كافة الوسائل التي يملكها دون ملل أو كلل . إلا أن أهم ما يميز عبد الله بن أبي أنه لم يعن كثيرا بالمواجهة العسكرية ضد المسلمين كما فعل حيي وأصحابه ، وذلك لسبب واضح ، وهو أن عبد الله محسوب على الإسلام ، وإن كان يبطن العداوة له ، ولهذا ركز على الحرب النفسية والإشاعات لتفكيك وإضعاف المسلمين من الداخل وهذا دأب المنافقين دائما في كل زمان ومكان ، وذلك أشد خطرا على المسلمين من المواجهة الصريحة المكشوفة .

ولم يكن عداء عبد الله للاسلام سببه المحافظة على وحدة العرب ودينهم ، بل كان يشعر في قرارة نفسه أن الرسول ـ عليه السلام ـ قد سحب القيادة منه عند هجرته للمدينة ، وتوليه الأمور فيها ، وهذا ما كشف عنه عبد الله لزوجته في صراحة ووضوح من خلال الحوار الذى جرى بينهما ، حيث يقول عبد الله لها :" . . . . . والقضية في نظرى هل سلبتني هذه الدعوة سلطاني أم لا ؟؟

ـ ولهذا ستبقى يازوجي قلقا مهموما .

ـ وليكن . . إن ذلك القلق سوف يشعل في قلبي نارا لا يخبو وهجها . ."(١)

وقد رسم نجيب صورة عبد الله بن أبي من خلال الفعل والمواقف المختلفة ، وليس من خلال التقرير، وقد نجح في ذلك ، فلم يهتم كثيرا بصفاته الجسمية الخارجية وإنما اهتم بحقائقه النفسية العميقة ، وما يكنه من نفاق خطير ، وقد ظل هذا النفاق مسيطرا عليه حتى ضمّه القبر .

أما شخصيات المستوى الثالث التي تمثل الصف الإسلامي في مواجهة الشخصيات اليهودية والمنافقة ، فإن نجيبا قد ذكر حشدا منها ، ولكن لم يكن لها ذلك الحضور

---

(١) نور الله ، ص ١/ ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتفاعل ، فكانت تمثل ردود فعل مباشرة تجاه الأحداث فلم يتتبعها تتبعا كبيرا ، وتكاد تكون شخصية عمر الوحيدة من بين هذه الشخصيات الإسلامية التي أحيطت بالعناية إلى حد ما ، فقد وقف المؤلف على أزمته النفسية القلقة قبل دخوله الإسلام ، كما أبرزه نجيب كمثال للمسلم الواقعي المتفتح الواعي الذي يقف بالمرصاد لمكائد اليهود ودسائس المنافقين مما قلّص مناجعهم وأضعف من شوكتهم، إذ نجده مطلعا على تحركات هؤلاء بيقظة وحذر ، ناصحا الرسول والمسلمين بضرورة استئصال شأفة الأعداء دون رحمة .

وإن كانت حبكة (نور الله) مفككة ، فإن رواية (دم لفطير صهيون)-التي تناولت الموضوع ذاته - قد اعتمدت حبكة صارمة في تسلسل أحداثها وترابطها حتى النهاية ، فجاء سياقها وتتابعها موفيا بالغرض الذي قامت من أجله ، دون أن تنقلب إلى عمل آلي يبعث على الملل . وتميزت الرواية بأنها ركزت على حدث رئيسي واحد ، وهو جريمة اليهود في قتلهم للأب توما في دمشق سنة ١٨٤٠م ، ثم انعكاس تأثير هذا الحدث على الشخصيات المختلفة ، التي تفاعلت معه وعايشته ، ومسّها بدرجات متفاوتة ، وقد مهّد نجيب للحدث الرئيسي هذا بوصف موح ودقيق لحارة اليهود وسكانها ، حيث تفوح منها رائحة الغدر والخيانة "وحارة اليهود تتلوى كثعبان كبير . . في جوفه الجواهر والقطع الذهبية . . وزجاجات الخمر . . . . وغانيات يلعبن بالنار . . يرقصن رقصة غجرية . وحاخامات يتحدثون عن الفطير المقدس . . ودم المسيحيين . . وعيد الفصح اقترب . . . " (١)

ولتشويق القارئ لم يشأ المؤلف أن يطلعنا على تفاصيل هذه الجريمة المنكرة إلا بعد أن ألقى القبض على الفاعلين ، وانهالت الاعترافات الخطيرة التي تكاد لا تصدق ، فقد أدخل الأب توما إلى غرفة داود هراري ، ثم قام بالتعاون مع أصحاب له بذبحه بالسكين ثم قطّع جسده ، وصفّي دمه في وعاء كبير ، ثم رميت قطع جسده المتناثرة في مصرف قريب ، ثم تبدأ الأحداث بالسير بخطى سريعة

---

(١) دم لفطير صهيون ، ص ٢٧ ، وانظر أيضا : ص ٧ - ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحو النهاية بعد أن كشفت معالم الجريمة (١) .

وكشفت أحداث الرواية عن الفساد الخلقي المستشرى في حارة اليهود ، فقد أقدمت زوجة داوود هراري أحد زعمائهم المشهورين على خيانته أكثر من مرة مع الخادم مراد الفتّال ، لأن زوجها كبير في السّن ، ويعاني من الضعف الجنسي ، ففي حين أن كاميليا زوجته ما تزال في أوج شبابها ، إذ لم يتجاوز سنها ثلاثين سنة(٢) ،

وقد أراد نجيب من هذه الحادثة التي ابتكرها إبراز التناقض الحاد والعفن الاجتماعي ، والاضطراب العاطفي للمجتمع اليهودي (٣) .

ويحمد لنجيب في روايته هذه أنه لم يشتت ذهن القارئ في تتبع الأحداث والصور الجانبية ، كما أنه لم يعتمد في إقامة حوادثها على المصادفة والأحداث غير المنطقية ، وإن كان أحيانا يضمن روايته بعض الآراء حول هذه الجريمة في تقريرية مباشرة (٤) .

وقد اهتمت هذه الرواية أيضا بالوصف الدقيق لبيئة اليهود في إطارها المكاني المحدد ، وأعطته صورة حية وافية لها ، وهي الرواية الوحيدة من بين رواياته التاريخية التي أبرزت هذا الاهتمام الكبير بالبيئة ، مما شكل خلفية معقولة ومناسبة للوقوف على نفسيات اليهود وأساليبهم في المكر والخداع(٥) .

وقد قدمت رواية (دم لفطير صهيون) ثلاثة نماذج للشخصية اليهودية ، فالنموذج الأول يمثله داوود هراري ، الذى يعتبر أكثر هذه النماذج امتدادا على صفحات الرواية ، وداوود هذا هو الذي قام بذبح الأب توما ، وقد تجسدت فيه نظرة التعالي على البشر التي تجعل من اليهود سادة العالم ، وصفوة خلق الله على الأرض ، وقد كشفت ممارساته عن هذه النظرة المتعصبة الحاقدة على الإنسانية ، كما أعلن عنها صراحة في حواره مع زوجته كاميليا (٦) .

---

(١) للمزيد عن تفاصيل الجريمة يمكن الرجوع إلى كتاب (الذبائح البشرية التلمودية) لحبيب فارس ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ ، ص ١٢٠ — ١٤٣ .
(٢) انظر : دم لفطير صهيون ، ص ٢٧ ، ٤٣ ، ١٢١ — ١٢٢ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٣٩ في تعليق موجز على الرواية لنجيب نفسه بعد انتهاء أحداثها .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٢٩ — ١٣٥ .
(٥) انظر : المصدر نفسه ، ص ٧ ، وانظر أيضا تعليق هشام قريحة على هذا الوصف للبيئة في جريدة الشهاب اللبنانية ، السنة ٥ ، العدد ٢٢ ، في ١/ ٣/ ١٩٧٢م ، ص ١٢ .
(٦) انظر : دم لفطير صهيون ، ص ١٠٥ — ١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما النموذج الثاني للشخصية اليهودية ، فتجسد في سليمان الحلاق، الذي يمثل بحق الجشع والنهم اليهودي وشهوة اقتناء المال بغير حدود، مهما كانت وسائل الحصول عليه ، إذ نجده يشارك في الجريمة مقابل وعد ضرب له بمساعدته ماديا ، ولعدم إيمانه الكامل بما يقدم عليه ينهار بسرعة أمام لجنة التحقيق ، فيكشف بذلك تفاصيل الجريمة .

ولئن قدم نجيب شخصيتين تمثلان التعصب العنصري والجشع المادية لدى اليهود ، فإن هذا لم يمنعه من أن يقدم شخصية يهودية أخرى فيها بقية من الشعور الإنساني تجاه الآخرين ، وومضة خير بين جنباتها ، فقد قام موسى أبو العافية — أحد المشتركين الرئيسيين في الجريمة — بتغيير وجهة نظره حول بعض معتقداته اليهودية ، خاصة مبدأ السيادة العنصرية اليهودية على باقي الأمم الأخرى ، فأقبل على قراءة الكتب الإسلامية ، والاستماع إلى أحد العلماء الذي كان يشرح له كثيرا من الآراء التلمودية المنحرفة التي يتمسك بها اليهود ، ثم تطور الأمر حين أعلن موسى أبو العافية إسلامه ، فنقرر الرحيل من حارة اليهود ، وسمى نفسه محمدا .

أما أهم الشخصيات غير اليهودية، فمثلها الأب توما ، وإن كان دوره جزئيا في الرواية اقتصر على تقديم المؤلف له في مقالة مباشرة طويلة (١) ، شكلت نقطة ضعف في الرواية ، وقد تحدث نجيب فيها عن حياة الأب توما وأصله وثقافته وحسن سيرته ، ولو قام المؤلف بتعريف القارئ على ذلك من خلال الفعل لكان أبلغ في التأثير والإيحاء ، إذ أن التقرير المباشر قد يقتل الشخصية ويفقدها تأثيرها وحيويتها . والذي يبدو أن نجيبا أراد أن يقدم صورة وافية ومتكاملة للأب توما كتمهيد عام للرواية، ليحيط القارئ علما بما لهذه الشخصية من أهمية، وما تقوم به من أدوار إنسانية ، فتكتسب بذلك عطف القارئ وأشفاقه على مصيرها المفجع ، لأن الغرض الأساسي من الرواية ليس الأب توما بحد ذاته بقدر ما هو التركيز على جريمة اليهود ، ونظرتهم لأصحاب الديانات الأخرى ، في محاولة لتعرية أهدافهم وكشف مخططاتهم .

---

(١) انظر: دم لفطير صهيون ، ص ١٠ — ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرضت رواية (قاتل حمزة) القضية الثالثة والأخيرة من قضايا الرواية التاريخية عند نجيب الكيلاني ، وقد تناولت قضيته إنسانية مهمة وهي قضية الحرية ، التي ما يزال الجدل محتدما حول طبيعتها وحدودها بين المذاهب الفكرية المختلفة . وقد التمس نجيب الكيلاني لتوضيح هذه الفكرة حدثا منفردا ، وهو قيام وحشي بقتل حمزة — رضي الله عنه — في معركة أحد ، وقد كان لهذا الحدث المهم انعكاسات وآثار على وحشي بشكل خاص ، وعلى المسلمين بشكل عام .

وقد استطاع نجيب أن يحمّل هذا الحدث مضمونا إنسانيا عميقا ، يمكن أن يكون صالحا لكل زمان ومكان ، ضمن رؤية إسلامية ثابتة ومحددة ، فوحشي ينتمي إلى طبقة السفح من عبيد مكة ، يشعر بالعبودية والذل ليل نهار ، فيؤرقه ذلك ، وينغص عليه حياته ، فيتمرد ويثور على وضعه ، ويحلم بمستقبل مشرق يفتح له آفاق الدنيا ، ويسعى حثيثا لتحقيق حلمه الكبير في الحصول على الحرية ، ولكن أي حرية يريد ؟! إن مفهوم الحرية لديه ينقصه التحديد ، وبلغة الغموض ، ويستغل وحشي المعذب ... معركة أحد ضد المسلمين لتكون له معبرا لحريته المنتظرة ، فيعده ، سيده ، جبير بن مطعم وهند بنت عتبة بالحرية ، وبالمال الوفير بشرط أن يقتل حمزة ، ويتم الأمر له . ويطلق من عبوديته وأغلاله ، ليرتمي في قيود أشد ، وحياة أتعس من ذي قبل ، ما الذي جرى له ؟ إن قياسه بهذا العمل من أجل حريته لم يحل أبدا مشكلته ، بل أوقع نفسه في متاهات من الصعب الخروج منها ، فأخذ يسلم نفسه من فشل إلى فشل ، ومن هزيمة إلى أخرى ، فالماضي ما يزال ينشر ظلاله عليه ، ويعترف في قرارة نفسه أنه ما يزال عبدا ، ليس لسيده فقط ، وإنما لقريش جميعها ، إذ أن نظرة الجميع تجاهه لم يطرأ عليها تغيير ، سيده وعبيد مكة ، وسادتها ينظرون إليه على أنه عبد وليس سيدا ، وحبيبته عبلة أسلمت وتركته يعيش جحيمه ، بعد أن علمت ما أقدم عليه بحق حمزة ، ولما حوصر من الجهات جميعها ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، أصبح يهيم على نفسه ، ويهرب بعيدا عن عالمه ، ليعيش في عالم الأحلام الضائعة ، فيشرب الخمر ، ويعاشر النساء ، ومع ذلك تسير حاله من سيء إلى أسوأ ، فهو يرى الكوابيس تطارده ، بطيف المقتول حمزة ، فيهب من نومه مذعورا يخاف أن يتخطفه الناس كل لحظة ، ويصدر الرسول — عليه السلام — أمرا لكل مسلم بإباحة دم وحشي انتقاما لجريمته البشعة ، ومن هنا نجح نجيب الكيلاني في تصوير الحصار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي أحاط بوحشي ، عندما أوصد أمامه جميع الأبواب ، وجعله يعيش واقعا مرا لم يتعوده من قبل ، فكان خائفا ومترقبا لما تخبئه له الأيام .

ثم تتعاقب الأحداث بسرعة كبيرة نحو مستقرها ، حيث يقع الحدث الحاسم المتمثل في فتح مكة ، وكان وحشي من الرجال القلائل الذين قاتلوا المسلمين في أزقة مكة ، ولما وجد نفسه مهزوما ، آثر الهرب لينجو بنفسه من قتل مؤكد ، ولكن إلى متى سيبقى على حاله هذا ؟! ولهذا لم يجد بدا من الإذعان وإعلان إسلامه أمام الرسول - عليه السلام - الذى طلب منه عدم رؤيته مرة أخرى (١) .

ولشعور وحشي بعظم جريمته وكبير إثمه ، اندفع بحماس كبير للجهاد؛ ليعوض ما فاته من الأيام السابقة ، وليمحو من ذهنه ومن أذهان المسلمين صورته القاتمة ، فقتل بحربته مسيلمة الكذاب في حروب الردة ، وهي الحربة نفسها التي فتكت بحمزة في أحد ، ثم تابع وحشي جهاده ، إلى أن وافته المنية بحمص في ٢٥ هـ .

وتبرز أحداث الرواية قضية مهمة وجوهرية ، وهي أن الحرية المطلقة غير موجودة؛ لأن الحرية لا بد أن يصاحبها التزام بمبدأ أو فكرة معينة من خلال اختيار واع للإنسان ، كما أن الحرية الحقيقية تبدأ من داخل النفس ، أولا بانتصارها على الشهوات والحقد والكراهية وعبادة الذات ، ثم الالتزام بالحق الذي هو أكمل أشكال الحرية ، وما عدا ذلك لا يخرج عن نطاق العبودية بأوسع معانيها (٢) . هذا بالنسبة للفرد ، أما بالنسبة للمجتمع فإن الحرية يجب أن ينعم بظلها الجميع ضمن قواعد عامة يلتزم بها كل إنسان ، لأن الحرية ليست مجرد قضية فردية محدودة ، وإنما تهم المجتمع بجميع شرائحه وطبقاته ، ومن هذا المنطلق وجد عدد من عبيد قريش حريتهم في ظل الإسلام ، وتقلدوا أشرف المنازل دون اعتبار لجنسهم أو لونهم ، بينما لم يستطع وحشي أن يتخلص من عبوديته ، على الرغم من أن سيده منحه الحرية ، لأن طبيعة الوضع الاجتماعي المتردي في مكة لم تكن تسمح

---

(١) انظر: قاتل حمزة ، ص ٢٥٩ .

(٢) انظر: ماهر حتحوت في دراسته لرواية (قاتل حمزة) جريدة البلاغ الكويتية ، العدد ٩٤ ، ١٠/ ٣/ ١٩٧١ ، ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لوحشي أن يصبح إنسانا حرا بكل معنى الكلمة ، فهو ما يزال في نظرهم عبدا مهما أوتي من المال والثروة .

لقد تميزت أحداث رواية (قاتل حمزة) بأنها كانت هامشية ، فلم تشكل العمود الفقري للرواية ، لأن المؤلف لم يقصد أن تكون الأحداث هي المحور بل كان يقصد إلقاء الأضواء وتسليطها على شخصية وحشي بأبعادها الداخلية والخارجية ، من أجل أن يبرز الفكرة التي تتجسد من خلال هذه الشخصية ، ولهذا كانت حبكة الرواية مرنة وطيعة في يد المؤلف ، فلم يلتزم في عرضه للأحداث حبكة صارمة ، ولكنه اعتمد على إبراز الفكرة العامة الشاملة التي تنتظم هذه الأحداث .

وتكاد تكون شخصية وحشي هي الشخصية المحورية التي استطاعت أن تثبت حضورها منذ البداية وحتى نهاية الرواية ، فكل ما جاء في الرواية يكاد يمسها من قريب أو بعيد . وهذه هي الرواية التاريخية الوحيدة ، التي تنعقد أحداثها حول شخصية مركزية ، وهي شخصية مغمورة إلى حد بعيد تنتمي إلى عالم العبيد ، ولولا حادثة مقتل حمزة ومسيلمة الكذاب لكان صعبا إيجاد ذكر كبير لها في المصادر التاريخية ، وقد استغل نجيب ذلك أبرع استغلال ، فقد مكنه هذا الوضع من اكتساب حرية واسعة في الحديث عن هذه الشخصية من خلال مواقفها وتفاعلاتها المختلفة ، وحواراتها مع الشخصيات ، كما أنه وقف على تناقضاتها وانفعالاتها النفسية الحادة ، وقد ترك المؤلف الحرية لهذه الشخصية في تعاملها وتفاعلها مع الأحداث والشخصيات دون تدخل في ذلك ، فبدت الشخصية حية وواقعية تعيش حياتها دون تزييف ، وقد مرّت شخصية وحشي بمراحل مختلفة فكانت تنمو وتتطور باستمرار في كل موقف جديد تمر به ، فلا تقف جامدة تجاه الأحداث ولكن تعيش في صلبها ، مما جعل هذه الأحداث المختلفة تترك انعكاسات مختلفة على نفسيتها فبدت قلقة ومضطربة في علاقاتها المختلفة مع الشخصيات المختلفة .

وقد وفق المؤلف أيما توفيق في تتبع الصراع النفسي المرير الذي عاشه وحشي بعد جريمته ، عندما وقع صريعا للكوابيس والهذيان ومناجاة النفس ، لما كانت تعانيه نفسيته من ضيق وقلق وضياع ، يقول وحشي: " إنني أراه .. هاهو حمزة بن عبد المطلب .. إنني أعرفه جيدا . هو لم يمت ، إنه يتقدم كالجمل الأورق وفي يده سيفه ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لسوف يقتلني .. النجدة .. سيقتلني .. أنقذوني منه .. لست أنا المسؤول ياحمزة .. إنه جبير بن مطعم هو الذي حرضني ...." (١) إن هذا الهذيان يعكس واقع نفسية وحشي المحطمة ويظهر اختلال توازنه ، وقد انعكس ذلك على كلامه غير المنطقي الذي انهال عليه في صورة مرعبة .

إن نجيب الكيلاني في روايته (قاتل حمزة) يطرح موضوعا مهما ما تزال أصداؤه تتردد في عصرنا الحاضر ، إذ أن التيارات الفكرية والمذهبية المعاصرة لديها توجهات مختلفة حول مفهوم الحرية ،وقد تصل أحيانا إلى التضارب والتناقض الحاد فيما بينها حول ذلك ،ولما كان للإسلام نظرة شمولية للواقع بشؤونه المختلفة ، فإن له قواعد محددة تجاه قضية الحرية هذه ، تتميز بالوسطية والواقعية فهو يمنح الإنسان حرية العقيدة والرأي ضمن اطار عام يحدده ، ولهذا فإن الحرية المطلقة التي لا حدود لها والتي قد تدفع بالإنسان نحو الهاوية غير معترف بها في النظام الإسلامي ، لأن الإسلام يريد من الإنسان التزام المنهج السليم الواضح ، فيكون عنصرا عاملا في المجتمع ، يعبر عما في نفسه دون مواربة مع المحافظة على الأسس الثابتة والمحددة التي أقرها الإسلام ، وهكذا فهم الصحابة الحرية ضمن هذا الإطار ،فكان الحق مطلبهم وأقصى غايتهم مهما كلّف ذلك من ثمن ، قد يصل إلى حد التضحية بالنفس ، وهذه الحرية التي تعمقت في نفوس هؤلاء كانت دافعا لهم للوقوف ضد الظلم بكل صوره وأشكاله ،سواء أكان هذا الظلم صادرا عن بعض المسلمين أم من الأعداء، فوقف بعض المسلمين بالمرصاد لكل انحراف يرتكبه الساسة وأولي الأمر في الداخل ،كما انطلقت الفتوحات الإسلامية لتعيد إلى الانسان إنسانيته وحريته بعد طول عبودية واستبداد ، فعاش الجميع تحت مظلة الاسلام ضمن نماذج ثقافي رائع لأجناس بشرية مختلفة ، وهكذا عاشت الحضارة العربية الإسلامية أبهى عصورها إلى أن جاء زمن تراجعت الحريات وكممت الأفواه ، وتأخر ركب الحضارة ،وأصبحت الأمة العربية والإسلامية من أكثر الأمم تخلفا ، ولا نبالغ إذا قلنا إن لغياب الحرية بأشكالها المختلفة أثرا كبيرا وفعالا في حصول هذا التدهور الحضاري .

---

(١) قاتل حمزة ،ص ٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أشاد ماهر حتحوت برواية (قاتل حمزة) ،لما طرحته من أفكار وقضايا مهمة أمتعت الروح والعقل ،من خلال استغلال ذكي وبارع للحدث التاريخي (١) .

××××××××××××

تفاوتت روايات نجيب التاريخية في مدى استفادتها من أساليب السرد والحوار ،فقد لجأ نجيب إلى الاستفادة من أسلوب السرد المباشر (بضمير الغائب) في رواياته الست ؛ لأن هذا الأسلوب يتيح للقاص حرية كبيرة في عرض الأحداث والشخصيات ،إلا أن استخدامه لهذا الأسلوب قد أوقعه في بعض العيوب الفنية ، مثل ورود بعض التقارير المباشرة الطويلة التي تكاد تكون مقالة ، وقد حظيت رواية (طلائع الفجر) (٢) بأكبر نصيب منها ، ومنها أيضا لجوء المؤلف إلى النبرة الحماسية واللهجة الخطابية في تعليقه على بعض المواقف (٣) ، ومن العيوب أيضا قطع المؤلف للحدث ليعود بالقارئ القهقرى ليحدثه عن تفاصيل لم يذكرها في حينها كقوله : " ونعود إلى عدنان بن العنذر .. " (٤) وقوله " أما كيف نجا محسن من الأسر ... " (٥) وقد دفع استخدام نجيب لهذا الأسلوب أحيانا أحد الباحثين إلى التأكيد على أن نجيبا متأثر بأسلوب الف ليلة وليلة (٦) .

ومن الأساليب التي حرص نجيب على استخدامها في رواياته التاريخية لجوءه إلى حديث النفس ،وقد كانت روايتا (مواكب الأحرار) (٧) ،و (قاتل حمزة) (٨)

---

(١) انظر : جريدة البلاغ الكويتية ،العدد ٩٤ ، ١٠/٣/١٩٧١ ،ص ١١ - ١٢ .
(٢) انظر : ص ٥٢ ، ١٩٢ - ١٩٦ ، ٢٠٢ - ٢٠٦ ، ١٢٧ - ١٣٠ .
(٣) انظر : نور الله ، ٢/٣٢ ،واليوم الموعود ،ص ٢٥٠ - ٢٥٦ ،وطلائع الفجر ، ص ٩٧ ، ١٤٦ - ١٦٤ .
(٤) اليوم الموعود ،ص ٧٢ ،وانظر: ص ١٥٤ .
(٥) طلائع الفجر ،ص ١٦٩ .
(٦) انظر : نوال دوارة ،في الرواية المصرية ،ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ضمن تعليقه على رواية (اليوم الموعود) .
(٧) انظر : مواكب الأحرار ،ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٥٤ ، ٧٧ ، ١٢٨ ، ١٥١ ، ٢٠٨ .
(٨) انظر : قاتل حمزة ،ص ١٤ - ١٧ ، ٢٠ - ٢١ ، ٣٦ - ٣٧ ، ٤٢ - ٤٥ ، ٧٥ - ٧٦ ، ٩٦ - ٩٧ ... الخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أكثرها استفادة منه ، وقد أتاح ذلك للمؤلف التغلغل في أعماق الشخصية والوقوف على صراعاتها الحادة عن خلال تأملاتها وأفكارها المضطربة دون تدخل منه ، إذ أن هذا الحديث النفسي غير مسموع ، لأنه أصلا غير منطوق (١) . إلا أن حديث النفس كان يأتي أحيانا أعلى من مستوى الشخصية ليعبر عن آراء المؤلف نفسه ، ومنه حديث روز الأرمنية التي تقول حول اقتتال المصريين مع الإنجليز في رشيد : " ما هذا الشقاء ياربي ؟ ولم لم تخلق الأرض كلها وطنا واحدا ، فيحس الناس في كل بقعة من بقاع الأرض أنهم في دارهم ، وتنمحي الحواجز والحدود بين كل الأقطار ، فلا نقدس أرمينيا لأنها أرمينيا . . . بالإنسان من طامع غرير ، يصنع الأسماء ويضع الحدود . . . ولو كان إنسانا حقا لا تسعت إنسانيته وامتدت وشملت الوجود . . . " (٢) .

وشكلت الوثائق إحدى الوسائل السردية التي اعتمد عليها نجيب الكيلاني في بعض رواياته التاريخية ، إلا أنها لم تضف أبعادا حقيقية للشخصيات أو الاحداث ويمكن الاستغناء عنها دون أن يلحق بالرواية أي خلل فني ، مثل استعانة المؤلف ببعض الأخبار التي أوردها الجبرتي في حديثه عن ثورة القاهرة الثانية ، خاصة في حي بولاق ، حيث وصف الوضع المأساوي للحي من جراء الحصار والقصف والتدمير ، وفقد الأقوات وغلاء الأسعار (٣) ، والقارئ المتتبع للرواية يدرك أن كل ذلك يمكن فهمه واستنتاجه من غير حاجة لهذه الوثيقة التاريخية . ويحمد للمؤلف أنه لم يكثر من هذه الوثائق إذ أنها قد تشكل مقتلا للرواية وتعيق سير الأحداث ، خاصة إذا علم أن هذه الوثائق تأتي بأسلوب تاريخي علمي جاف ، ينقصه الجمال الفني في السرد ، وهذا يتعارض وما تتطلبه الرواية من تصوير موح ، وأداء بارع في التعامل مع الأحداث والشخصيات .

ويلعب الحوار في الرواية دورا مهما وحيويا في تطوير الأحداث ، ودفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة تجاه الحوادث والشخصيات

---

(١) انظر: روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ترجمة محمود الربيعي ، دار المعارف القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٥ ، ص٤٤ .
(٢) انظر: طلائع الفجر ، ص ١٤٠ .
(٣) انظر: مواكب الأحرار ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ . وانظر أيضا الوثيقة التاريخية التي تتضمن رسالة القنصل الفرنسي إلى شريف باشا في دمشق ، دم لفطير صهيون ، ص ١١٨ — ١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأخرى ، وهذا هو الدور الرئيسي للحوار ،(١) وقد تمكن الحوار من القيام بهذه المهمات بشكل عام ، وإن تباينت الروايات التاريخية في مقدرتها على الاستفادة منه ، وأكثر الروايات نجاحا في استخدام الحوار ، روايات :(قاتل حمزة) و (مواكب الأحرار) ، و (نور الله) ، فقد استطاع الحوار فيها أن يعطي القارئ انطباعا عاما عن شخصياتها التاريخية والمنوعة على السواء ، خاصة في رواية (قاتل حمزة) ، أما روايات (طلائع الفجر) و (اليوم الموعود) ، و (دم لفطير صهيون) فإن إفادتها من الحوار كانت أقل وعلى نطاق أضيق . وكان الحوار أحيانا فوق مستوى الشخصية ، فقد تسللت آراء الكاتب وأفكاره بشكل سافر ، إذ لا يعقل أبدا أن تكون مجرد أمة مثل عبلة لها هذه النظرة الشاملة الواسعة للحرية وقضايا الإنسان والكون ، وكأنها فيلسوفة على مستوى عال من الفكر والثقافة ، فهي تخاطب وحشي قائلة : " إنك تحاول أن تنال حريتك كفرد . . بجهد شخصي محدود . . أتعتقد أن هذا يغيّر كثيرا في القضية الكبرى لنا نحن العبيد؟ ؟ مستحيل . . إن مجموع الناس هنا بتقاليدهم ومبادئهم يكوّنون مشكلة كبرى . . فأساتك ذرة صغيرة في بحرها . . ولن تسود العدالة والحرية إذا تحرر وحشي . . أو عشرات مثل وحشي . . إن وجه الحياة أعني النظام كله وأسسه يجب أن تتغير . . . " (٢)

وقد يأتي الحوار أحيانا متزيدا لا قيمة له ، فلا يضيف شيئا جديدا ، وكأنه جاء للتخفيف من السرد المباشر فقط ، مثل حوار لؤلؤه مع الحوبرث في رواية (نور الله)(٣) وحوار محسن مع وداد في رواية (طلائع الفجر) (٤) .

وقد جاءت لغة الروايات التاريخية فصيحة . إذ أن الطابع التاريخي لها انعكس على البناء اللغوي ، سواء أكان ذلك في السرد أم في الحوار ، فسيطرت الرصانة

---

(١) انظر : محمد نجم ، فن القصة ، ١١٨ .
(٢) قاتل حمزة ، ص ٥٧ ، وانظر نور الله ، ١/ ١٤ .
(٣) ٢/ ١٩٦ - ٢٠١ .
(٤) ص ٨٥ - ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفخامة في الألفاظ والأساليب، إلا أن هذه الفصحى لا يشوبها غموض ، وإن جاءت بعض الألفاظ القليلة مهجورة وغريبة إلى حد ما ، مثل لفظة (جشيشتك) (١) وغيرها من الألفاظ (٢) . كما أن بعض التعابير التي وردت على ألسنة الشخصيات لم تكن مستخدمة في بداية عصر الدعوة الإسلامية ، مثل الفلسفة والفيلسوف والمنطق (٣).

وقد كان لثقافة نجيب الاسلامية حضور في رواياته التاريخية، إذ نرى بعض الشخصيات تردد آيات القرآن الكريم (٤) في بعض المواقف ، كما نجد لديها تأثرا لسيرة الصحابة والسلف في فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي (٥) .

وقبل أن أختم الحديث عن الرواية التاريخية ، موضوعاتها وتحليلها ، أود أن أنبّه إلى نقطتين مهمتين تتعلق بهذا النوع من الروايات وهما :

١- مدى اهتمام نجيب الكيلاني بشخصيات الرواية التاريخية .

٢- اهتمام نجيب بالحقائق التاريخية في رواياته .

أما فيما يختص بالجانب الأول، فقد أثار انتباه الباحث ملاحظة مهمة تنطبق على روايات نجيب التاريخية بشكل عام، وهي أن نجيب الكيلاني لم يعتن كثيرا بالشخصيات التاريخية المشهورة ، ولم يعطها بعناية ، إذ كانت تمر في رواياته مرورا عابرا لا يؤبه له إلا في مواضع قليلة جدا ، خاصة في روايته (نور الله) ، حيث أهتم بشخصيتين تاريخيتين معروفتين هما : عبدالله بن أبي زعيم المنافقين ، وحيي بن أخطب الزعيم اليهودي المشهور . أما الشخصيات التاريخية ، في الروايات الأخرى ، فقد كان دورها باهتا وثانويا ، فبدت غير واضحة المعالم، وقد

---

(١) نور الله ، ١/ ١٧٠ وتعني البر يطحن غليظا .
(٢) مواكب الأحرار ، ١٧٤ ، ١٩٥ .
(٣) قاتل حمزة ، ٥٧ ، ٩٠ ، نور الله ١/ ٤٣ .
(٤) نور الله ، ١/ ١٨٥ ، ١/ ٢٤٦ ، ومواكب الأحرار ، ص ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٩ ، واليوم الموعود ص ٦٢ ، ٦٣ ، ١١١ ، وطلائع الفجر ، ص ٢٣ ، ودم لفطير صهيون ، ص ٩٢ - ٩٣ .
(٥) مواكب الأحرار ، ص ٤٥ ، ٩٢ ، ١٤٠ ، وطلائع الفجر ، ص ٢٩ ، ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أراد المؤلف من إيرادها المحافظة على صحة الحدث التاريخي ، وتشكيل إطار عام لمجريات الأحداث ، ومن هذه الشخصيات : محمد علي باشا والوالي شريف في رواية (دم لفطير صهيون) ، ونابليون والجنرال د بيوي في رواية (مواكب الأحرار) ، وشجر الدر وزوجها نجم الدين أيوب وتوران شاه في رواية (اليوم الموعود) ، وفريزر وعلي السلانكي في رواية (طلائع الفجر) وغيرها من الشخصيات.

أما الشخصيات التاريخية المغمورة والشخصيات الموضوعة فقد نالتا عناية أكبر، وتصويرا أدق من الشخصيات التاريخية ، واهتمام نجيب هذا يتفق مع نظرة هـ . ب تشارلستون في قوله : ((إن القصة الفنية الصحيحة تختار بطلها رجلا عاديا ممن أهملتهم صحائف التاريخ ووثائقه ، إذ ليست القصة بحاجة إلى الرجوع إلى الماضي لا نتقاء أبطالها من بين أعلام التاريخ ، وأولى لها أن تقصد إلى تصوير هؤلاء الناس الذين نعيش معهم .)) (١)

ومن أشهر هذه الشخصيات التاريخية المغمورة : وحشي في رواية (قاتل حمزة) ، ومصطفى البشتيلي وبرتلمي في رواية (مواكب الأحرار) ، وداوود هراري وموسى أبو العافية في رواية (دم لفطير صهيون) . أما أهم الشخصيات الموضوعة التي حظيت باهتمام بالغ من نجيب الكيلاني ، وأسند لها أدوارا رئيسية فهي : عدنان بن المنذر وزمردة في رواية (اليوم الموعود) ، ومحسن وابراهيم المقنع وروز في رواية (طلائع الفجر) ، وهيلدا وإبراهيم آغا في رواية (مواكب الأحرار) ، وكاميليا في رواية (دم لفطير صهيون) .

أما الجانب الآخر الذي وددت أن أشير إليه ، فهو اهتمام نجيب الكيلاني الكبير بإيراد الحقائق التاريخية دون تزوير أو تزييف ، مع إحداث توازن معقول بينها وبين مقتضيات الفن الروائي ، فيقول : " وفي رأينا أن الطريقة المناسبة لكتابة القصة التاريخية ، أن تعالج الوقائع بطريقة فنية ، لا تخل بمفهوم القصة ،

---

(١) فنون الأدب ، ترجمة زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥م ، ص ١٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا تتمادى في العبث بالأحداث التاريخية ، مع تجنب تحول القصة الى كتاب تاريخ ... " (١)

والتزام نجيب بهذا المفهوم للرواية التاريخية ، لا يعني أبدا تحولها إلى مجرد عرض للأحداث التاريخية ، فهذا متوافر لدى المصادر المختلفة ، ولكن لا بد من إبراز هذه الأحداث من خلال التفسير والتحليل ، وتفاعل الشخصيات مع الأحداث ، واستخدام الحوار المناسب المعبر ، كما أنه لا بد من أن تقوم الرواية التاريخية بطرح رؤية فكرية وإسقاطها على الواقع ، ولهذا يكمن نجاح الرواية التاريخية في مدى استغلال الروائي للحدث التاريخي ، واعتماده إطارا لمعالجة قضية حية في المجتمع المعاصر (٢) .

ويناقش نجيب الكيلاني في دعوته إلى ضرورة الاهتمام بحقائق التاريخ دون تشويه الكسندر ديماس الفرنسي (١٧٧١ - ١٨٣٢م) وسكوت الإنجليزي (١٨٠٣ - ١٨٧٠م) اللذين اهتما بفنية الرواية على حساب الحقائق التاريخية ، وقد تعرض سكوت بسبب ذلك لنقد شديد ، فقد اتهم بأنه لم يلتزم بالواقع التاريخي للغة ، كما تجنب المحافظة على الأجواء والبيئات التاريخية ، وأهمل التسلسل الزمني للأحداث (٣) .

ويتفق أكثر من دارس على ضرورة الالتزام بالحقائق التاريخية دون تغيير لحقائق العصر وملا محمه ، لأن ذلك ينافي الصدق الفني الذي يجب أن يتوافر في الرواية (٤) إلا أنه يجب التنبيه على أن الروائي الذي يقتحم مجال الرواية التاريخية قد

---

(١) مقدمة طلائع الفجر ، ص ٣ ، وانظر أيضا : مقدمة اليوم الموعود ، ص ٥ .
(٢) انظر : محمد شفيع الدين ، اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧م . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٢٥ .
(٣) انظر : محمد نجم ، فن القصة ، ص ١٦٠ - ١٦١ .
(٤) انظر : محمد نجم ، فن القصة ، ص ١٦٥ ، وانظر : محمد شفيع ، اتجاهات الرواية المصرية ، ص ٢٥ .

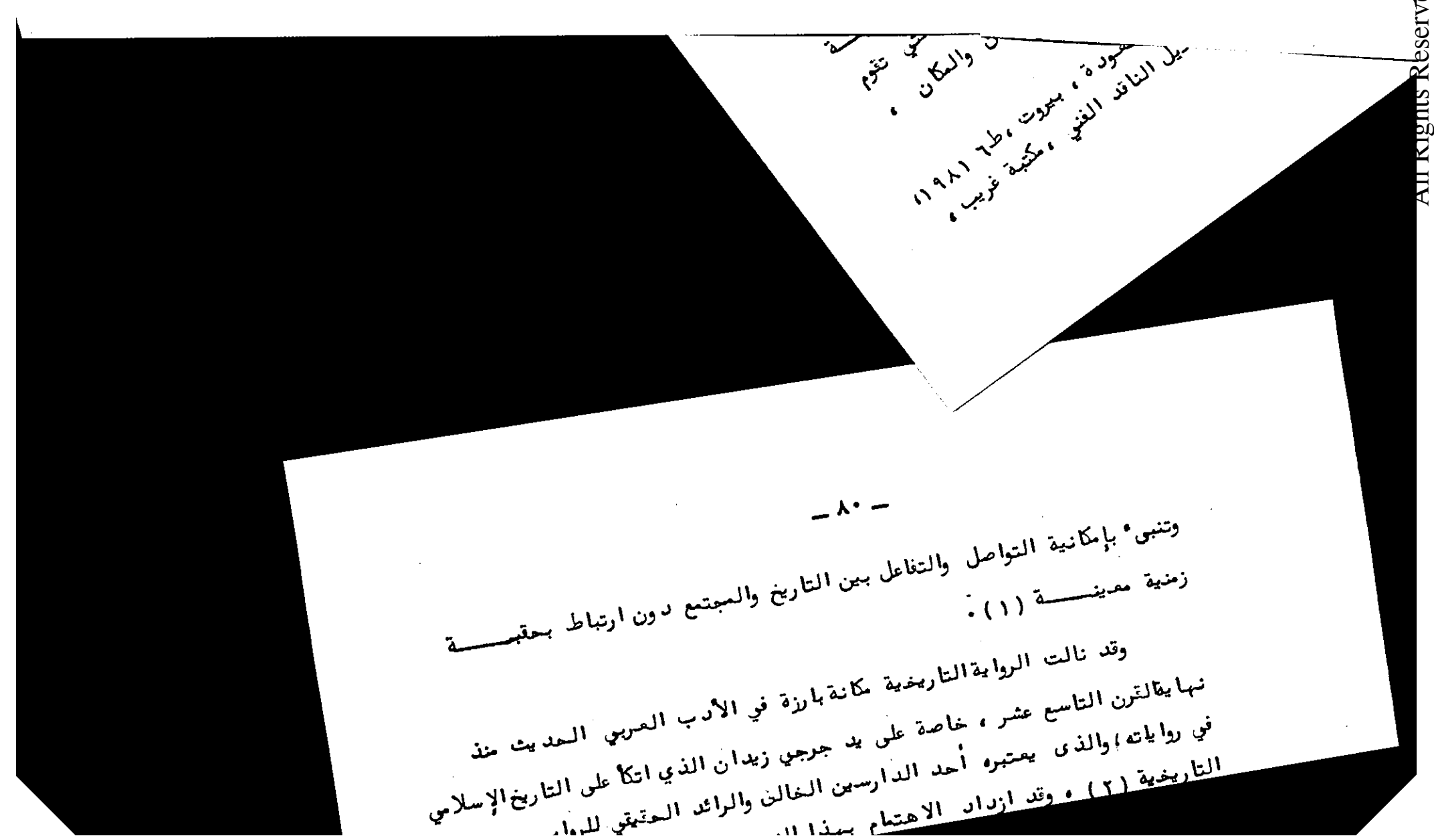

وتنبه بإمكانية التواصل والتفاعل بين التاريخ والمجتمع دون ارتباط بحقبة زمنية معينة (١) .

وقد نالت الرواية التاريخية مكانة بارزة في الأدب العربي الحديث منذ نهاية القرن التاسع عشر ، خاصة على يد جرجي زيدان الذي اتكأ على التاريخ الإسلامي في رواياته ، والذي يعتبره أحد الدارسين الخالق والرائد الحقيقي للرواية التاريخية (٢) . وقد ازداد الاهتمام بهذا ال

(شاعر ملك) (١) و (الشاعر الطموح) (٢) وغيرهما لعلي الجارم ، أما باكثير فله (الثائر الأحمر) (٣) ، و (والإسلام) (٤) .

وقبل الحديث عن موقع روايات نجيب التاريخية من هذه الروايات ، لا بد من استعراض عام وسريع للخطوط العامة لروايات زيدان والعريان وباكثير والجارم، دون التعرض للقضايا الجزئية الهامشية التي طرحتها رواياتهم .

ألف جرجي زيدان ما يزيد على عشرين رواية تاريخية (٥) شملت التاريخ الإسلامي في عصوره المختلفة ، وقد اهتم كثيرا بتعليم التاريخ في ثوب روائي ، لتقريبه إلى أذواق الناس بأسلوب مبسط وواضح ، يخلو من جفاف مادة التاريخ ، وصعوبة الإحاطة بها من مصدر واحد ، وقد انعكس اهتمامه بالجانب التعليمي على فنية القصة في شخوصها وأحداثها وأساليبها السردية المختلفة ، إذ يجد القارىء جرجي يثبت بعض مصادره في الهامش ، أو خلال الروايات نفسها ، كما أنه يقدم تقارير مفصلة عن المدن والمواقع جغرافيا وتاريخيا ، وقد يستعين أحيانا بالخرائط لزيادة التوضيحات ، فجاءت أحداث رواياته مخلخلة إلى حد كبير ، ومعتمدة على المغامرات والصدف الكثيرة ، خاصة في الجانب الغرامي منها الذي يوجد جنبا إلى جنب مع الحدث التاريخي .

أما شخوص رواياته ، فقد افتقدت التحليل العميق لنفسياتها وتصرفاتها، فجاءت أوصاف شخصياته تنطبق على كثير من الناس دون تحديد ، فكان يلجأ جرجي كثيرا إلى تحديد سمات عامة للمظهر الخارجي لها ، فجاءت متشابهة في الخطوط العريضة ، فسيطرت المثالية عليها ، خاصة شخصيات العاشقين وقد أشار بعض الدارسين لهذا الجانب التعليمي في روايات جرجي وانعكاسه

---

(١) صدرت سنة ١٩٤٣م .
(٢) صدرت سنة ١٩٤٧م .
(٣) صدرت سنة ١٩٤٥م .
(٤) صدرت سنة ١٩٤٥م .
(٥) من روايات جرجي زيدان :
- عذراء قريش : ١٨٩٨ - ١٨٩٩م .
- الحجاج بن يوسف : ١٩٠٠ - ١٩٠١م .
- ابو مسلم الخراساني : ١٩٠٤ - ١٩٠٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على فن الرواية ،كما جاءت معظم آرائهم متشابهة إلى حد كبير (١) .

ولم يكن جرجي في رواياته ينطلق من إحساس قومي بأحياء أمجاد الماضي ، وذلك لأن الفكرة القومية لم تكن قد نضجت وتبلورت بعد في المجتمع المصري ، وإنما ظهرت الروايات التاريخية التي تمجّد الماضي بعد الحرب العالمية الثانية، على يد عدد من الروائيين (٢) ، ولهذا ليس غريبا أن يلجأ جرجي في رواياته الى المواقف التاريخية ، التي تعرض الفتن والصراعات المذهبية والسياسية ،إذ لم يكن معنيا بإبراز الصورة المشرقة للحضارة العربية الإسلامية،ومن أجل ذلك تعرضت رواياته لنقد شديد وعنيف (٣) .

إلا أن أي باحث لا يمكن أن يغمط جرجي زيدان حقه في مجال العمل الروائي ،فهو دون شك رائد للرواية التاريخية ،ترك لمن بعده من الروائيين متابعة المسيرة والاجتهاد في هذا النوع من الروايات .

أما روايات علي الجارم التاريخية فقد اهتمت بإبراز الشخصيات الأدبية المشهورة في التاريخ العربي الإسلامي ،ومن ذلك رواياته:(الشاعر الطموح) ، و (شاعر ملك) وغيرهما . ولعل شاعرية الجارم كانت باعثا له في نهجه الروائي هذا ،إلا أن رواياته هذه لم توفق كثيرا في سحب أحداث الماضي على

---

(١) انظر : السعيد الورقي ،اتجاهات الرواية العربية المعاصرة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨٢م. ص ٢١ - ٢٢ ،وعبد المحسن بدر ،تطور الرواية العربية الحديثة في مصر(١٨٧٠ - ١٩٣٩م)،ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٠ ،ومصطفى عمر ،القصة وتطورها في الأدب العربي ،دار المعارف بالقاهرة ،دون تاريخ ، ص ٧٨ ، ٨٥ ،ومحمد نجم ،القصة في الأدب العربي الحديث ١٨٧٠ - ١٩١٤م، دار الثقافة،بيروت ،ط٣، ١٩٦٦م ،ص ١٨٠ - ١٨١ ، ١٩٦ - ١٩٧ ،وأحمد الهواري ،نقد الرواية في الأدب العربي الحديث ،دار المعارف القاهرة ،ط١، ١٩٧٨م ،ص ٦٤ - ٦٥ ،ومحمود شوكت ،الفن القصصي في الأدب العربي الحديث دار الفكر العربي ، القاهرة ،ط١ ، ١٩٦٣م ، ص ٧٨ — ٧٩ .

(٢) انظر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ص ١٩٦ ، ٢٠٤ ،وانظر أيضا:مصطفى عمر ،القصة وتطورها في الأدب العربي ،ص ٧٨ .

(٣) انظر: عبد المحسن بدر ،تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ،ص ٩٩ ،وأحمد الهواري نقد الرواية ، ص ٥٨ ،ومحمود شوكت ،الفن القصصي ، ص ٧٩ ،وانظر أيضا: حلمي بدير،الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط١ ١٩٨١ ،ص ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواقع (١) المعاصر بمشكلاته المختلفة ،كما أن المؤلف اهتم كثيرا بالأسلوب الإنشائي الرصين والزخرفة اللفظية والتفنن بالصور البلاغية ،حتى انطمست معالم الشخصية ، وقلت قدرته على تحليل الأحداث وتفسيرها . ويمكن القول إن الجارم نقل رواياته التاريخية من مجال التاريخ العام إلى مجال التاريخ الأدبي ، من خلال عرض أدبي لشخصياته الأدبية المختلفة (٢) .

وتأثرت روايات محمد سعيد العريان بشكل عام بروايات جرجي زيدان إلى حد ما في تركيزه على بعض فترات الصراع السياسي في التاريخ الإسلامي ،ولكنه خصّ مصر دون غيرها من الأمصار الإسلامية في تصويره لهذا الصراع ،وذلك في رواياته (قطر الندى) و (شجرة الدر) ،و (على باب زويلة) ، فاختلف بذلك عن جرجي زيدان الذى نوع الرقعة المكانية في رواياته فشملت العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية وغيرها ، كما حاول محمد العريان في رواياته أن يبرز دور مصر القيادي في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية في عهود الطولونيين والمماليك والعثمانيين ، وقد حقق نجاحا نسبيا أكبر من من جرجي زيدأن في قدرته على تحليل الأحداث وسبره لأغوار الشخصيات ، وإن احتفى بالزخرفة اللفظية والصور البلاغية (٣) متأثرا بمنهج علي الجارم في رواياته التاريخية .

أما روايات علي أحمد باكثير التاريخية ،فيمكن اعتبارها من أنجح الروايات التي عرضت الماضي من خلال إسقاطه على الحاضر ،ضمن رباط قوي يظهر بوضوح في أحداث رواياته وشخصياتها ،فقد استطاع التحكم كثيرا في تحليل وتفسير

---

(١) انظر : محمد شفيع الدين ،اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧م ،ص٤٨ - ٤٩ وأحمد الهواري ،الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث،ص ٩٢ .

(٢) انظر : طه وادي ،مدخل إلى تاريخ الرواية العربية ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،١٩٧٢م ،ص٦٧ - ٦٨ ،ومحمد شفيع الدين ،اتجاهات الرواية المصرية ،ص٤٨ - ٤٩ ،ومصطفى عمر ،القصة وتطورها في الأدب العربي ، ص٩٨ - ٩٩ ،وسيد حامد النساج ،بانوراما الرواية العربية الحديثة ،المركز العربي للثقافة والعلوم ،ط١ ،١٩٨٢ ،ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) انظر : مصطفى عمر ،القصة وتطورها في الأدب العربي ،ص٩٨ - ٩٩ ،ومحمود شوكت ،الفن القصصي في الأدب العربي الحديث ص١١٤ ،والسعيد الورقي ، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ،ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحـــداث وعرضهـــا في إطـــار فنـــي ممتـــع ، دون الإغـــــــــراق في متاهات البلاغة الشكليـة . فرواية (الثائر الأحمر) تناولت حركة القرامطة ونشاطها في مواجهـة الدولة العباسية ، وقد أرجع باكثير سبب قيام هذه الحركة إلى انعـدام التوازن الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع الإسلامي ، ولهذا لا بد من إيجـــاد هذا التوازن لتسود العدالة للمجتمع ولقطع الطريـق على من يفكر في تحطيمه مـــن الداخل . وقد ظهرت هذه الرواية في مصـر في وقت اشتد فيه النفوذ الشيوعـــي فيها . أما روايـة (والإسلام) ، فإنها تجسّد حركة الجهاد الإسلامي ضد المغـــول في معركـة (عيـن جالوت) ، حين تمكن المماليك من جمع كلمة الأمة في مصر بالتعـاون مع بعض أمراء الشـام ، وتحطيم أكبـر قوة عالميـة اجتاحت العالم الاسلامي ، ودمـرت عاصمة الخلافـة ، وقد ظهرت هذه الرواية في وقت اشتد فيه الصراع والقتال بين العـرب واليهود في فلسطين ، حين احتاج الناس إلى من يذكرهم بالجهاد لمواجهة المعتدين .

والباحث يلاحظ من خلال هذا الاستعراض العجل أن روايات نجيب الكيلاني التاريخية متأثرة إلى حد كبيـر بروايات باكثيـر في مضمونها واتجاهها في إبـــراز الأفكار الإسلامية المختلفة ، إذ تتجاوز الروايـة عند كليهما إطارها التـاريخي لتلقـي بظلالها علـى واقـع الحيـاة المعاصرة ، ولاستشراف آفـاق الحاضر للوصـول إلـى مستقبـل أفضـل ، وهذا لا يمنع أبدا ـ بل ومن الطبيعي ـ أن تختلف قدرة كل مـــن نجيـب وباكثير في التعامل مع العمـل الروائي ، فباكثيـر على سبيل المثال يولي الفرد دورا طبيعيا في تحريكـه لأحداث التاريخ ، ويظهـر ذلك بوضوح جـلي في روايتـــــه (والإسلام) ، بينما يقف نجيب على النقيض من ذلك ، فهو يركـز على حركـة الجماهيـر في كفاحها الجماهـي وتغييرها للواقـع ، وهذا متمثل في رواياته التاريخية بشكـــل عام . إلا أن ثمة ملاحظة لا بد من التنبيه اليها ، وهي أن قدرة باكثيـر على تحليـــل الأهداف وتفسيرهـا والتعميـق فيها ، أظهـر منها عند نجيـب ، وأكثـر ما يتمثـــل ذلك في رواية باكثيـر (الثائـر الأحمـر) ، التي تدل على فهم عميق وشامل للحركـــة الشيوعيـة ، ومبادئهـا الفكريـة والاقتصاديـة ، وإن كانـت شخوصـــه أحيانا ينقصها التصوير النفسي الدقيق ، الذي يجعلها تميل إلى أن تكـون مسطحـة خاصـة في روايته (والإسلام) . أما من حيث اللغة، فقد أولاها باكثير اهتمامه فبـدت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعبيراتها شيقة معبرة فاقت لغة نجيب في رواياته التاريخيـــة التي كتبها في فتـرة مبكـرة مثل (طلائع الفجـر) ، و (اليوم الموعـود) ، أما في رواياته التي صـــدرت مؤخرا مثل (قاتل حمزة) و (نورالله) ، و (مواكـب الأحـرار) ، فإن نجيبـــا بدأ يهتم بالجانب البياني والتصوير الجميل من خلال انتقاء الالفاظ والتعابيـــر ، ذات الدلالات الموحيـة التي ألقت بظلالها على رواياتـــه .

وقبل أن أنهـى الحديث عن موقـع روايات نجيب التاريخية في الأدب العربي في مصـر ، لا بد من القول إنه من الممكن أن يوضع نجيب الكيلاني وباكثير ضمن مدرســة واحدة في هذا المجال ، وبتحديد أكثر فان نجيب الكيلاني يمكن اعتباره تلميـــذا مخلصا لباكثير، إذ سار على منهجه في طرح التصورات الإسلامية من خلال الرواية التاريخيـة في محاولة منه لإسقاطها على الواقع وتفسير أحداثه . وربما كان للصداقة الشخصيـــة التي جمعت بين نجيب وباكثير أثر في ذلك فقد كانت لقاءاتهما متعددة . وكثيرا ما أثنى عليه نجيب لما يطرحه من أفكار إسلاميه في أعمالـه الروائيـة بشكـل خاص والأدب بشكل عام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الثالـــث

روايات نجيب الكيلاني الاجتماعيـــــــة

١ـ موضوعات الرواية الاجتماعية وقضاياهـا .

٢ـ البنـــــاء الفنـي .

٣ـ موقع روايات نجيب الكيلاني الاجتماعية من مسيرة الرواية الاجتماعية في مصـــر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روايات نجيب الكيلاني الاجتماعيـــة

١- موضوعات الرواية الاجتماعية وقضاياها :

شهدت الرواية الاجتماعية في مصر تطورا كبيرا على يد عدد من الأدبـــاء، الذين انصب اهتمامهم على معالجة الواقع الاجتماعي وقضاياه المخـــتلفة في محاوله منهم لرصد حركة التغيير الاجتماعي التي واكبت التغيـــــرات السياسية والاقتصادية التي مرّت بها مصر ، خاصة بعد فترة الأربعينـــات وحتى الآن . ولم تقتصر جهود الروائيين الذين اهتموا بالرواية الاجتماعية على معالجة مشكلة فردية بحد ذاتها، وإنما جعلوا كل اهتمامهم مركزا علـــى طبقة أو شريحة اجتماعية معينة ، ولهذا فالشخصية في روايات هـــؤلاء لا تمثل فردا يعيش أزمة خاصة ، وإنما يصور هذا الفرد في تفاعله مـــــع أحداث البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها .

وقد خاض نجيب الكيلاني ميدان الرواية الاجتماعية منذ بداية الستينات، فصدرت له حتى الآن خمس روايات ، تناولت الواقع الاجتماعي بسلبياتـــــه وإيجابياته وهذه الروايات هي :

أ- ليل الخطـــايا (١) .

ب - الربيع العاصف (٢).

ج - حمامة ســـلام (٣).

---

(١) نجيب الكيلاني ،ليل الخطايا ،دار الفكر ،دمشق ،ط١ ، ١٩٦٠م.

(٢) نجيب الكيلاني ،الربيع العاصف ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ١٩٨١م.
وصدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٦٢م عن مكتبة دار العروبة،القاهرة.

(٣) حمامة سلام ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٩٨١م . وصدرت الطبعـــــة الاولى منها سنة ١٩٦٢م. ونشرت تحت اسم آخر وهو (ابتسامة في قلـــب شيطان).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د ـ الذين يحترقـــون (١).

هـ ـ أميرة الجبـــل (٢).

والمتتبع لروايات نجيب الكيلاني الاجتماعية يلاحظ أنه قد ركز اهتمامـــه الكبير على معالجة قرية الريف في مصر، وذلك في ثلاث من رواياته هي: (حمامة سلام)، و(الربيع العاصف)، و(الذين يحترقون)، أما روايته الرابعة (أميـــرة الجبل)، فقد صورت واقعا يشبه الريف المصري إلى حد بعيد في نظرته للقضـــايا المختلفة، وقد جرت أحداثها في بيئة عشيرة (الشحوح) بالقرب من منطـــقة رأس الخيمة في الخليج العربي. وقد حاولت بعض هذه الروايات بشكل عام رصد حركة التفاعل بين القرية والمدينة، وقد بدا ذلك بوضوح في روايتي (أميرة الجبل)، و(الربيع العاصف)، وظهر تعديا في رواية (الذين يحترقون)، أما روايـــة (حمامة سلام) فقد شذت عن هذه الروايات السابقة في أن أحداثها دارت كليا في بيئة القرية دون وجود لأي تفاعل بينها وبين المدينة.

وقد خرجت رواية (ليل الخطايا) عن نطاق بيئة الريف، لتنتقل إلى المدينة لمعالجة مشكلة اجتماعية محددة، تعرضت لها أسرة تنتمي إلى الطبقة المتوسطـــة في مدينة القاهرة.

ويبدو أن من أهم الأسباب التي دفعت نجيبا للاهتمام الواضح بواقـــع القرية، هو أنه أصلا ولد ونشأ في أحضان القرية، وعايش بعض ما كانت تعانيـــه من مشكلات وقضايا مختلفة، ثم إن نجيبا قد عمل في مناطق مختلفة كطبيب بعـــد تخرجه من كلية الطب سنة ١٩٦٠م، ولهذا ليس غريبا أن يكون العمل الطبـــي وواقع الأطباء قد سيطر على أحداث روايات ثلاث من رواياته الاجتماعية، هـــي: (الربيع العاصف)، و(الذين يحترقون)، و(أميرة الجبل).

---

(١) الذين يحترقون، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٢) أميرة الجبل، صدرتغي ١٥ حلقة في مجلة الفجر القطرية من بداية العدد ١٠ في ١٩٧٥/٣/٢٩، إلى نهاية العدد ٢٤ في ١٩٧٥/٧٩٤ من السنـــة الأولى، ولم تنشر بعد في كتاب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطرحت الروايات التي عالجت واقع الريف بعض التساؤلات عن بعض القضايا المهمة التي يعايشها الفلاحون في واقعهم اليومي ، وهذه القضايا تشمل الواقع الاجتماعي والاقتصادي والصحي وغيرها من القضايا المختلفة .

فرواية (الربيع العاصف) كشفت ما يدور في نفسيات بعض أهل الريف ، من خلال تعيين إحدى الممرضات للعمل في الوحدة المجمعة في قرية شرشابة ، وكانت هذه الممرضة من مدينة القاهرة ، فذهبت للعمل وهي كارهة له ، لما تعرفه عن الريف من جهل وفقر وتأخر ، وتتطور علاقة هذه الفتاة مع الطبيب الذي تعمل معه ، وهو قد قدم أيضا من إحدى المدن المصرية ، وتبين للممرضة أن هذا الطبيب يستغل الفلاحين أبشع استغلال ، يأخذ الرشاوى بدعوى أنها هدايا ، ويقبض ثمن علاجه للفلاحين الفقراء ، على الرغم من أن تعليمات حكومة الثورة في مصر تقضي بأن يكون العلاج مجانيا ، والطبيب يعمل هذا بغية الوصول إلى الثراء السريع ، ليملك البيت والسيارة ، ولو كان ذلك على حساب الفقراء من الفلاحين ، الذين لا يجدون ما يقتاتون به إلا القليل . أما علاقة الممرضة مع بعض أهل القرية فتكشف أسرار كانت تخفى على القرية نفسها ، كتجارة المخدرات ، وقطع الطرق ، والتلاعب ببضاعة الجمعيات التعاونية ، وغش البضائع التي تورد للوحدة المجمعة ، كل ذلك يجرى وكثير من الناس لا يعلمونه ، إلى أن قدمت هذه الممرضة ، التي تكالب عليها المسؤولون عن كل ذلك ، فكشفت الأقنعة عنهم ، وسبّب ذلك تنافسا بين هؤلاء المستغلين المتاجرين ، وأدى هذا التنافس إلى قيام صراعات عنيفة بينهم ، كان من نتائجه التدمير والحرق . وتكشف أحداث الرواية أيضا سلبية عالم الدين في القرية وجهلة ، إذ أرجع كل مصائب القرية هذه إلى الممرضة الفاتنة التي سحرت أهل القرية وكأنها شيطان ، دون أن يعي تماما جذور الصراع وحقائق العلاقات في القرية ، وكأنه يعيش في عالم آخر غير عالم هذه القرية .

وإذا كانت رواية (الربيع العاصف) قد كشفت بعض أسرار القرية وسلبياتها فإن رواية (الذين يحترقون) قد صورت صراعا عنيفا داربين طبيبين يعملان في مستوصف قرية ما من ريف مصر ، حيث يقوم الطبيب موريس باستغلال جهل الفلاحين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقوانين الصحية وأمور العلاج ، فيحصل على أموال غير مشروعة من خلال معالجتهم في بيوتهم بالاتفاق مع المرض حامد ، الذي يحصل على جزء من أجر العلاج ، مقابل توفير المرضى له . أما الطبيب الآخر محمد القادم من القاهرة للعمل في قريته فيصطدم مباشرة مع موريس ، إذ يرفض محمد أخذ أجر لقاء المعالجة ، كما أنه يعمل في المستوصف بأقصى طاقته حتى نهاية الدوام إن لم يزد ، كما كان يعالج المرضى أحيانا في بيوتهم دون أي مقابل ، مما جعل المرضى من الفلاحين يرتادون عيادته للعلاج ، مما هدد مصالح موريس ، الذي قلّت عائداته من جراء ذلك ، فبدأ يشكك في الطبيب محمد والطعن فيه ، ويحاول الإيقاع به أكثر من مرة ، إلا أن أهل القرية وقفوا وقفة جماعية مع محمد ، حتى تم نقل موريس من القرية ، وأُجريت له محاكمة لأفعاله وتصرفاته في علاج الفلاحين .

وتكشف بعض أحداث الرواية ما أصاب الجهاز الصحي والإداري من فساد وخلل لانتشار الرشوة بين موظفيه ، كما عرضت الرواية شقاء الفلاحين وتعاستهم في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية قاسية .

أما رواية (أميرة الجبل) ، التي تقع أحداثها في منطقة رأس الخيمة وبالقرب منها ، فتكشف بعض مظاهر التخلف والجهل الذي يحيط بسكان عشيرة الشحوح ، من خلال زيارة طبيب للمنطقة وعلاجه لابنة زعيم العشيرة (مريم) ، إذ تتوطد العلاقة بين الطبيب وهذه المريضة ، وتتحول إلى علاقة عاطفية قوية نتيجة لكثرة اللقاءات التي جمعتهما ، على الرغم من الفارق الواسع بينهما في المستوى العلمي والثقافي ، وتنعكس هذه العلاقة العاطفية على العشيرة بشكل عام ، وتبرز على السطح بعض القضايا الاجتماعية لهذه البيئة ، ومنها انتشار الشعوذة والجهل بين أفرادها ، كما أن المرأة تعاني من ظروف اجتماعية صعبة ، وتقيّد بقيود كثيرة تحدّ من قدرتها على التعبير الصريح عن نفسها ، خاصة فيما يتعلق بالقضايا العاطفية مع الرجل ، إذ أن ذلك يعتبر إهانة لشرف العشيرة ككل لا يمحى إلا بالدم ، وتظهر الرواية أيضا مدى الصعوبات والمضايقات التي تواجه الطبيب المغترب في هذه البيئة الخليجية ، إذ أن كل كلمة أو حركة منه قد تفسّر تفسيرات بعيدة عن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواقع ، ولهذا لا بد من أخذ الحيطة والحذر في التعامل مع واقع هذه البيئة بقيمها وتقاليدها المختلفة .

أما الرواية التي عرضت واقع الريف دون اللجوء إلى اظهار تفاعله مع المدينة، فهي رواية (حمامة سلام) ، التي تبرز الصراع الدامي بين الفلاحين الفقراء وبين الحاج عبد الودود الإقطاعي الذى يستغلهم بوحشية ، حين يؤجرهم الأراضي دون أن يحدد لهم السعر ، حتى يضع ما يناسبه من الأسعار المرتفعة ، التي ترهق كاهل الفلاحين ، خاصة إذا جاء وقت الدفع وكان إنتاج المحصول متدنيا حينئذ يحتدم الصراع بين الطرفين ، وقد يصل إلى سفك الدماء . وقد تجرأ هذا الإقطاعي على سلوك هذا النهج لما كان يراه من جهل يسيطر على الفلاحين ، ولا طمئنانه إلى حماية القانون له ، وقد وصل به الأمر في بعض الأوقات أن يطلب من الحكومة سجن بعض الفلاحين وتعذيبهم ، لتخلفهم عن الدفع له ، كما طرد عددا كبيرا من هؤلاء الفلاحين لعدم تقيدهم بدفع ما طلبه من المبالغ الضخمة ، مما جعل حياتهم جحيما لا يطاق ، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد زواجه من إحدى نساء القرية (سكينة) ، التي أقنعته بضرورة تغيير أسلوب التعامل مع الفلاحين ، لضمان الأمن والسلام، ونجحت في مسعاها ، فتنازل عبد الودود عن مطالبه من الفلاحين، وأمهلهم فترة مناسبة لسداد الديون ، كما أنه وضع الأسعار المناسبة التي يمكن للفلاحين دفعها ، فعاشت القرية بعد ذلك بسلام .

وبعيدا عن بيئة الريف ومشكلاته، إنتقل نجيب إلى عالم المدينة في روايته (ليل الخطايا) ، التي تعرض واقعا لأسرة من الطبقة المتوسطة تعيش في أحد أحياء القاهرة ، إذ يقوم الابن الأكبر عبد البديع بتولي أمور أمه وإخوته ، إضافة إلى زوجته وهبية ، وقد كانت معاملته لزوجته يشوبها بعض الاضطراب ، إذ كان يضيق عليها الخناق ، ويقيدها بالقيود المختلفة ، فلا يسمح لها بالاختلاط مع غيرها من خلال الزيارات واللقاءات ، فكانت تعيش وكأنها في سجن ، وقد ذكرها حال زوجها معها بحال والدها ، الذي كان قاسيا في معاملته لها حتى وصل به الأمر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن قام بكيّها بمسمار في كتفها حين قبض عليها تتكلم مع أحد الشباب وهي صغيرة السن . ثم تتطور أحداث الرواية ، ويدهشنا الأسلوب غير الواقعي الذي انتهجته وهيبة في محاولتها التمرد والثورة على واقعها ، الذي يشكل في نظرها قيدا على حريتها ، يعيق تحركاتها وتصرفاتها المختلفة ، فانتهزت غياب زوجها المنتدب الى إحدى المناطق لتقوم بخيانته مع أخيه الطالب سامي ، وأخذت تعبر عما يجيش في صدرها من شوق إلى الخروج والتمتع بمباهج الحياة المحرومة منها ، ثم يعود زوجها أخيرا ولكن دون أن يكتشف خيانة زوجته ، أما سامي فقد سافر المنطقة أخرى بعد أن تلقى طلبا للعمل فيها ، ثم رحلت الأسرة إلى مكان آخر بإصرار غريب من وهيبة .

٢ـ البناء الفنـــي :

لما كان همّ الكاتب أن يصور حركة الواقع من خلال تحليل عميق وواسع ، فإنه يتحتم عليه أن يعتمد أساسا على أحداث ـ سواء أكانت رئيسية أم فرعية ـ تكون قريبة من هذا الواقع ، وبعيدة عن المبالغة والافتعال ، لتبدو الرواية وكأنها ترسم حياة واقعية مليئة بالحيوية والتدفق ، مما يجعل القارئ يعيش أحداث الرواية وشخصياتها دون شعور بالغرابة والملل ، لأنه يجد في هذه الأحداث والشخصيات تعبيرا عن الواقع بصدق دون محاولة للتزييف ودون اللجوء إلى الأعمال الخارقة الخيالية التي تدغدغ عواطف الإنسان في محاولة للهروب من وطأة المشكلات الواقعية التي تواجهه .

وقد تفاوتت روايات نجيب الكيلاني الاجتماعية في مدى قدرتها على التعامل مع الشخصيات والأحداث من خلال الوسائل الفنية المتاحة ، فحاولت رواياته هذه معالجة الواقع الاجتماعي بتحسس ما يعانيه من مشكلات وقضايا مختلفة ، وإن لم يوفق المؤلف كثيرا في اختياره للأحداث والشخصيات ، التي تعيش هذا الواقع معايشة حقيقية واعية وصادقة ، فبدت وكأنها بعيدة عنه . وهذا ما سأحاول تبيانه وتوضيحه من خلال تحليل فني لهذه الروايات في محاولة للوقوف على أهم الخطـــوط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرئيسيه فيها للتعرف على مدى نجاح المؤلف أو إخفاقه في طرحه للقضايا الاجتماعية المختلفة ، سواء أكان ذلك في الشكل أم في المضمون . فقد جسدت رواية (حمامة سلام) الصراع المأساوي الذى يقوده الفلاحون في إحدى قرى الريف المصري في مواجهة أحد الاقطاعيين الذي أبى على نفسه إلا أن يكون ظالما وقاسيا على هؤلاء المساكين، الذين لا يملكون إلا القليل الذي يسدون به رمقهم . فقد لجأ هذا المستغل - الحاج عبد الودود - إلى طريقة استغلال بشعة الحقت الضرر البالغ بالفلاحين ، فقد أجرّهم الاراضي الزراعية دون أن يحدد لهم سعر الايجار ، مستغلا جهلهم وحاجتهم ، حتى إذا ما أصاب المحصول التلف من جراء الحشرات الضارة ، وقع هؤلاء الفلاحون في أزمة مادية واجتماعية خانقة ، إذ أن عماد حياتهم يتوقف على ما تنتجه أراضيهم ، وهم لا يملكون المال اللازم لتسديد ما عليهم للحاج عبد الودود ، الذي رفض بحزم أي تفاوض مع الفلاحين من أجل تخفيض قيمة الإيجارات ، وتأجيل السداد إلى وقت آخر . ولما فشلت الجهود كلها تحركت جموع الفلاحين تؤازر أحد الطلاب الذي قام خطيبا في مسجد القرية يعرض بالمستغلين المجرمين ، فتحرك بعض مؤيدي الإقطاع وعلى رأسهم العمدة في محاولة للقبض على هذا الشاب (١) إلا أنه أفلت منهم وتمكن من الهرب ، فقامت السلطة باعتقال عدد من الفلاحين وتعذيبهم .

ثم تطورت المواجهة بين الفلاحين والحاج عبد الودود إلى أن وصل الأمر به إلى قيام بعض الفلاحين الطامعين بإحراق بعض مزارع عبد الودود وسرقة محاصيله، ثم تسرع أحداث الرواية نحو النهاية ، حين اقتنع الحاج عبد الودود برأي زوجته - الثانية - سكينة التي نصحته بضرورة عقد المصالحة مع الفلاحين ، والتخلي عن شروطه المجحفة بحقهم ، وتم ذلك فعلا، إذ عاد الفلاحون للعمل من جديد بعد أن أجل عبد الودود دفع ما يترتب عليهم من أموال ، وأفرج عن المعتقلين فعاد الهدوء والسلام للقرية .

---

(١) انظر : حمامة سلام ، ص ١٩ - ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاءت حبكة الرواية متماسكة إلى حد ما في أحداثها ، إذ اعتمدت على حدث رئيسي وهو تصوير الصراع بين الفلاحين والإقطاعي عبد الودود ، وقد عزز المؤلف هذا الحدث بحدث فرعي تمثل في القصة الغرامية التي جمعت سكينة مع ربيع قبل أن تتزوج عبد الودود ، وقد توّجت هذه العلاقة بالفشل، ولم يكن هذا الحدث ذا أهمية كبيرة في تطوير أحداث القصة ، وقد جيء بهذا اللقاء مزيد من الضوء على عبد الودود نفسه للتعرف على طمعه واستغلاله ، لأهل القرية جميعا ، حتى أنه استخلص سكينة لنفسه مستغلا ضعف شخصية ابنه وتردده فمنعه من الزواج بها .

ولأن الرواية رواية أحداث بشكل أساسي ، فإن نجيبا لم يأبه بتصوير البيئة ورسم الشخصيات لتمثيل فكرة الرواية بطريقة واقعية حقيقية ، فكل ما يعنيه من الأمر هو تقديم سلسلة من المواقف الحرجة ، والأحداث المثيرة والعواطف المتأججة ، ونتيجة لذلك جاءت صورة القرية في رواية (حمامة سلام) باهتة وغامضة وغير محددة المعالم ، فلا يشعر القارئ بأي احساس عميق تجاهها ، فلم تتعرف على عمل الفلاحين وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم، التي تشكل جزءا أساسيا من هذه البيئة .

أما الزمان فلم يذكر بصورة مباشرة في الرواية ، إلا أن مجرى الأحداث يكشف أن زمنها كان في فترة اشتعال الحرب العالمية الثانية ، فقد تحدث المؤلف عن الناس في القرية ، وتعلقهم بهتلر وذكرهم له أكثر من الله (١) .

وأكبر عيب وقعت فيه رواية (حمامة سلام) يكمن في نهايتها غير المقنعة ، التي لا تتفق وواقع الصراع الاقتصادي والاجتماعي في القرية ، إذ أن المؤلف يسعى جاهدا لإقناع القارئ بهذه النهاية الصامتة عندما أقام مصالحة بين الفلاحين والإقطاعي المستغل ، من خلال إقناع سكينة لعبد الودود بضرورة هذه المصالحة على الرغم من أن الصراع كان دمويا ، فبالأمس القريب قتل عبد الودود هذا أحد الفلاحين ، وطرد قسما كبيرا منهم من الأراضي التي يعملون فيها ، كما استنجد

---

(١) انظر : حمامة سلام ، ص ١٩ - ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالسلطات المختصة لتلقي في غياهب السجون البقية الباقية من هؤلاء الفلاحين ، ومع كل هذا تأتي سكينة زوجته بلمسة سحرية وبسهولة غير متوقعة تقنعه بضرورة المصالحة مع الفلاحين ، فالرواية عجزت عن فهم الصراع الحقيقي في القرية فجاءت نهايتها حالمة رومانسية شابها كثير من الخيال ، فنجيب نظرا للواقع كما يجب أن يكون ، لا من خلال ما هو قائم حقيقة ، مغفلا الظروف الاقتصادية والاجتماعية المعقدة التي تشكل واقع الريف ، حين نادى بضرورة تلاقي الطبقات ، وإقامة المصالحة بينها عن طريق الحب ، الذي يوصل للأمان والسلام دون إراقة للدماء ، فكانت معالجته لهذه القضية في روايته (حمامة سلام) معالجة غير واقعية وبعيدة عن المنطق .

والملفت للنظر في رواية (حمام سلام) هو إهمالها للشخصية المعبرة عن واقع الفلاحين التي تتجسد فيها آمالهم وطموحاتهم ، وكأن المؤلف يريد أن يقول : إن الفلاحين بجموعهم وموقفهم صفا واحدا في مواجهة الاستغلال ، هم البطل بشكله الجماعي لا الفردي ، ويمكن فعلا القول إن بطل هذه الرواية بلا منازع هم الفلاحون ، الذين وقع عليهم ظلم الحاج عبد الودود ، فكان ردهم واقعيا وطبيعيا على استغلاله وجبروته ، لأن هذا الظلم قد وقع عليهم بصفة جماعية وليست فردية محددة .

ويلتقي القارئ في هذه الرواية بثلاثة نماذج للرجل المتدين ، وأول هذه النماذج الطالب الأزهري جلال الدين ، الذي استطاع أن يثير الحماسة ويوجه الفلاحين للوقوف ند الظلم الذي وقع بهم ، فكان يؤمن بضرورة المواجهة دون تردد (١) ، إلا أن المؤلف قطع دابر هذا الطالب بعد أن ألقى خطبة الجمعة في جموع أهل القرية ، فلم يطلعنا على أي دور له بعد ذلك . أما النموذج الثاني فيتمثل بالمتدين الصوفي عبد الباقي الذي يرفض القوة والعنف منهجا وسلوكا بتغيير الواقع ، إيمانا منه بضرورة المحافظة على وحدة القرية بفئاتها المختلفة للوصول إلى المصالحة بالطرق

---

(١) انظر : حمامة سلام ، ص ١٨ - ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلمية ، وهذا ما ركز عليه نجيب وأكده من خلال أحداث الرواية ، أما النموذج الثالث ، فهو المتدين الذي يوالي الظلم وينافق له عن جهل وحمق منه ، وقد مر عليه المؤلف مرورا سريعا ، حتى أنه لم يطلع القارئ على اسمه ، إلا أن نجيبا رسم له صورة مضحكة تبعث على السخرية ، وذلك عندما قام هذا المتدين بإلقاء خطبة الجمعة في القرية ، ودعا في نهايتها أن ينصر الله السلطان وجنده في وقت ليس فيه للمسلمين سلطان ، مما دفع بعبد الودود نفسه إلى الاستهزاء به والسخرية منه لجهله وحمقه. (١)

والشخصيتان الرئيسيتان اللتان نالتا أكبر الاهتمام في هذه الرواية، هما: الحاج عبد الودود، وزوجته سكينة التي تزوجها على الرغم من تعلق ولده ربيع بها، وقد وفق المؤلف في عرضه لشخصية هذا الإقطاعي منذ بداية الأحداث ، فعرض وحشيته وظلمه وتجبره ، ومدى استغلاله لواقع الفلاحين ، وقد لجأ المؤلف إلى تصوير كل ذلك من خلال السرد المباشر والحوار المعبر عن هذه الشخصية وأفكارها ، والأهم من كل ذلك تجسيده لهذه الشخصية من خلال مواقف واقعية قام بها ضد الفلاحين ، وقد بلغ من طمع عبد الودود واستغلاله أنه حرم ابنه الساعد الأيمن له في العمل من الزواج بسكينة ، فاختطفها منه ، مع أن كل من في القرية يعلم أنها لربيع ، وحطم أحلام ابنه وجعله يعيش حياة النكد والتعاسة ، ثم أقدم على وسيلة القتل لإرهاب الفلاحين ، وتحطيم معنوياتهم . والحوار التالي بينه وبين ابنه ربيع يظهر مدى الظلم الذي وصل إليه، يقول لابنه بعد أن أعلمه أن الفلاحين ينوون الشر به : " إنهم أحقر وأجبن من أن يرفعوا رؤوسهم

إن الله عما ما تقول ـ

قال أبوه في سخرية : وماذا تقترح ؟

ـ الصلح خير .

ـ آه كنت أحسبك نسخة من أبيك ، فإذا بك جبان وعديد مثل أمك . . . ألا فاعلم أيها المغفل إن كسر أعناقهم ، وتمريغ أنوفهم في التراب هي السياسة المثلى ، ولو لم تفعل ذلك فسيأكلون لحمي ولحمك . . . " (٢)

---

(١) حمامة سلام ص ٢٥ - ٢٦ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٧ - ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلجأ عبد الودود لتأكيد وجهة نظره إلى تفسير الآيات والأحاديث بما ويتفق ومصلحته الخاصة ،ليبرر من خلالها ما يقوم به ،فعندما تلف محصول الفلاحين رأى ذلك من غضب الله عليهم ، وعندما أخبره ابنه ربيع بنيته الزواج من سكينة زجره وهدده ، متعللا بقول الرسول عليه السلام - (إياكم وخضراء الدمن) ،أي المرأة الجميلة في المنبت السوء (١) ،ومع ذلك يقدم على انتزاعها منه بصفاقة .

أما سكينة فقد تلت شخصية عبد الودود من حيث الاهتمام ،إلا أن طريقة تقديمها غلبت عليها التقريرية المباشرة ،إذ عرض المؤلف صفاتها الخارجية والنفسية بصورة مباشرة،ومنها قول نجيب : " فروعة جمالها لا يختلف فيه اثنان ،وذكاؤها مضافا لجمالها كفيل بأن يحقق لها ما تريد . . . "(٢) وعيب مثل هذا التقرير ، أنه لم يترك للقارئ نفسه التعرف على ذكاء سكينة من خلال مواقف عملية محددة ، كما أن المؤلف بهذا التقرير أراد أن يعطي إرهاصا وتنبؤا بما سيقوم به هذه الشخصية ،دون ضرورة فنية لذلك ؛ لأن الأحداث نفسها ستكشف مواقف الشخصيات المختلفة ، مما أفقد الرواية عنصر التشويق لمتابعة ما يطرأ على سكينة من تغييرات في سلوكها وتصرفاتها تجاه الأحداث .

وأمر آخر لا بد من الإحاطة به ، وهو أن نجيبا قد أغفل الظروف الاجتماعية لواقع القرية ، وما يتصف به هذا الواقع من محافظة وتشدد تجاه المرأة ،فأسند إلى سكينة أدوارا غير مؤهلة للقيام بها ، ومن هذه الأدوار ،قيامها بزيارات عدة إلى منزل عبد الودود لخدمته ، والسهر على راحته ، على الرغم من وجود زوجته إلى جانبه ،فلم نجد أي اعتراض أو ممانعة من هذه الزوجة ، وكأن الأمر لا يعنيها فلم تحرك ساكنا ،كما أن والد سكينة لم يقم حتى بمحاولة سؤالها عن زيارتها للحاج عبد الودود ، وما تقوم به هناك . هذا من ناحية ،أما من ناحية أخرى وهي الأهم فهي قيام سكينة بمهمة وقف الصراع الدامي بين الفلاحين وعبد الودود -

---

(١) حمامة سلام ،ص ٨ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد زواجها منه ـ فتجاهل المؤلف بذلك الظروف الموضوعية لهذا الصراع وأبعاده وكأن سكينة هي المحرك الفعلي للأحداث والمواقف المختلفة ، في وقت نشك فيه أن يكون مهيئا لأن تقوم امرأة بهذه الأدوار غير الواقعية .

ولقد كانت رواية (حمامة سلام) قد طرحت موضوع الصراع المادي بين الفلاحين ورموز الإقطاع ، فإن روايتي (الربيع العاصف) ، و (الذين يحترقون) اهتمتا بإبراز الصراع الذي تعيشه الشخصيات من خلال التفاعل والاحتكاك المباشر بين القرية والمدينة .

والروايتان لم تعتمدا على حادثة رئيسية ، ولا على حبكة تقليدية صارمة ، وإنما استندتا إلى مواقف معينة ، وكل موقف منها يشكل لوحده لوحة فنية تحتفظ باستقلالها إلى حد ما ، ثم تعود وتشكل هذه المواقف مجتمعة مبنى العمل الروائي بصورته المتكاملة ، ضمن اهتمام بالغ بالشخصيات وما يصدر عنها من أفعال ، وما تعيشه من صراعات ، فجاءت الأحداث القليلة في هاتين الروايتين لخدمة هذه الشخصيات ، وإلقاء الأضواء عليها ، ولهذا يمكن اعتبارهما إلى حد بعيد روايتي (شخصيات) ، لما تضمنتهما من سمات تتشابه كثيرا مع هذا النوع من الروايات (١) .

وفي معرض معالجة نجيب لواقع القرية في روايته (الربيع العاصف) ، لم يفرض على القرية مشكلة من خارجها ، ولم يحاول أن تكون روايته هذه منبرا للتبشير برأي معين لتصور فكري مسبق ، ولكنه حاول رصد حركة القرية في تصادمها المباشر مع بيئة المدينة من خلال افتتاح الوحدة الطبية المجمعة في قرية شرشابة ، التي قامت حكومة الثورة ببنائها لرفع المستوى الصحي فيها . ومن خلال هذا الاحتكاك بين القرية والمدينة يمكن الوقوف على بعض ما يعانيه واقع الريف من المشكلات ، التي

---

(١) انظر : رواية الشخصية في كتاب بناء الرواية لموير ، ص ١٨ ، ومحمد نجم ، فن القصة ، ص ١٢١ - ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم نجد بعد لها حلا ، ومن أهم هذه المشكلات انتشار المخدرات ، والغش والرشوة والسرقة ، وخيانة العمل الوظيفي في المستوصفات الطبية والجمعيات التعاونية التي أنشئت لخدمة الفلاحين .

وقد مثل تيار المدينة الوافد شخصيتان وهما : الطبيب رمزي والممرضة منال ، وقد كانت منال أكثر حضورا وامتدادا على صفحات الرواية ، فهي تشكل محور الصراع والتفاعل فيها ، فهي فتاة على قدر كبير من الجمال ، تخرجت ممرضة من (القصر العيني) وعينت حديثا في قرية شرشابة لتعيل أسرتها بعد وفاة والدها ، ولما حضرت إلى القرية لاستلام العمل ، بدت متأففة من قرار تعيينها في الريف ، إذ كانت تنظر إليه نظرة سوداوية ، لأن فيه المرض والقذارة والملل القاتل ، فخيل إليها أنها كانت سائرة إلى حتفها (١) . ثم انطرت لتعيش واقعها الجديد ، وتتفاعل معه ممثلا بالشخصيات التالية : الطبيب رمزي ، وعبد المعطي (باشكاتب الوحدة المجمعة) ، وحامد (متعهد أغذية الوحدة) وعلي (شيخ القرية) .

أما الطبيب رمزي أحد رموز الجيل المتعلم والمثقف ، فلم يكن بعنيه السعي لإنهاض الريف ، ومحاولة تحسين أوضاعه ضمن مجال عمله ، وإنما انصب اهتمامه على تحسين وضعه المادي ، وإن كان ذلك بطرق غير شرعية ، فهو أولا يتقاضى الرشوة بحجة أنها هدايا من الفلاحين ، وثانيا ، يقوم بمعالجة المرضى من الفلاحين خارج الوحدة المجمعة (٢) مقابل أجر ، وهذا أمر يعاقب عليه القانون ، لأنه مخالف لتعليمات وزارة الصحة ، التي تقضي بأن يكون العلاج مجانا للفلاحين مهما كانت الظروف . وقد برر رمزي لجوءه إلى هذه الطرق الملتوية ، بأنه دفع تكاليف باهظة خلال دراسته الطب ، كما أن طبيعة العمل في الريف تقتضي ذلك ، إذ أن الظروف صعبة حيث البعوض والجهل ، وانعدام وسائل الراحة والترفيه ، وحوار رمزي مع منال

---

(١) انظر الربيع العاصف ، ص ٣ - ٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦ - ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يظهر توجهاته وأهدافه ،إذ يقول لمنال :" في بحر عام يجب أن امتلك سيارة فاخرة تليق بي كطبيب ، كما يجب أن يكون لي مبلغ كبير من المال .

فقالت وهي تبتسم :

ـ أحلام الأطباء الجدد ، مجد ومال وعربية فاخرة " (١)

ولم يقف الأمر به عند هذا الحد ،بل تعداه إلى محاولة الاعتداء على العرضة منال ، إلا أنها كانت تتمنع عليه في البداية ،ثم بدأت تتغير تدريجيا إلى أن قبلت راضية على مطارحته الغرام (٢) ، وليس ذلك جديدا عليها ، فقد خاضت هذه التجربة مرارا خلال دراستها في (القصر العيني) .

وقد كانت علاقة منال مع الشخصيات الريفية أكثر حضورا وامتدادا على مدار صفحات الرواية ،خاصة مع عبد المعطي كاتب الوحدة المجمعة ،وحامد متعهد أغذيتها ، ثم بديهما في الأهمية علي شيخ القرية . أما علاقتها مع عبد المعطي فقد كانت وثيقة وقوية من منطلق كونه أحد موظفي الوحدة ممن تلتقي بهم يوميا ،وقد كان على حظ من العلم والثقافة ، كما أنه من أكثر المهتمين بشؤون القرية ،فمن حين لآخر يرسل العرائض والشكاوى للمسؤولين ،يحثهم فيها باسم القرية على الأهتمام بأوضاع الفلاحين وتحسينها ،وقد أثمرت جهوده حين تم بناء الوحدة المجمعة ، كما كان أيضا يرصد تحركات المفسدين والعابثين في القرية ،ويحاول ايقاعهم بشتى الوسائل والسبل ، إلا أن عبد المعطي هذا كان يعيش في فقر ومرض ، فهو يعاني من مرض في كبده منعه من الزواج ،فعاش في تحسر وضياع (٣) ،ولما حضرت منال للقرية بدا له أن أملا يلوح له في الأفق ،فأخذ يتقرب إليها مرارا محاولا إثارة الاهتمام به وبعواطفه تجاهها ،ولما علم بمنافسة كل من حامد وعلي على منال ثار الدم في عروقه وامتشق سيف الشر للقضاء عليهما والتخلص منهما وإلى الأبد ،فهو يعتبرهما ألد أعدائه ، ليس فقط لإنهما ينافسانه على حب منال ، وإنما لأنه يرى فيهما سبب فقره

---

(١) انظر الربيع العاصف ،ص ٢٦ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ،ص ١١٧ - ١٢٦ .

(٣) انظر :المصدر نفسه ،ص ١٤ - ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومرتبه ، لما يتمتعان به من ثراء وجاه وسلطة ، بينما هو بعلمه وثقافته لم يتبوأ المكان اللائق به ، ولم يقف الأمر عند ذلك بل قام برصد تحركات الطبيب رمزي وطريقة معاملته لمنال ، فشاهده معها في مواقف غرامية غير لائقة ، لذا أخذ ينفذ خطة ليوقع بهم جميعا ، فأرسل الشكاوى للمسؤولين عن بعض التصرفات السلبية في القرية فرمزي غاش وخائن لعمله ، وحامد يتاجر بالمخدرات ، ويغش أغذية الوحدة المجمعة ، وعلي يحمي اللصوص وقطاع الطرق ، ويسطو على الجمعية التعاونية ويستخلص لنفسه كمية كبيرة من السماد على حساب الفلاحين ، وأطلت الفتنة برأسها في القرية ، فقد بدأ التحقيق مع الطبيب وتقرر نقله وخصم جزء من راتبه ، أما علي فقد ألقي القبض عليه فجأة دون إنذار ، فظن أن حامد قد أوقع به فقام أقرباؤه بإحراق مقهى حامد ومنزله ، وهاجت القرية ، وتحركت فيها الضغائن المكبوتة لتطفو على السطح ، ثم مالبثت أن هدأت الخواطر ، وخمدت الفتنة حين أفرج عن حامد وعلي بضمانات مالية .

وكشفت بعض مواقف الرواية عن الجهل وعدم الوعي لطبيعة الصراعات والظروف التي تعيشها القرية ، وتمثل ذلك بالتفسير الساذج الذي قدمه شيخ الصوفية حول اقتتال أهل القرية ، فعلل سبب ذلك كله بوجود منال ، إذ أن الشيطان دخل إلى القرية حين قدومها من المدينة (١) ، وهذا التفسير يعني أن هذا الصوفي غارق في عزلته ، بعيد عن معيشة واقع القرية ، وما تعج من تفاعلات مختلفة وإن بدا هذا الواقع في حالة سكون وركود .

وعنيت الرواية بتصوير معاناة بعض نساء القرية اللواتي كن يعشن ظروفا قاسية لا تليق بكرامة الإنسان ، وخير ما يمثل ذلك شخصية أم الغز ، زوجة حامد التي يستكثر عليها زوجها أن ينادي بها باسمها ، فيطلق عليها أسماء حيوانات ، إمعانا في تحقيرها وإذلالها ، ولا يكف عن شتمها وسبها حتى أمام الناس ، ولا سلاح لها إلا الصبر والطاعة العمياء لهجمته وأساليبه القاسية (٢) .

---

(١) انظر : الربيع العاصف ، ص ١٥٠ - ١٥١ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٥٠ - ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرواية بشكل عام عرّت واقع الريف وكشفت بعض عيوبه وسلبياته من خلال شخصيات حية متفاعلة ، بعيدة عن الافتعال والمبالغة ، وكانت تتحرك بحرية دون قيد لتعبر عما يستبد في صدورها ، وإن عكست هذه الشخصيات واقعا سلبيا تشاؤميا ، إلا أنها في عرضها لهذا الواقع كانت واقعية صادقة دون تزييف للحقائق . وقد تميزت هذه الرواية عن غيرها من روايات نجيب الاجتماعية ، بأنها اقتربت كثيرا من مفهوم الواقعية النقدية في معالجتها للواقع ، وكشفها لسلبياته التي قد تبدو خافية عن كثير من الناس ، إلا أن هذه الواقعية تغلب جو التشاؤم والسوداوية ، على الواقع دون أن تطرح أو تبشر بحل معين لمشكلات المجتمع (١) .

وقد أشاد أحد الدارسين برواية (الربيع العاصف) ، لما تضمنته من إدراك واع لما يجري في عالم القرية ، واعتماده على شخصيات إنسانية حية ، بدت منطقية ومتكافئة في تعاملها مع المواقف المختلفة ، فعبرت عن مشاعر إنسانية تمتد لتشمل الزمان والمكان دون التقيد ببيئة معينة (٢) .

وإذا كانت رواية (الربيع العاصف) قد تعددت فيها أطراف الصراع وتنوعت ، فإن رواية (الذين يحترقون) لم تسر على الشكل نفسه ، إذ اقتصر هذا الصراع على شخصيتين محوريتين ، أما معظم الشخصيات الأخرى فبدت عوامل كشف وتوضيح لهاتين الشخصيتين .

وقد كشفت المواقف المختلفة عن بعض ما يعتري الجهاز الطبي من خلل لما يقوم به عدد من الأطباء ، الذين اتخذوا من مهنة الطب وسيلة للاستغلال الجشع لأموال ودماء الفلاحين ، الذين قد لا يجدون ما يقتاتون به لما يعانونه من فقر مدقع

---

(١) انظر : محمد مندور ، الأدب ومذاهبه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة دون تاريخ ، ص ٨٥ ، وأحمد الهواري ، نقد الرواية في الأدب العربي الحديث مصر ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، وحسني نصار ، دراسات في أدب القصة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٠٩ ، وسيد حامد النساج ، في الرومانسية والواقعية مكتبة غريب دون تاريخ ، ص ٨٢ .

(٢) انظر تعليق محمد حسن عبدالله على الرواية : الربيع العاصف ، ص ١٩٦ - ١٩٧ ، ٢٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجهل وتخلف . فالطبيب موريس يسعى بكل الوسائل المتاحة لديه للثراء السريع غير الشريف على حساب هؤلاء الفلاحين ، ويمكن القول إنه يشبه إلى حد كبير الطبيب رمزي في رواية (الربيع العاصف) وعلل موريس سلوكه المنحرف كما علله رمزي سابقا فالعمل في الريف مرهق ، وراتب الحكومة لا يكفي ، فلا بد إذن من خرق القانون والتعدي عليه لمصالح ذاتية محدودة ، وإن كان ذلك يلحق الأذى بالآخرين ، ولأن عيون الحكومة غافلة عن متابعة ما يدور في القرية ، فإن ممارسة هذا الاستغلال والاستمرار فيه أصبح أمرا عاديا لدى الطبيب نفسه ، وممن يعالجهم خارج الوحدة المجمعة مقابل دفع الأجور المرتفعة التي تثقل كاهل الفلاحين ، وكان لحضور طبيب جديد إلى القرية أثر في تغيير الأحوال وتبدل الأوضاع ،فالطبيب محمد هو أصلا ابن القرية ، ولما تخرج عمل في مناطق مختلفة ، ثم نقل لقريته للعمل في وحدتها المجمعة وله منهج في الحياة على النقيض تماما من منهج موريس ، فهو يعيش واقع الفلاحين ، ويعرف تأسيهم وسوء أحوالهم ،فيد لهم يد العون بشتى الوسائل ، ويأخذ بتغيير طبيعة العمل الطبي المعتاد في القرية ، فيتأخر أحيانا بعد الدوام الرسمي ليكمل معالجة المرضى ويزود بعضهم أحيانا بقليل من المال كمساعدة ،وإذا قام بمعالجة أحدهم في منزله تأبى نفسه أن يأخذ أجره ، لأنه يوقن أن ذلك جزء من عمله الطبي والإنساني ، ولما كان الأمر هكذا، فإن موريس أخذ يشعر بمنافس لا يقبل المراوغة ،إذ أن كثيرا من أهل القرية أخذ يتردد على محمد لمعالجته ،مما قلل من العائد المادي على موريس،لقلة المراجعين له من المرضى ، ومن هنا ابتدأ موريس يكيد لمحمد ، فلجأ إلى الإشاعةحين نشر في أوساط القرية أن لمحمد علاقة غرامية مع الممرضة كاميليا ، ثم تطور الأمر إلى اتهام محمد بالعمل في عيادة خارجية وهو عمل غير مسموح به قانونيا ، وبسرقة الدواء من مخزن الوحدة عندما سرقت ٣٠٠ حبة من عهدته ، ثم لجأ موريس إلى المفتش(س) ، الذي يحظى بمركز كبير في وزارة الصحة ، فقدم له الرشاوي ليصدر أمرا بانتداب محمد في قرى أخرى غير قريته ،أو يعمل على نقله نهائيا منها . وقد تم تشكيل لجنة تحقيق للنظر في التهم الموجهة إلى محمد ، ثم تعرى الموقف وانكشفت الحقيقة ،حين ظهر بطلانهما جميعا ، بعد أن قام فلاحو القرية بمؤازرته (١) ، أما موريس فقد كشفت أساليبه المخادعة ، فصدر أمر بنقله إلى منطقة أخرى.

---

(١) انظر: الذين يحترقون ، ص ١١٥ ـ ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمة أمور لا بد من النظر إليها في هذه الرواية ، ومنها أن شخصيات الرواية وما ينجم عنها من أفعال ، وما يدور في صدورها من عواطف متباينة كانت محور الرواية ، أما الاحداث فجاءت عرضية وقليلة لتخدم هذه الشخصيات التي تمسك بزمام الأحداث وتسيطر عليها ، ولكن إلى أي مدى نجح نجيب في تصويره لهذه الشخصيات ، والوقوف على نفسياتها وصراعاتها المختلفة ؟ وهل أضاف شيئا جديدا إلى روايته السابقة (الربيع العاصف) ؟ .

إن المتتبع لشخصيات الرواية ، يرى أنها لم تقدم شيئا مميزا عن روايته (الربيع العاصف) ، فالطبيب رمزي هو نفسه موريس ضمن الإطار العام للروايتين ، وعبد المعطي الذي كان يأخذ رشوة من رمزي على كل مريض يعالجه خارج الوحدة شبيه بحامد الذي كان يتقاضى أيضا الرشوة من موريس . أما الشيء الذي يمكن أن يكون جديدا في رواية (الذين يحترقون) ، فهو إضافة شخصية إيجابية تقف في وجه الشخصيات السلبيات ، وتمثل ذلك في شخصية الطبيب محمد ، الذي يعتبر نموذجا تتجسد فيه قيم الخير المطلقة ، ولكن المؤلف لم ينجح كثيرا في تصويرها فهي شخصية تمتاز بالطيبة إلى أبعد حد ، دون أن تعيش الواقع بتناقضاته بوعي ويقظة ، حين يصورها المؤلف بكثير من السلبية تجاه الأحداث وانعكاساتها فقد سرقت الأدوية من عهدته ولا يحاول أن يجري تحقيقا وهو أمر قادر عليه ، خاصة أن سعيدا كاتب الوحدة المجمعة ، أبلغه أن بعض الموظفين يملك نسخا عديدة من مفاتيح مخزن الأدوية ، ثم يشاع من حوله عن علاقته بالممرضة كاميليا ، ولا يحاول أن يحرك ساكنا ، ولا يتصرف تصرفا ذكيا تجاه ذلك ، مع أنه يعيش في بيئة تروية محافظة ، لديها حساسية من الحديث عن مثل هذه القضية ، التي تتعلق بالشرف ، وينتدب أكثر من مرة في قرى مختلفة دون غيره فلا يحاول أن يستفسر من السلطات عن ذلك ، على الرغم من تأكده أن وراء نقله مؤامرة مدبرة . فلولا استدعاء لجنة التحقيق له لبحث الشكاوى المقدمة ضده ، لما عرف أبدا ما يحاك من مؤامرات ، كما أن اعترافات حامد للسلطة عما يقوم به موريس ونفي الممرضة كاميليا لعلاقتها العاطفية مع محمد أنقذه من التهم العديدة الموجهة إليه . وقد كان لاعتماد الطبيب محمد الكلي على طيبته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحسن نواياه نحو الآخرين ،واعتبارهم ملائكة لا يأتي الشر من قبلهم أفقده عناصر المواجهة والتحدي ،ومن ثم التفاعل النشط مع الأحداث ،إذ كان يتلقى الأحداث دون أن تحرك فيه ساكنا ،ولهذا لم يعش صراعا حقيقيا ناميا ،فليس غريبا أن يحتفظ بصفاته الخيرة المطلقة على مدار الرواية ، كما احتفظ موريس أينما بصفاته الشريرة ويبدو أن نجيبا يصر على إسقاط بعض أفكاره من خلال بعض مواقف الرواية في تأكيده على ضرورة التزام الطبيب حب الناس والدعوة إلى الخير ،والابتعاد عن عناصر الشر فذلك أقوم سبيلا ،ونحن لا نخالف نجيبا في ذلك كميزات يتسم بها الطبيب الناجح ، ولكننا نأخذ عليه أن نجد هذا الطبيب الذي يدعو إليه يتصف بالسلبية واللامبالاة تجاه الواقع الذي يعج بالصراعات المختلفة من حوله ،دون أن يتفاعل مع هذا الواقع ومايشه ليكون مدركا وواعيا لمختلف التطورات والأحداث التي تمسه من قريب أو بعيد ، كما أن القارئ للرواية لا يجد كبير عناء في العثور على التدخل الفاضح للمؤلف في الرواية في عرض آرائه وبث أفكاره دون أي مبرر،إذ وجدناه يعلق تعليقات لاذعة وشديدة على تصرفات موريس غير الشرعية ، مع أن الاحداث قد كشفت ذلك بكل وضوح ، ومن هذه التعليقات قول نجيب عن موريس : " أنه يمثل الوعي الجديد ،ويحمل أمانة المثل التقدمية ،وينشر مبادئ الخير والحب والعدالة ، هذا هو المفروض ،أما أن يظهر بمظهر المستغل الحاقد فإنه يتنافى مع وضعه كرئيس وطبيب وكرجل مثقف . . "(١). كما لم يخف إعجابه بتصرفات الطبيب محمد ومواقفه المختلفة فدفعه ذلك إلى التعليق مادحا إياه بالنعوت المختلفة (٢) ،مما يؤكد أن طرفي الصراع في الرواية قد تصرفا وفقا لفكرة الكاتب ،وليس تبعا لتكوينها الخاص،فلا تعثر على الشخصية الإنسانية التي تتحرك تلقائيا دون تجبر المؤلف وتحكمه فيها ،فبدت هاتان الشخصيتان وكأنهما دميتان يحركهما كما يشاء وفق تصورات معينة ، وقد انعكس ذلك مباشرة على طبيعة الأحداث نفسها ،التي سيطر عليها الجمود والرتابة والتكرار الممل ، إذ كرر نجيب أكثر من مرة الحديث عن الصعوبات التي تواجه الطبيب محمد في عمله

---

(١) الذين يحترقون ،ص١٥٨ - ١٥٩ ،وانظر أينما: ص٢٩ ، ٥٩ ، ١١٧ ، ١٦٢ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ،ص١٥ ، ١٢٢ ، ١٥٧ ، ١٨٣ ، ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الوحدة المجمعة (١) ، وقد جاء هذا الحديث في معظمه متشابها دون إضافة شيء جديد له قيمه في تطور الأحداث ، كما أن عنصري التشويق والإثارة كانا ضعيفين وباهتين ، لأن المؤلف قد حدد المشكلة في الرواية من بداية أحداث الرواية ، عندما أطلع القارىء أن الصراع بين الطبيبين محمد وموريس سيحتدم بقوة (٢) ، مع أنه يمكن الوقوف على هذا الصراع بأسبابه ونتائجه دون حاجة إلى الحديث عنه في تقريريه مباشرة ومفتعلة .

ويمكن القول في نهاية الحديث عن رواية (الذين يحترقون) بما طرحته من أفكار ، أنها لم تأت بمستوى رواية (الربيع العاصف) في أكثر من وجه ، فرواية (الربيع العاصف) صورت تفاعل المدينة مع القرية بصورة أوضح وأقوى ، وربما كان سبب ذلك هو أن الوحدة المجمعة وموظفيها الجدد كانت تمثل بداية التصادم الفعلي والمباشر مع عالم القرية لأنها بنيت حديثا فيها ، بينما نجد الأمر مختلفا في رواية (الذين يحترقون) ، حين بدأ الفلاحون ينظرون إلى هذه الوحدة ولموظفيها نظرة عادية بعيدة عن الاستغراب والتعجب ، فبدا الاحتكاك باهتا ، فقد خرجت العناصر الريفية من دائرة الصراع ، وانصب على الطبيبين فقط اللذين يمثلان مستوى علميا متقاربا ، وإن اختلفا في الأسلوب ومنهج الحياة ، كما أن رواية (الربيع العاصف) قد وسعت زاوية الرؤية لواقع القرية ، عندما وقفت على كثير من العيوب والسلبيات التي كانت تعانيها ، بينما لم نجد في رواية (الذين يحترقون) هذا الشمول والاتساع ، أما بالنسبة لشخصيات الروايتين ، فإن نجيبا وفق في رسم ملامح شخصيات (الربيع العاصف) ، بدقة وحيوية بصورة أفضل من تصويره لشخصيات (الذين يحترقون) فلم تكن بعيدة عن واقعها الإنساني ، ولهذا بدت عادية وطبيعية ضمن بيئتها المحددة .

ولئن كانت روايتا (الربيع العاصف) و (الذين يحترقون) قد عالجتا بعض مشكلات قرية الريف المصري من خلال احتكاكها مع بعض رموز المدينة ،

---

(١) انظر : الذين يحترقون ، ص ٢٩ ، ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٨٣ ، ٢٢١ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن رواية (أميرة الجبل) قد انتقلت إلى بيئة مشابهة إلى حد ما في الخليج العربي ، وبالتحديد قرب رأس الخيمة ، وقد حاولت هذه الرواية رصد حركة التفاعل بين منطقة (قبيلة الشحواط) ورأس الخيمة ، إلا أن هذا التفاعل بدا غامضا وغائما لغلبة الأحداث التي تصور قصة عاطفية بين طبيب تغرب عن فلسطين بعد حرب ١٩٤٨م، ويعمل في رأس الخيمة وبين إحدى نساء هذه القبيلة وقد استقطبت هذه العلاقة العاطفية محور القصة ومن خلالها يمكن الوقوف على واقع هذه البيئة ، التي تقترب كثيرا من واقع الريف المصري .

وتتميز رواية أميرة الجبل عما سبقها بأن نجيبا حاول أن يحدث توازنا معقولا بين الأحداث والشخصيات دون طغيان طرف على آخر ، وهذا لم نجده في روايته (حمامة سلام) التي سيطرت الأحداث عليها سيطرة كبيرة ، وفي روايتي (الربيع العاصف)، و (الذين يحترقون) اللتين اهتمتا بالشخصيات وما يصدر عنها من أفعال ، وما يدور في داخلها من صراعات تجاه المواقف المختلفة . وهذا الاتجاه الذي تمثله رواية أميرة الجبل يطلق عليه القصة التمثيلية " فلا تكون الشخصيات خاضعة لبناء الحبكة . . . ولكن القصة نسيج محكم سداه الحوادث ولحمته الشخصيات "(١)

ويحرص نجيب أن يضع القارئ في جو روايته ، حين يحاول أن يرسم ويحدد بعض ملامح البيئة التي تدور فيها أحداث الرواية كستار عام لخلفية الأحداث ، (٢) ويقدم للقارئ صورة من السهل استيعابها وادراكها ، تمكن القارئ من الاندماج ، وحسن المتابعة لتطورات الأحداث المختلفة ، كما يحاول المؤلف أيضا إضافة إلى وصفه البيئة المادية والطبيعية أن يرصد بعض ملامح البيئة الاجتماعية ، إذ يمكن أن يتعرف على بعض قيم وعادات قبيلة الشحوح ومواقفها من المدينة وعالمها ، والمرأة

---

(١) محمد نجم ، فن القصة ، ص١٤٩ ، وانظر : موير ، بناء الرواية ، ص٣٧ .
(٢) أنظر : مجلة الفجر ، أميرة الجبل ، حلقة ١ ، العدد ١٠ ، ص٣٢ ، في ١٩٧٥/٣/٢٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعلم والحب وغيرها من القضايا ، فهي قبيلة تحمي شرف المرأة بالسيوف ، (١) وتحافظ على قيم الآباء والاجداد ، وتؤمن كثيرا بالسحر والشعوذة ، لأن الجهل فيها منتشر على نطاق واسع ، ويستخدم ذلك لحل بعض ما يعترض سكان القبيلة من المشكلات ـ كما يزعمون ـ خاصة مشكلات المرأة العاطفية والزوجية .

وتأخذ أحداث الرواية بالسير في اتجاه واحد ، فالطبيب يسرد تجربته مع هذه القبيلة حين سنحت له فرصة معالجة مريم ابنة زعيم القبيلة ، وهو الشيخ علي بن زيدون ، وقد أعجب الطبيب بها لجمالها الفتان ، إلا أن هذه الفتاة مقبلة على الزواج من ابن عمها خميس كما جرت العادة غالبا في هذه القبيلة ، وهذا يقتضي من مريم الموافقة دون تردده وقد وقف الطبيب على واقع هذه المشكلة التي تعترض حياة مريم ، فازداد تعلقا بها ، خاصة بعد أن طلب من أهلها ، السماح لها بالمكوث أسبوعا في مستشفى رأس الخيمة فتم ذلك ، وبدأت علاقة الطبيب معها تزداد وتتطور ، مع أن مريم نفسها في البداية لم تأخذ الأمر بجدية ، لأن لها علاقة غرامية مع شاب آخر من القبيلة يتردد دائما على رأس الخيمة وهو عبدالله ، إلا أن عبدالله هذا يخشى مواجهة والدها للزواج منها ، فيحاول دائما الهرب من مواجهة الواقع والاستسلام له ، فتيأس من حبه لها ، وتقرر الابتعاد عنه ، فكان ذلك فرصة مواتية لدخول الطبيب إلى قلبها ليملك عليها مشاعرها ، فأقدمت على عمل لم تتعوده القبيلة ، إذ هربت للالتحاق بالطبيب في مركزه الجديد بمستشفى دبي ، الذي أجبر على استئجار منزل لتسكن معه ، وخصص لها غرفة لتنام فيها ، إلا أن هذه الفتاة أقدمت على عمل آخر خطير ، فقد استطاعت بفتنتها وإغرائها أن تعاشر الطبيب جنسيا "(٢) ، فأصبح الأمر جد خطير قد يؤدي إلى القتل ، فحصل على إجازة ، وسافر مع مريم الى لبنان ، حيث عقد قرانه عليها ، ثم أبلغ أهلها بالأمر واستعداده للعودة إليهم ، فجن جنون كثير من أهل القبيلة ، لما لهذا العمل من مس بشرف وعرض القبيلة ، ولأن نجيبا تعامل مع الحدث برومانسية حادة ، يأبى إلا أن يعود هذا

---

(١) انظر: أميرة الجبل ، حلقة ١ ، العدد ١٠ ، في ٢٩/ ٣/ ١٩٧٥م ، ص٣٣ ، ٣٤ .
(٢) انظر: المصدر نفسه ، حلقة ١٢ ، العدد ٢١ في ١٤/ ٦/ ١٩٧٥ ، ص٣٥ ـ ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطبيب مع مريم لتستقبله القبيلة بحفاوة بالغة ، وإن عكّر هذا الجو السعيد محاولة كل من خميس وعبدالله اغتيال الطبيب وزوجته مريم ، إلا أن النجاة كتبت لهما ، وألقي القبض على الفاعلين (١) ، وتنتهي الرواية نهاية سارة وسعيدة ، كما شاء لها المؤلف نفسه ، متجاهلا الواقع بعاداته وقيمه الاجتماعية ، إذ لا يعقل أن تقوم هذه الفتاة بهذا العمل ، ثم تستقبل هذا الاستقبال الحاد من والدها ومن أفراد القبيلة ، فذلك مخالف لطبيعة هذه القبيلة في محافظتها على العرض والشرف خاصة فيما يتعلق بالمرأة .

وتظهر بعض أحداث الرواية ما تعاني منه عشيرة الشحوح من الجهل وسيطرة السحر والشعوذة على كثير من أبنائها ، خاصة النساء ، اللواتي يترددن على حسن بن محمد المشعوذ ، الذي يزعم أنه يشفي المرأة من العقم باستخدام بعض الأدعية التي يحفظها استغلا بذلك الجهل والتخلف الذي تعاني منه العشيرة ، وقد كان لهذا المشعوذ مكانة مرموقه في أوساط القبيلة ، وكان يتقاضى المبالغ الكبيرة مقابل بعض العلاجات التي يعطيها لأبناء القبيلة (٢) ، ومن هنا كان مقدم الطبيب لعلاج مريم ، ودخول بعض وسائل المدنية والترفيه لهذه المنطقة ضربة شديدة لآمال هذا المشعوذ ، فأخذ يفقد مركزه ، تدريجيا ، إلى أن طرد نهائيا من القبيلة بعد مصالحتها مع الطبيب وزوجته مريم .

وقد عرضت الرواية بعض الذى يعانيه الطبيب المغترب ، مثل انتشار الشائعات من حوله عن علاقته بالمرضات والمريضات على السواء ، وبروز مشكلة التأقلم مع عادات وقيم الناس ، ومعاناته من قلة متابعة لأخبار العالم من حوله لصعوبة الحصول على الكتب والمجلات الثقافية ، التي لا تتوافر بشكل مستمر ودائم في منطقة عمله في رأس الخيمة .

وقد مال نجيب الكيلاني في عرضه لأحداث الرواية إلى تأجيج العواطف وإثارة الانفعالات الحادة ، فجاءت ذروة هذه الأحداث ظاهرة أشد ما يكون الظهور على طريقة

---

(١) انظر : أميرة (الجبل) حلقة ١٥ ، العدد ٢٤ ، ٤/ ٧/ ١٩٧٥ ، ص٣٨ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، حلقة ٨ ، العدد ١٧ ، ١٧/ ٥/ ١٩٧٥ ص٣٣ ـ ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرومانسيين ، الذين يحبذون هذا الأسلوب في التعامل مع الأحداث على النقيض من الواقعيين الذين يتجنبون ذلك ، بدعوى أن الحياة تسير برتابة وتشابه ، وأن حدث شيء مثير فإنه يضيع في زحمتها (١).

وقد بدت بعض أحداث الرواية مجافية للواقع وظروفه ، مما أضعف حبكة الرواية وذلك لعدم منطقية بعض الأحداث وخروجها عن المألوف ، وأكثرها متعلق بالأحداث التي مرت بها مريم ، فثمة شكوك حول ما قامت به من تصرفات وأفعال، إذ يصعب على القارىء أن يصدق بسهولة ، أن هذه الفتاة التي تعيش ضمن بيئة تقيد حركة المرأة ، وتعيق انطلاقها حتى في نطاق القبيلة نفسها ، تتمرد على عادات وقيم توارثتها هذه القبيلة عبر السنين الطويلة ، ثم تهرب لرأس الخيمة ، ومن بعدها إلى دبي لتعيش مع طبيب غريب عنها ، بل وعن المنطقة كلها ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه الى معاشرتها له جنسيا ، دون أن يحرك كل ذلك شكوك أصحاب هذا الطبيب الذين يعيشون بالقرب منه ، وكأنه يعيش في عالم معزول عن البشر . فالأحداث هذه تسير وفق منطق السببية ، ولكنها سارت وفق منطق تحكمي أملاه خيال المؤلف ، فبدت غريبة عن طبيعة واقع هذه البيئة التي تعالجها الرواية .

ويبدو أن نجيب الكيلاني قد تقمص شخصية الطبيب في رواية (أمير الجبل) في بعض الصور التي رسمتها الرواية لهذه الشخصية ، إذ نجد أن هذا الطبيب لم يكتف بالحصول على بكالوريوس في الطب ، بل ثقف نفسه ثقافة أدبية ودينية متنوعة ، ثم إنه انتمى إلى إحدى الجماعات السياسية في بلده ، واعتقل ثم أفرج عنه ليرحل بعيدا خارج وطنه للعمل طبيبا في دبي ، وهذا كله يتفق مع الذي نعرفه عن حياة نجيب الكيلاني وثقافته وانتمائه السياسي (٢) ولهذا فإن الصاق نجيب هوية اللاجىء الفلسطيني لهذا الطبيب ، كانت محاولة منه للإسهام بأنه بعيد عن مسرح أحداث الرواية ، وليست

---

(١) انظر: محمد نجم ، فن القصة ، ص٤٤ .
(٢) انظر: أميرة الجبل ، حلقة ١ ، العدد ١٠ ، ٢٩/ ٣/ ٧٥ ، ص٣٣ ، وحلقة ٣ ، العدد ١٢ ، ١٢/ ٤/ ١٩٧٥ ، ص٣٣ ـ ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له علاقة بها من قريب أو بعيد ، خاصة إذا علم أن هذه الرواية تميزت من غيرها من رواياته الاجتماعية بأنها كتبت بضمير المتكلم (السيرة الذاتية) على لسان الطبيب، وهذا الأسلوب في السرد يوهم القارئ أحيانا بأن أحداث الرواية تجربة ذاتية حقيقية مرّ بها المؤلف ، وأن أحداثها وقعت له فعلا (١) .

وعلى الرغم من بعض المزالق التي وقعت فيها بعض أحداث الرواية ، فإن المؤلف، استطاع أن يتابع تطور الشخصيات المختلفة ونموها ، فتكشفت لنا تدريجيا نتيجة تفاعلها مع الأحداث ، وإن بدت أحيانا غير مقنعة في بعض تصرفاتها ومواقفها ، المفاجئة ، التي اتخذتها تجاه بعض القضايا ، ويوصف هذا النوع من الشخصيات بأنها مسطحة تسعى لأن تكون ناضجة ، لأنها تفاجئ القارئ بتصرفات دون إقناعه بصدق الانبعاث في هذا العمل المفاجئ (٢) .

وبعيدا عن بيئة الريف وما تعانيه من مشكلات مختلفة ، انتقل نجيب الكيلاني إلى عالم المدينة ، ليتناول قضية اجتماعية محددة ، وهي الخيانة الزوجية ، وذلك في رواية (ليل الخطايا) ، وهي الرواية الاجتماعية الوحيدة التي دارت أحداثها في المدينة ، وبالتحديد في شارع كنيسة الراهبات في القاهرة . وقد جاءت هذه الأحداث في مجملها بعيدة عن التفريع والتشتيت ، وانصبت على حدث رئيسي نما وتطور من خلال تفاعل مستمر قامت به شخصيات الرواية . وقد استطاع نجيب أن يهيئ ذهن القارئ لمتابعة الأحداث من خلال وصف دقيق ومفصل للبيئة التي دارت فيها الأحداث ، حيث شكلت هذه البيئة المهاد لها ، وقد اتسمت هذه البيئة بعدم الاتساع

---

(١) انظر : عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠م ، ص ٤٥ ، وانظر: نبيل راغب ، دليل الناقد الغني ، ص ٨٧ .

(٢) انظر : محمد نجم ، فن القصة ، ص ١٠٤ ، وانظر أيضا: أ.م فورستر ، أركان القصة، ترجمة كمال عيد ، دار الفكر للنشر والطبع والتوزيع ، ١٩٦٠م ، ص ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والامتداد ، بل اقتصرت على المنزل الذي تقطنه الأسرة التي تشكل محور الرواية ، وأعطى نجيب تفصيلات شاملة له من حيث موقعه وعدد غرفه وأثاثه (١) ، كما منح القارئ تصورا معقولا عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للأسرة ، توطئة لما سيجري من أحداث ومفاجآت لها لم تكن متوقعة .

وقد شكلت خيانة وهيبة لزوجها عبد البديع أساس الرواية ، إذ قامت عند غياب زوجها بمعاشرة جنسية لأخيه سامي ، وقد استطاع المؤلف أن يوجه سير الأحداث لتصب في هذا الحدث الرئيسي . فعبد البديع مسلم العربية في إحدى المدارس هو المعيل الوحيد لأسرته المكونه من أمه العليلة وأخته الصغيرة فوزية وأخيه سامي وزوجته وهيبة ، وكان يعاني صراعات نفسية حادة ، فلديه شعور بالنقص لفرط قصره ، وللتعويض عن ذلك قام باستعراض كاذب لبطولاته وأمجاده لطلابه ، كما أنه كان يشعر بغرور لا مبرر له ، محاولا الثورة دائما على واقعه المادي المتواضع ، وكان يرى أنه من الظلم أن يبقى المعيل الوحيد لأسرته . أما نظرته لزوجته فقد سيطرت عليها الغيرة والتزمت نحوها ، حتى أنه أمرها بعدم مقابلة أو زيارة أحد خارج الأسرة فأورث ذلك وهيبة غما ونكدا ، لأنه نسخة مكررة عن والدها في معاملته لها قبل الزواج ، حين قام بكبتها بمسامير حامية ، عندما ضبطها مع أحد الجيران في إحدى مغامراتها العاطفية عندما كانت فتاة لم تتزوج بعد (٢) ، مع أن والدها نفسه معروف بعلاقاته النسائية المتعددة ، وبانحطاط أخلاقه (٣) ، ولهذا ليس عجيبا أن تحقد عليه وتكرهه ، وظل ذلك يشكل صراعات نفسية لازمتها حتى بعد زواجها من عبد البديع ، فأخذت تنافق وتكذب عليه ، وتشعره بحبها العميق له وأنها تسهر على راحته ، وتلبي رغباته فشغفته حبا ، إذ " كانت فاتنة فيها حيوية وجاذبية ، ويطل من عينيها بريق لا يستطيع عبد البديع إزاءه إلا أن يخفض رأسه " (٤) ولما كانت تشعر بضيق القيود وكبت الحريات ، استغلت فرصة

---

(١) انظر : ليل الخطايا ، ص ٢١ - ٢٢ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٤٥ ، ٩٤ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٩٤ - ٩٨ .
(٤) انظر ج المصدر نفسه ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غياب زوجها لأيام معدودات لتستدرج أخاه المراهق سامي (١٩ سنة) لإقامة علاقة عاطفية معه ، مع أنها في الحقيقة لا تريد إلا إشباع غريزتها الجنسية بحرية وانطلاق دون قيود ، وكأنها ـ لا شعوريا ـ لا تترك خطورة ما تقدم عليه ، فقد وجدت شابا ضعيفا مترددا ، ينقاد لها ولشهواتها ، لما يعانيه من كبت لعواطفه الجنسية ، فانقاد لها انقيادا . رهيبا ، بعد أن حاول التملص من هذه العلاقة المشبوهة مع زوجة أخيه ، إلا أن التيار الجنسي قد جرفه ، ففرن حتى أذنيه ، بل وازداد الأمر تعقيدا حينما أصبح هو يطالب ويلح على معاشرتها معاشرة الأزواج ، وفي مخدع الزوجية نفسه ، ثم تتطور الأمور وتتصاعد حين يعود زوجها عبد البديع من فترة انتدابه فجأة ، فيربكها ذلك ويقلقها ، فتشعر أن نهايتها قد اقتربت ، إذ أن سامي ما زال معها في غرفة النوم ، وزوجها في الخارج يطرق الباب ، ويسعى المؤلف في هذا الموقف العصيب لأن ينجي وهيبة وسامي من فضيحة مدويه ، فقد استطاع سامي الخروج من الغرفة بسلام ، بعد أن استغل فرصة ذهاب أخيه عبد البديع لتوه للسلام على أمه بعد أن انتظر فترة أمام غرفته الموصده ، فظن أن زوجته ما زالت تغطس في نوم عميق ، مع أنها كانت تدبر وسيلة للتخلص من موقفها الحرج (١) .

إن تحليل هذه الرواية ، وما يتصل بها من مواقف وقضايا ، تستلزم الوقوف عند بعض الأمور ، وهي :

أولا : فيما يتعلق بتصدير الرواية وإهدائها :ـ إن المؤلف قبل أن يبدأ سرد أحداث هذه الرواية ، أدرك أهمية الموضوع الذي يطرحه ، وهو الخيانة الزوجية ، وانعكاس ذلك على الأسرة والمجتمع بشكل عام ، ولهذا لجأ إلى تصدير الرواية بحوار فلسفي وأخلاقي دار بين تلميذ وشيخه حول الخطيئة ووجودها في المجتمع ، وقد أكّد الشيخ من خلال هذا الحوار أن الخطيئة موجودة ، وستبقى ما دامت الحياة قائمة ، لأن هذه الحياة تحوي الخير والشر معا ، ولا بد من احتدام الصراع

---

(١) انظر : ليل الخطايا ، ص ٢٤١ - ٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينهما ، فقد تسيطر نزعة الشر على الإنسان حينا ،إلا أن ومضة الخير تبقى في هذا الإنسان ،ثم أنهى الشيخ حواره مع تلميذه مؤكدا أن الغريزة لا بد لها من تهذيب حتى لا يطلق لها العنان ؛ لأن في ذلك تدميرا للمجتمعات البشرية (١) .

وقد أهدى نجيب الكيلاني روايته هذه إلى المعذبين التائهين من بني الإنسان مؤكدا أن سبب وقوع الانسان في الخطيئة هو وجود الفقر والكبت والحرمان (٢) ، ولأن نجيبا قد حدّد أفكار روايته سلفا التي تتعلق بانغماس الانسان في الشهوات ، فإن هذه الرواية أصيبت بمقتل في بنائها مضمونا وشكلا ،إذ كان الأولى بنجيب أن يترك لأحداث الرواية وشخصياتها التعبير عن ذلك ،ولهذا فإن الاهداء والحوار اللذين صدر بهما روايته ماهما إلا مجموعة أفكار لنجيب نفسه ، عبر عنها في قالب روائي متواضع ، وقد كانت روايته (ليل الخطايا) هي الوحيدة من بين رواياته جميعا على الاطلاق التي لجأ فيها نجيب إلى مثل هذا الأسلوب في الطرح الفني لقضية ما .

ثانيا : بالنسبة إلى أحداث الرواية : ولئن كان قسم من أحداث رواية (ليل الخطايا) منطقيا وواقعيا وبعيدا عن المزايدة ،فإن الباحث يودّ أن يلقي مزيدا من الضوء حول عدد من القضايا ، من أهمها :

أ : ان إقدام وهيبة زوجة عبد البديع على الخيانة الزوجية لم يكن مبررا بالقدر الكافي ،إذ لا يوجد أي سبب وجيه وقوي يدفعها لذلك ، فحالة الأسرة المادية مقبولة ولا تعاني من الفقر ، ثم أن تزمت زوجها وغيرته الشديدة عليها ، ومعاملة والدها التي اتسمت بالقسوة ،لا يشكل كل ذلك دوافع مهمة ومعقولة لإقبالها على الخيانة بهذا الشكل السافر ، هذا إذا عرف أيضا أن زوجها كان يكن لها حبا واحتراما عظيمين .

---

(١) انظر : ليل الخطايا ،ص٧ - ٩ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ،ص ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ إن القارئ يشك بمصداقية قيام وهيبة بممارسة الجنس في المنزل الذي تسكنه الأسرة دون أن يرتاب أحد منها ، مع أن الرواية تبرز بأن أم عبد البديع [illegible] أن النساس طلبها فنامت وانطلت الحيلة على الأم هكذا دون أي صعوبة ، ومر الحادث دون أن يثير أي شكوك .

ج ـ إن نهاية الرواية لا تتفق وواقع سير الأحداث ، فلم تكشف هذه الخيانة الزوجية ، مع العلم بأن عبد البديع عند عودته إلى المنزل وقف مدة طويلة أمام غرفته ، وكانت زوجته ترد عليه بأن النوم يسيطر عليها ، وتدعوه للتريث حتى تفتح له الباب ، فلم ينتظر فقد ذهب للغرفة الأخرى للتسليم على أمه ، فاستغل سامي ذلك وخرج مع وهيبة ليسلما عليه ، وهذه النهاية تتفق وما يريد أن يصل اليه نجيب في تأكيده على أن الله يستر عيوب الإنسان في أمور كثيرة ، ولهذا لابد للإنسان أن يراجع نفسه قبل أن يقوم بعمل غير أخلاقي ، لأنه قد يفتضح مرة وتتحطم حياته ، ثم إن سامي الذي كان ينتظر الحصول على عمل بعد أن قدم طلبا له لم يأته الرد على ذلك إلا بعد انتهاء مغامراته الجنسية مع وهيبة ووصول أخيه مباشرة ، تمهيدا لما سيقرره المؤلف بأن سامي قد انفصل عن العائلة بذهابه إلى منطقة بعيدة للعمل ، وأن وهيبة قد راجعت نفسها ـ هكذا وبسهولة ـ فأخذت تستغفر لذنبها ، وتغيرت تغيرا حاسما ، فأقبلت على زوجها بحياة شريفة وجديدة ، مع أنها لم تخرج بعد من مستنقع الخيانة مع أخيه سامي ، وكل ذلك محاولة من المؤلف لإقناعنا بأن الإنسان فيه ومضة خير مهما سيطرت عليه نزعات الشر ، ونحن وإن كنا نعتقد ذلك فإننا نشك بهذا التحول المفاجئ الذي جاء دون تمهيد معقول وطبيعي ؛ لأن ومضة الخير هذه تحتاج لإبرازها الى خبرة عميقة وواسعة بالنفس البشرية ، وقدرة على خلق المبررات القوية التي تجعل ظهور هذه الومضة أمرا معقولا وطبيعيا أمام القارئ حتى لا يحس بأنها مفتعلة .

د : ولما كان الرمز يستخدم أحيانا لإعطاء مزيد من التأثير والقوة للعمل الفني فإن رواية (ليل الخطايا) قد أخفقت في توظيفه ، حين علل نجيب سبب إصرار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهيبة على الرحيل من المنزل ، والقارئ متوسط الذكاء يعرف أن سبب إصرارها يعود إلى تصميمها وعزمها على نسيان وترك كل ما يذكرها بما قامت به من فضائح وعلاقات غير شرعية ، لتبدأ حياة جديدة مع زوجها ، إلا أن نجيبا يشك بقدرة هذا القارئ ، فيبدأ يفسر ويحلل هذا الرمز ، ولو ترك ذلك كان الرمز أكثر إيحاءً وتأثيرا ، فيقول : " إن حياتها قد انتقلت من طور إلى طور . . وانتقالها من سكن إلى آخر تعبير أو رمز لتطورها . . ودخولها في حياة جديدة . . . "(١)

هـ : ولأن النظرة الأخلاقية السبقة قد سيطرت على مضمون الرواية ، والمتمثلة في محاولة المؤلف إقناع القارئ بضرورة تجنب الاختلاط بين الأخ وزوجة أخيه ، فإن الرواية قد امتلأت بشكل ملفت للنظر بالتعليقات والمقالات الكثيرة ، لإبداء الآراء الاجتماعية المختلفة (٢) ، مما أفقد الأحداث كثيرا من تدفقها وسيرها الطبيعي ، ومثال ذلك ، حديث المؤلف عن وهيبة وكرهها لزوجها ، وميلها للتحرر والانطلاق ، واستغرق هذا الحديث ٦ صفحات (٣) .

××××××××××××××××

وإذا كانت معظم الروايات الاجتماعية لنجيب الكيلاني لم تتغلغل كثيرا في معالجتها للواقع الاجتماعي ، فإن هذا يعني انعكاسا سلبيا على أساليب السرد والحوار بشكل عام ، إذ أن هذه الروايات لم تهتم كثيرا بما يصطرع في نفوس الشخصيات من صراعات مختلفة ، ليشعر القارئ أن أمامه شخصيات حية متفاعلة ، كما أن قسما من هذه الشخصيات أغفل الكاتب واقعها الذي تعيشه ، فبدت معلقة في أجواء غير واقعية إلى حد كبير . وإذا فقد الكاتب الاهتمام بتصوير عالم الشخصية الداخلي في محاولته الوقوف على دوافع تصرفاتها ، فإنه سيميل إلى تغليب أسلوب السرد ، والتقليل من اعتماده على الحوار الذي يعتبر من أهم الوسائل الفنية للكشف عن الشخصية وما يدور في أعماقها (٤) .

---

(١) ليل الخطايا ، ص ٢٥٥ .

(٢) انظر : ليل الخطايا ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ - ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٧٤ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٢٦ - ١٤١ .

(٤) انظر : عبد المحسن طه ، نجيب محفوظ : الرؤية والأداة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الأحداث التي اصطنعتها معظم هذه الروايات الاجتماعية فقد افتقدت التحليل الدقيق والرؤية العميقة للواقع ، فبدت سطحية في معالجتها للقضايا المختلفة والتعبير عنهـــا :

وتنطبق هذه الملاحظات السابقة على روايات (حمامة سلام ، و (أميرة الجبل) ، (و ليل الخطايا) ، مع تفاوت فيما بينها في مدى سيطرة أسلوب السرد المباشـــر عليها ، فرواية (حمامة سلام) سيطر عليها هذا الأسلوب فتراجع الحوار وتقهقـــر ؛ لأن المؤلف كان هدفه منصبا على عرض متسلسل للأحداث دون الاهتمام الكبيـــر بالشخصيات ، وتصويرها بدقة ، مما أفقد الرواية رسم المواقف والانفعالات التـــي تعبر عن واقع الشخصيات ، وتكاد رواية (ليل الخطايا) تكون شبيهة إلى حد مـــا برواية (حمامة سلام) في اتكائها الشديد على أسلوب السرد والتقارير المباشرة ، التي تدفع القارئ إلى حد الملل ، وإن كانت شخصياتها أكثر حضورا وحيوية مـــن خلال عرضها أحيانا باستخدام حديث النفس الذي يعبر عما تعانيه الشخصية من انفعال واضطراب (١) ، أما رواية (أميرة الجبل) فقد تخلى المؤلف عـــن الســـرد بضمير الغائب ولكن لجأ إلى أسلوب السرد بضمير المتكلم الذي يوحي بصـــدق الأحداث وواقعية الشخصيات ، إلا أن عيب هذا الأسلوب يكمن في أن الـــقاص يحكي الأحداث ويسير الشخصيات من خلال وجهة نظره ، لأنه يسرد القصة بلسانه ولهذا فإن "بعض المواقف الهامة أو المشاعر الثائرة للشخصيات الأخرى ، لا يمكـــن تسجيلها ما دامت بعيدة عن التأثير في الشخصية الراوية ، أو لأن تلك الشخـــصية لم تنفعل بتلك المشاعر أو لم تحسها ." (٢) ولهذا فإن الشخصية التي تروى الأحداث لاتستطيع أن تروي حادثة ، إلا إذا كانت مشتركة فيها هذه الشخصية ، كذلك الحـــال بالنسبة للشخصيات الأخرى في الرواية ، فإن وجودها أساسا مستمد من وجود هـذه

---

(١) انظر : ليل الخطايا ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٧٥ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ .
(٢) عبد الحميد جودة السحار ، القصة من خلال تجاربي الذاتية ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشخصية الراوية ، فلا تظهر إلا حين تظهر هذه الشخصية ، أو حين تفكر في موقف ما (١) . ونتيجة لذلك فإن نجيبا في روايته (أميرة الجبل) كان يعلق على الأحداث والشخصيات من خلال الشخصية الراوية ، كما أورد بعض آرائه في السياسة والحب والفن والجمال (٢) ، ومن أمثلة تعليقه على الشخصية من وجهة نظره لا من وجهة نظر الشخصية نفسها في قوله عن مريم : " أصبحت مريم نمائقة النفس بكل ما حولها ، العالم الواسع الذي ولدت ونشأت فيه بدا لها ضيقا مملا ، ترى خميسا قاد ما من بعيد بقامته القصيرة ، فتدعو الله من أعماقها أن تنشق الأرض وتبتلعه ..." (٣) .

أما الحوار في هذه الروايات الثلاث (حمامة سلام) ، و (أميرة الجبل) ، و (ليل الخطايا) فقد كان في الدرجة الثانية من حيث الأهمية بعد السرد ، وإن كانت رواية (حمامة سلام) أقلها استخداما للحوار ، وقد كان هذا الحوار في معظمه مناسبا لمستوى الشخصيات الاجتماعي والفكري وإن كان أحيانا تتسلل إليه أفكار المؤلف فيبدو الكلام صادرا عنه لا عن الشخصية نفسها ، ومن ذلك حوار الطالب سامي - الذي لم يتجاوز التسعة عشر عاما - مع وهيبة وحاول فيه فلسفة مدلول الشر في الواقع الإنساني فيقول : " فليس الخير يكافئ الشر تماما ، ويبدو لي أن الشر أكثر من حيث الكمية والأثر . . لأنه يحتاج لصراع كبير حتى نقهره ، وكثيرا ما ننتهي المعركة بانتصار الشر . . ولو كانت هناك تعاولية لا ستطعنا بقليل من الإدارة والعزيمة أن نصنع للشر قبرا وندفنه فيه ، ثم نملي للفضيلة بناء شامخا جبارا . . . ." (٤)

---

(١) انظر : عبد القادر القط ، في الأدب المصري ، مكتبة مصر ، دون تاريخ ، ص٢٢ .

(٢) انظر : أميرة الجبل ، حلقة ١ ، عدد ١٠ ، في ١٩٧٥/١/٢٦ ، ص ١٢ ، ٢٤ ، ٣٥ ، وحلقة ٣ ، عدد ١٢ ، في ١٩٧٥/٤/١٢ ، ص ٣٥ ، وحلقة ٤ ، عدد ١٣ في ١٩٧٥/٤/١٩ ، ص ٢١ ، وحلقة ٥ ، عدد ١٤ ، في ١٩٧٥/٤/٢٦ ، ص ٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ، حلقة ٥ ، عدد ١٤ ، في ١٩٧٥/٤/٢٦ ، ص ١٥ . وحلقة ٤ ، عدد ١٣ ، ١٩٧٥/٤/١٩ ، ص ٢٤ .

(٤) ليل الخطايا : ص ٢١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما روايتا (الربيع العاصف) ، و(الذين يحترقون) فقد استطاعتا أن تحققا نوعا من التوازن بين الحوار والسرد ، كما لجأتا إلى أساليب حديثة في عرضها للأحداث والشخصيات ، فمثلا استطاعت رواية (الربيع العاصف) أن تستخدم بنجاح المونولوج الداخلي دون الميل إلى الاغراق في التهويمات الذهنية المعقدة، التي لا تصور الشخصية بقدر ما تعبر عن آراء المؤلف نفسه حول موضوعما ومن ذلك ما ورد عن عالمه النفسي الداخلي مباشرة دون تدخل من المؤلف بشرح أو تعليق ، ومنه قوله يحدث نفسه عن حبه لمنال، وانتقامه من الذين يتكالبون عليها ، ويريدونها لأنفسهم لنزوات عابرة ، فيقول "وأنا أكاد أموت يا منال .. من أجلك أتعذب .. لا يهمني النار التي في أحشائي تهيج مغصي ، بقدر ما يهمني رضاك .. لكني .. ماذا أقول ؟ هل أسأت التصرف ؟؟ كلهم لصوص يا منال .. الحاج والمعلم .. والطبيب أيضا ، يجب أن ينالوا عقابهم ...."(١)

ومن الأساليب التي لجأ إليها نجيب في رواية (الربيع العاصف) أسلوب التذكر الذي استطاع أن يعبر بواقعية وصدق عن حالة المرضة منال القلقة ، لشعورها بأنها محطمة الآمال ، لا تعرف كيف تتصرف لتتأقلم مع أوضاع القرية التي كانت تعيش فيها ، فحاولت أن تنفّس عما يحيط بها بالشرود بعيدا نحو الماضي وذكرياته في محاولة للهروب من واقعها التعس(٢) .

أما الحوار في (الربيع العاصف) ، فقد كان حضوره واسعا ، سواء للشخصيات الريفية أو المدنية ، وكان متناسبا مع مستوياتها الثقافية والاجتماعية ، فمثلا كشف حوار منال مع الطبيب رمزي عن ثقافة الطبيب رمزي في طرحه لبعض القضايا الاجتماعية (٣) . أما حوار الشخصيات الريفية فقد امتاز بالعفوية والبساطة في التعامل مع المواقف المختلفة ، فكان بعيدا عن الألفاظ والمصطلحات المجردة التي لا تتناسب وثقافة الشخصية الريفية .

---

(١) الربيع العاصف ، ص١٥٥ — ١٥٦ ، وانظر أيضا : ص١٨ — ١٩ ، ٢٣ ، ٦١ ، ٧٠.
(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص٤ — ٥ ، ٢٨ — ٣١ ، ١٦٧ — ١٦٨ .
(٣) انظر: المصدر نفسه ، ص١٦٨ — ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رواية (الذين يحترقون) فقد استفادت من الحوار، ولكن بدرجة أقل من رواية (الربيع العاصف)، فقد جاء الحوار فيها مندمجا في صلب القصة دون إقحام أو تطفل، فاستطاع أن يرسم للقارئ صورة واضحة للشخصيات المتحاورة خارجيا وداخليا، وكشف عن مستويات الشخصيات وهيئتها الاجتماعية وعواطفها وميولها ونظرتها للحياة، وقد كان في معظم مواضع الرواية يأتي قصيرا ومكثفا دون ميل إلى الاستطراد والإطالة .(١)

وقد استعان نجيب في رواية (الذين يحترقون) أيضا بوسائل سردية أخرى ومن أهمها أسلوب الرسائل، وإن لم تضف للرواية شيئا جديدا ذا أهمية كبيرة (٢)، كما استعان بالتذكر والاسترجاع(٣) للأحداث التي مرّ بها الطبيب محمد في بعض أيامه السابقة .

أما لغة الروايات الاجتماعية، فقد سيطرت اللغة الفصيحة على السرد بصورة مطلقة، إلا أن رشاقتها وجمال تعبيراتها قد قل عما وجدناه في الرواية التاريخية، وقد كانت روايتا (الربيع العاصف) و(أميرة الجبل) من أفضل رواياته الاجتماعية من حيث متانة الصياغة والوصف البياني الجميل للمواقف المختلفة، كما اقتربت اللغة فيهما من اللغة الشاعرية، دون اللجوء إلى استعمال الغريب من الألفاظ، أو التعبيرات الركيكة الضعيفة .

وقد مال نجيب إلى استخدام بعض الألفاظ العامية في الحوار، ولكن في مواضع قليلة لتتلاءم وواقعية الشخصية المحاورة، وقد جاءت هذه الألفاظ العامية على لسان شخصيات شعبية تتسم بمستوى ثقافي واجتماعي خاص ومتميز بأن لها طريقة معينة من التعبير تعرف بها، فجاءت هذه الألفاظ العامية لتكون أقدر على تصوير هذه الشخصيات والإبانة عن خواطرها (٤) ويرى بعض الدارسين أنه يجوز في بعض المواقف أن يستخدم القاص بعض الألفاظ والتعابير العامية في الحوار، إن كان هذا يخدم موقفا فنيا يساعد على رسم الشخصيات بمستوياتها الاجتماعية المتباينة (٥).

---

(١) انظر الذين يحترقون ص١١، ٢١ — ٢٢، ٢٦ — ٢٧، ٦٩ — ٧٠، ٨٨ — ٨٩ .
(٢) انظر: المصدر نفسه ص٢٥٩ — ٢٦٢، ٢٦٤ .
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٤٦، ٥٧ .
(٤) انظر: الذين يحترقون ص٧٧، ٧٩، ١١٨، والربيع العاصف، ٥١، ١٠٠ .
(٥) انظر: عبد القادر القط، في الأدب المصري، ص١٦٤، ومحمود السمرة، في النقد الأدبي ص٣١، وانظر: مقال محمد مندور، بين الفصحى والعامية في التعبير الأدبي، مجلة حوار، السنة ٣، عدد ٣، آذار — نيسان، ١٩٦٥، ص٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ـ موقع روايات نجيب الكيلاني الاجتماعية من مسيرة الرواية الاجتماعية في مصر:

تحتل الرواية الاجتماعية مركزا متميزا في الأدب العربي الحديث في مصـــر ، نتيجة لما طرأ على الواقع الاجتماعي من متغيرات سياسية واقتصادية وثقافية ، حتـى أن عددا من الأدباء قد اختص بهذا اللون من الروايات ، ومن هؤلاء نجيب محفوظ ويوسف إدريس وعبد الرحمن الشرقاوي وغيرهم . وقد تباينت الرؤية الاجتماعية لدى كل منهـم ، فمنهم من اهتم بواقع الطبقة المتوسطة في المدينة مثل نجيب محفوظ ، ومنهم من كـان ارتكازه على البيئة الريفية ، وما يحدث على ساحتها من صراعات وتفاعلات ، وما تعج بـه من مشكلات وصعاب تحاول إعاقة تقدم الحياة فيها ، ومن هؤلاء عبد الرحمن الشرقاوي .

ولأن أربعا من روايات نجيب الاجتماعية الخمس قد عرضت ـ بتفاوت فيما بينها ـ لواقع الريف ، فإن الباحث يرى أنه من المناسب الوقوف على موقع روايات نجيب الاجتماعية في مصر من خلال استعراض عجل لبعض الروايات التي تناولت الواقع نفسه .

من الروايات التي اهتمت بالريف في فترة مبكرة من القرن العشرين رواية (زينب)(١) لمحمد حسين هيكل ، التي دارت أحداثها حول علاقة عاطفية بين زينب وكل من حامد وحسن وإبراهيم ، وقد ضخمت هذه العلاقة كثيرا حتى سيطرت على مجرى الأحداث ، وبدا الريـف وكأنه لا يعاني من المشكلات شيئا ، وأن الفلاح المصري يبدو في غاية السعادة لوضعـه فيعيش في بحبوحة من العيش يحسد عليها ، ولهذا يرى بعض الدارسين لهذه الروايـة ، أن رواية هيكل للريف فيها مثالية ، ولا تمثل رؤية عميقة للواقع ، لأنه لم يرد أصلا أن يتصدى للريف ومشكلاته ، إذ أنه كتب روايته هذه وهو في فرنسا يتلقى هناك تعليمه هناك ، حيث الحنين والشوق لمصر في غربته ، فكانت روايته هذه تعبيرا عن ذلك ، مبتعـدة عن واقع الفلاحين الحقيقي في الامهم وآمالهم ، ومن هنا كانت هذه الرواية رومانسية وسطحية في معالجتها للواقع الريفي ، وبعيدة عن التعمق والتحليل الدقيق لـه ،

(١) صدرت سنة ١٩١٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبدت أحداثها وشخصياتها تعيش في عالم خيالي غير مقنع إلى حد كبير (١) . ويبقى الفضل لرواية (زينب) أنها تعتبر في طليعة الرواية الفنية العربية ، بعد أن سيطرت النزعة التعليمية والترفيهية عليها (٢) .

وإن كانت رواية (زينب) قد طرحت تصورا رومانسيا لواقع القرية المصرية ، فإن رواية (يوميات نائب في الأرياف) (٣) لتوفيق الحكيم قد جاءت لتعرّي الريف بسلبياته وواقعه المنحط بصورة مفرطة من التشاؤم ، فقد ساد هذا الواقع الجهل والتخلف والمرض والقذارة . ونظر توفيق الحكيم إلى ذلك نظرة إشفاق وعطف مشوبة بشيء من الاشمئزاز ، فكانت رؤيته للواقع الريفي من خلال تصورات فكرية مثالية صادرة عن معلم واعظ ومتعال ، لأنه وجد قمة الحضارة والتقدم في فرنسا ـ التي تلقى العلم فيها ـ على النقيض تماما مما وجده في الريف المصري ، عندما عين نائبا في إحدى قراه ، والقارئ لهذه الرواية يخرج بانطباع عام ، وهو أن الريف لا يمكن إصلاح واقعه لانتشار عوامل التخلف والضعف فيه (٤).

أما الأديب عبد الرحمن الشرقاوي ، فقد اختلفت رؤيته لواقع القرية المصرية عن رؤية كل من محمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم ، فقد عاش الشرقاوي هذا الواقع واطلع على ما يتفاعل فيه من صراعات حادة ، من خلال رصد حركة الفلاحين بجهدهم الجماعي في مواجهة عوامل الاستغلال والظلم والقهر المتمثلة في رجال الاقطاع وذوي النفوذ

---

(١) انظر: جورج سالم ، المغامرة الروائية ، اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٣م ، ص٢٠ ـ ٢٣ ، وعبد المحسن طه بدر ، الروائي والأرض ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٩م ص٥٩ ، ٦٢ ، ٦٦ ـ ٦٩ ، وعبد الرحمن ياغي ، الجهود الروائية ما بين سليم البستاني ونجيب محفوظ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م ، ص ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٩٠ ، وعبد الحميد ابراهيم ، القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث من أوائل القرن العشرين إلى قيام الحرب العالمية الثانية ، دار المعارف مصر ، ١٩٧٣ ، ص١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، وطه وادي ، مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية (١٩٠٥ ـ ١٩٥٢م) ، ص٣٤ ـ ٣٥ .

(٢) انظر: عبد الرحمن ياغي ، الجهود الروائية .. ص١٧٣ ، وعبد المحسن بدر ، الروائي والأرض ، ص٨١ ـ ٨٢ ، وجورج طرابيشي ، المغامرة الروائية ، ص١٩ ، وفتحي سلامة الفكر الاجتماعي في الرواية المصرية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٠ ، ص١٤ .

(٣) صدرت سنة ١٩٣٧م .

(٤) انظر: عبد الحميد ابراهيم ، القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث ، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، وعبد المحسن بدر ، الروائي والأرض ، ص٩١ ، ١٠٢ ـ ١٠٣ ، ١١٩ ـ ١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسلطة ، فلم تكن نظرة الشرقاوي إلى الريف نظرة حالمة خيالية كما صورته رواية (زينب) ، ولا نظرة مثالية متعالية كما صوره توفيق الحكيم في روايته (يوميات نائب في الأرياف) بل جاء تصويره للقرية وهي تواجه مشكلات حقيقية وواقعية ، وفلاحوها ليسوا جميعا نماذج جهل وتخلف يصعب حصره ، وإنما هم كبقية البشر ، لهم آمالهم وأحلامهم ، وفيهم الشريف وفيهم المتخاذل الوضيع .

وقد صدرت لعبد الرحمن الشرقاوي ثلاث روايات في مراحل مختلفة (١) ، تعبر عن رؤيته وتطرح تصوراته المختلفة حول الصراع الدائر بين الفلاحين المظلومين والإقطاعيين الذين ما انفكوا يتسلطون على رقاب العباد ويستبعدونهم ، وهذه الروايات الثلاث هي: (الأرض) ، و (قلوب خالية) ، و (الفلاح) .

أما روايته (الأرض) ، فتعالج واقع القرية المصرية في عهد صدقي باشا في بداية الثلاثينات ، الذى اتسم بالقهر والظلم ، عندما أمرت حكومته بتخفيض دورة المياه لسري أراضي الفلاحين من أجل قيام أحد الباشاوات بري أراضيه الجديدة . أما روايته (قلوب خالية) ، فعرضت الصراع بين الفلاحين والإقطاعيين وأعوانهم من المستغلين الأجانب إبان الحرب العالمية الثانية ، أما رواية (الفلاح) ، فتصور حركة القرية بعد صدور قرار حكومة الثورة المصرية بتشكيل الاتحاد الاشتراكي في بداية الستينات ، فاستغل بعض الإقطاعيين السابقين ذلك ، واستطاعوا الوصول إلى بعض المناصب القيادية في هذا الاتحاد ، وقاموا بممارسة الاستغلال من جديد ضد الفلاحين ، الذين سعت الثورة المصرية لإنصافهم وحماية حقوقهم .

وقد انطلق الشرقاوي في رواياته من منظور واقعي اشتراكي ، إذ التزم بمناصرة القوى الفاعلة المتمثلة بالفلاحين ضد العبودية والتجبر (٢) ، كما أن الرؤية المتفائلة بتغيير

---

(١) صدرت روايات (الارض) سنة ١٩٥٤م ، و (قلوب خالية) سنة ١٩٥٧ ، و (الفلاح) سنة ١٩٦٧م .

(٢) انظر: حلمي بدير ، الاتجاه الواقعي في الرواية المصرية الحديثة في مصر ، ص ٢٧٠ — ٢٧١ ، وشفيع السيد ، اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧م ، ص ١٩٠ — ١٩١ ، وحامد النساج ، بانوراما الرواية العربية الحديثة ص ٦٥ . والسعيد الورقي ، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، ص ١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواقع نحو الأفضل قد سيطرت على رواياته ، فنجد أن الفلاحين ينتصرون على أعدائهم وهذه السمات البارزة في رواياته من أهم ما تتصف به الواقعية الاشتراكية (١) .

بعد هذا العرض السريع لبعض الروايات التي تناولت موضوع الريف وقضاياه ، يمكن القول إن روايات نجيب الكيلاني التي طرحت الموضوع ذاته ، قد تفاوتت فيما بينها في عرضها له فقد سيطرت النزعة الرومانسية على روايته (أميرة الجبل) عندما جعلت الأحداث تتركز حول العلاقة العاطفية دون النفاذ بعمق لمحاولة التصدي للواقع الذي تدور فيه أحداث الرواية ، ولذلك جاءت المشكلات التي تعانيها عشيرة الشحوح التي تسكن بالقرب من رأس الخيمة باهتة وخافتة إلى حد كبير . أما رواية (حمامة سلام) فهي الرواية الوحيدة التي عرضت الصراع العنيف بين الفلاحين والمستغلين ونجحت في تصوير الحركة الجماعية لفلاحي القرية وتكاتفهم ضد الظلم والتعسف الذي حاق بهم ، إلا أن الخاتمة التي انتهت إليها الرواية جاءت بمصالحة غير مقنعة إلى حد كبير ، فكانت رؤية نجيب مغشاة ببعض ظلال الرومانسية في بعدها عن تصوير الواقع بصدق ، مخالفة لروايات الشرقاوي التي استطاعت النظر لواقع القرية بشمولية ، مصورة الصراع بتطوره ونتائجه دون اللجوء إلى حلول جاهزة تنقصها الواقعية والصدق .

ولعل رواية (الربيع العاصف) لنجيب الكيلاني من أكثر رواياته التي استطاعت النفاذ إلى واقع القرية ، والوقوف على حقيقته ، ورصد التحركات المختلفة فيه من خلال عرض بعض العيوب والسلبيات التي تعاني منها القرية ، فلا يشعر القارئ بأي تأفف واشمئزاز من الواقع صادرة عن رؤية متعالية يعيش صاحبها في برج عاجي ، فنجيب عايش القرية معايشة حقيقية واقعية ، دون أن يحمل تصورات مثالية عن واقعها ، تأثر بها من خلال معايشته لبيئة متحضرة ومتقدمة كما عاشها توفيق الحكيم ، ولهذا لا نرى

---

(١) انظر : أرنست فيشر ، الاشتراكية والفن ، ترجمة أسعد حليم ، دار القلم ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠ م ، ص ١٨٠ ، ١٨٢ ، ومحمد مندور ، الأدب ومذاهبه ، ص ٩٦ — ٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجيبا ساخطا على هذا الواقع الريفي ، وإنما نبّه الى بعض الحقائق فيه دون مغالاة وتهكم، ويلاحظ الباحث أن نجيبا يتعاطف إلى حد ما مع بعض الشخصيات الريفية مثل عبد المعطي وأم العز ، فعبد المعطي نموذج للفلاح الذي يسعى لاصلاح أمور قريته وإن كان هـذا لا يمنع أن يكون حاقدا على بعض الشخصيات التي يرى فيها أنها سبب مرضه وفقره . أما شخصية أم العز فهي تجسد موقف كثير من رجال الريف تجاه المرأة ، حيث تعامل معاملة بعيدة عن الإنسانية ، ولا تجد لها رفيقا غير الصبر والطاعة العمياء للزوج دون شعور بالكرامة والحرية .

وإن كانت رواية (الربيع العاصف) قد ركزت على سلبيات واقع الريف بعرض عدد من مشكلاته ، فإن رواية (الذين يحترقون) تقدمت خطوة نحو الأمام فبرز فيها التفاؤل والإيجابية بامكانية التغيير الايجابي للواقع ، وذلك بانتصار الخير على عناصر الشر والتخلف والاستغلال ، إلا أن هذا التفاؤل والايجابية لم يصدر عن واقعية اشتراكية من خلال الاهتمام بصراع طبقة الفلاحين والعمال مع رموز الاقطاع والاستغلال ، وانتصار هذه الطبقة العمالية ، مبشرة بواقع أفضل ، كما نجد عبد الرحمن الشرقاوي في رواياته التي عرضت هذا الصراع الذى شكل صلب الرواية وعمودها الفقري وإنما صدرت للتعبير عن مشكلات حقيقية تعيشها القرية وتعاني منها مثل المشكلات الصحية والتعليمية ومشكلة وضع المرأة الاجتماعي .

فنجيب في رواياته الاجتماعية بشكل عام لم يلتزم مدرسة أو مذهبا أدبيا بعينه، وإنما حاول قدر جهده أن يصور بعض القضايا الاجتماعية، التي يرى فيها أنها تشكل عائقا أمام تقدم القرية وتطلعها لعالم أفضل، وإن تفاوتت رواياته في طرحها لهذه القضايا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الرابـــع

روايـات نجيب الكيلاني السياسيـــة

١ـ موضوعـات الرواية السياسيـة وقضاياهـا .

أ ـ محور القضايا المصريـــة .

ب ـ محور القضية الفلسطينيـة .

جـ ـ محور قضايا العالم الإسلامي .

٢ـ البنـاء الفنـي .

٣ـ موقع روايات نجيب الكيلاني السياسيـة من مسيرة الرواية السياسية في مصـر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روايات نجيب الكيلاني السياسية

١ـ موضوعات الرواية السياسية وقضاياهـــا:

فرضت الظروف السياسية التي مرت وتمر بها الأمة العربية نفسها على الرواية العربية الحديثة ،سواء أكان ذلك في مصر أم في غيرها من البلاد العربيـــة ، إذ أن من طبيعة العمل الروائي ،أن يكون أكثر قدرة على التعبير عن المشكلات السياسية ، وما ينتج عنها من قضايا اجتماعية واقتصادية وفكرية مختلفة ، مـــن خلال تصوير شامل للواقع الإنساني ، وتحليل عميق للنفسيات البشرية (١) . ومن الموضوعات السياسية التي اهتمت بها الرواية العربية ـ خاصة في مصر ـ قضايـــا الاستعمار والكفاح الوطني ، والقضية الفلسطينية ، والاستبداد السياسي ، وكبـت الحريات التي يعاني منها العالم العربي بشكل عام .

ونجيب الكيلاني مثل غيره من الروائيين العرب ،لم يكن غائبا عن الواقـــع السياسي الذي تعيشه أمته ، فقد أهتم اهتماما كبيرا بهذا الواقع من خلال رصده وتحليله؛ إيمانا منه بأن " السياسة تلعب أخطر الأدوار في التأثير على نمط الحيـــاة والفكر والسلوك . . . "(٢) وقد بلغ عدد رواياته السياسية أربع عشرة رواية مـــن أصل خمس وعشرين ،وهذا دليل قوي وبارز يبين مدى اهتمامه بهذا الموضـــوع المهم ، كما أن انخراطه في العمل السياسي من خلال انتمائه المبكر لجماعة الإخوان المسلمين (١٩٤٨م) ، كان له أثر كبير وفعال في توجهه هذا .

ويمكن للباحث أن يتبين في روايات نجيب الكيلاني السياسية ثلاثة محـــاور رئيسية وهي :

أـ محور القضايا المصرية .

ب ـ محور القضية الفلسطينية .

جـ ـ محور قضايا العالم الإسلامي .

---

(١) انظر : صالح أبو إصبع ،فلسطين في الرواية العربية ، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث ،بيروت ،لبنان ، ١٩٧٥م ،ص١٧ .

(٢) نجيب الكيلاني ،رحلتي مع الأدب الإسلامي ،مخطوط ،ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبل أن انتقل إلى تحليل الروايات السياسية لا بد لي من استعراض أهم القضايا التي طرحتها في محاورها الثلاثة .

أ - محور القضايا المصرية :

تناول نجيب الكيلاني في بعض رواياته الواقع السياسي المعاصر في مصر ، فأبرز حركة المقاومة الوطنية للشعب المصري في مواجهة الاستعمار الإنجليزي والمتعاونين معه من العملاء المحليين . وتمثل ذلك في روايات : (الطريق الطويل)(١) ، و (في الظلام) (٢) ، و (رأس الشيطان) (٣) ، و (النداء الخالد) (٤) . أما رواية (حبيبي رمضان) (٥) ، فقد رصدت أحداث حرب رمضان ١٩٧٣م والصراع المرير مع العدو الاسرائيلي .

---

(١) نجيب الكيلاني ، الطريق الطويل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١م ، وقد صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٥٧م عن مكتبة مصر ، القاهرة ، وهي أول أعماله الروائية ، إذ ألفها وهو نزيل سجن أسيوط سنة ١٩٥٦م ، وقد فازت بجائزة التربية والتعليم سنة ١٩٥٧م ، وترجمت للروسية على يد أحد المستشرقين الروس ، وفي سنة ١٩٥٩م وافقت الحكومة المصرية على تدريس هذه الرواية لطلاب المرحلة الثانوية في مصر وسوريا أيام الوحدة بينهما ، وقد ورد ذلك في الشريط المسجل الذي أرسله نجيب للباحث ، وفي كتاب رحلتي مع الأدب الإسلامي لنجيب نفسه ، ص ٢٠ ، ٢٨ .

(٢) في الظلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، وصدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٥٨م ، عن الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، وفازت بجائزة التربية لسنة ١٩٥٨م .

(٣) رأس الشيطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، أما الطبعة الأولى فصدرت سنة ١٩٦٠م ، عن المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، وقد ورد ذلك في مقالة لنجيب حول هذه الرواية في مجلة الأمة القطرية ، السنة ٤ ، العدد ٤٤ ، أيار ١٩٨٤ ، ص ٣٠ . وقد نشرت مؤسسة الرسالة - خطأ - هذه الرواية تحت عنوان رأس الشيطان وقصص أخرى ، مع أنه لا توجد أي قصة أخرى غير (رأس الشيطان) .

(٤) النداء الخالد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١م ، أما الطبعة الأولى فصدرت سنة ١٩٦٤م ، عن الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة .

(٥) رمضان حبيبي ، المختار الإسلامي للطباعة والنشر ، ١٩٧٤م وقد طبع منها ثلاثة ملايين نسخة ، وقررت على طلاب المدارس في مصر مع إجراء بعض التعديلات عليها ، وقد أخبرني نجيب بذلك في الشريط المسجل ، وورد ذلك أيضا في كتاب رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرّضت بعض الروايات بالاستبداد السياسي وكبت الحريات في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ،وهذه الروايات هي : (ليل العبيد)(١) ،و(رحلة إلى الله)(٢) ،و(حكاية جاد الله)(٣) .

تناولت رواية نجيب الأولى (الطريق الطويل) الواقع السياسي في مصر في فترة الاحتلال الإنجليزي ،إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) ، حتى اندحار المحاور الثلاثي سنة ١٩٤٥م ، ومن أهم القضايا التي طرحتها هذه الرواية ،مشاركة مصر في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م ،واشتعال حرب الفدائيين في مواجهة الإنجليز سنة ١٩٥١م ،وقيام ثورة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢م .

وكشفت أحداث الرواية معاناة الشعب المصري في ظل الاحتلال البغيض ، فقد انتشر الفلاء وقلت الأقوات ،وتدهورت الأوضاع الصحية ، وقد كان لظروف الحرب العالمية الثانية أثر كبير في وصول مصر إلى هذه الحالة المتدهورة ، التي شملت كثيرا من شؤون الحياة . ويرى عاصم الدسوقي أن طبقة العمال والفلاحين كانت من أكثر فئات المجتمع التي تعرضت لهذه المعاناة القاسية (٤) .

---

(١) نجيب الكيلاني ،ليل العبيد ،نشر وتوزيع مكتبة الزناري ،،القاهرة ، دون تاريخ ،وقد أخبرني نجيب في الشريط المسجل أنها صدرت في بداية الستينات ، وقد أخرجت الرواية فيلما سينمائيا في بداية السبعينات تحت عنوان (ليل وقضبان) وفاز الفيلم بالجائزة الأولى في مهرجان لمشقند الدولي ،وورد ذلك في رسالة نجيب المؤرخة بتاريخ ١٢/٤/١٩٨٤

(٢) رحلة إلى الله ،نشرت بالكويت ، ط١ ،١٩٧٩ .

(٣) حكاية جاد الله ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ج١ ،١٩٨٥م .

(٤) انظر : مصر في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ،١٩٧٦ ،ص ٢٢٤- ٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رواية (رأس الشيطان) ، فقد عرضت الأحداث السياسية في مصر في الفترة الواقعة ما بين (١٩٢٠ - ١٩٢٥م) ، حين تولى صدقي باشا الوزارة ، وقام بإلغاء دستور ١٩٢٣م ، كما شن حملة عنيفة على قوى المعارضة ، مما أدى إلى مقتل عدد كبير من المصريين ، حتى أن أحد المؤرخين وصف صدقي باشا بأنه " خصم الدستور الألد ، والمستهتر بحقوق الشعب " (١)

وقد تركزت أحداث الرواية حول المقاومة السرية والعلنية لسياسة حكومة صدقي باشا وأعوانه الإنجليز ، الذين يشكلون - في الحقيقة - الخطر الأساسي على الشعب المصري ، وتطورت الأحداث عندما اشتعلت ثورة عارمة في مواجهة سياسة الإنجليز والحكومة في المدن المختلفة ، وشارك الريف في الثورة من خلال رفض القوانين الاقتصادية الجائرة التي فرضتها حكومة صدقي على الفلاحين ، التي أدت إلى وقوعهم في مشكلات اقتصادية واجتماعية حادة .

وأظهرت أحداث الرواية مدى التلاحم القومي مع الشعب المصري في هذه الفترة ، ممثلا بمشاركة أحد السوريين في العمليات المناهضة للإنجليز وعملائهم ، في حين لم تخل الساحة المصرية من بعض الوصوليين الخونة ، الذين سعوا لمصالحهم الشخصية الضيقة على حساب وطنهم وشرف أمتهم ، ومثل ذلك الصحفي بركات الزناتي .

أما رواية (النداء الخالد) ، فقد صورت ثورة المصريين سنة ١٩١٩م ، في مواجهة الإنجليز والسلطة الحاكمة ، وتوجت هذه الثورة بإنشاء جمهورية زفتي ، التي ما لبثت أن فشلت في تثبيت أقدامها ، نتيجة تفوق الإنجليز تنظيما وتسليحا ، وكشفت الرواية مدى الذل والهوان الذي لحق بالمصريين قبل اشتعال هذه الثورة ، وبالتحديد إبان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) ، إذ أجبر الإنجليز عددا كبيرا من المصريين على العمل في خدمة قواتهم دون مقابل ، وذلك من

---

(١) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة الفكرة ، ١٩٤٩م ، ج ٢ / ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أجل شق الطرق وبناء المعسكرات والسكك الحديدية ، وغير ذلك من الأعمال القسرية ، مما خلق ظروفا اقتصادية واجتماعية صعبة لعائلاتهم خاصة في المناطق الريفية (١) ، كما صادر الإنجليز كميات كبيرة من الحبوب ، وأعدادا هائلة من المواشي ، لسد النقص في المواد التموينية ووسائل النقل .

وقد ألتقت قصة الكفاح الوطني بعلاقة عاطفية جمعت بين أحمد شلبي وصابرين ، وتوجت هذه العلاقة بالزواج ، في الوقت الذي تشكلت فيه وزارة عدلي للتفاوض مع الإنجليز من أجل استقلال مصر .

ولئن كانت روايات : (الطاحونة الطويلة) ، و (رأس الشيطان) ، و (النداء الخالد) قد صورت المقاومة الشعبية وجها لوجه في مواجهة المحتلين ، فإن رواية (في الظلام) قد صورت هذه المقاومة من خلال مجموعة سرية تعمل ضد نظام الملك فاروق في الفترة مابين ١٩٤٧ - ١٩٥٢م ، في حين تراجعت واختفت المقاومة ضد الإنجليز . وقد شهدت مصر هذه الفترة أحداثا كبيرة ، من أهمها : اشتراك مصر في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م ، التي كشفت خيانة الملك فاروق من خلال تزويد الجيش المصري بالأسلحة الفاسدة ، كما اشتدت المعارك بين الفدائيين المصريين والإنجليز في القتال سنة ١٩٥١ واستمرت حتى سنة ١٩٥٢م ، وقد كانت هذه الأحداث وغيرها تشكل مقدمات وإرهاصات لثورة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢م (٢) .

دارت معظم أحداث الرواية في أقبية السجن ، فقد ألقي القبض على عناصر المجموعة المناهضة للحكم بتهمة توزيع المنشورات المعادية للنظام ، ومورس التعذيب النفسي والجسدي ضد هؤلاء بشكل وحشي وقاس ، فثبت من ثبت ، وانهار من انهار ، ثم انتهت أحداث الرواية بقيام ثورة ١٩٥٢م ، والإفراج عن المعتقلين .

---

(١) انظر: شحاته عيسى إبراهيم ، الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م ، ص ١٢٠ - ١٢١ . وعبد الرحمن الرافعي ثورة سنه ١٩١٩ (تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ - ١٩٢١م) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٥ ، ١/٣٩ - ٤١ .

(٢) انظر : حسن صبحي ، اليقظة القومية الكبرى : يوليو ١٩٥٢م ، دار المعارف ، القاهرة ط١ ، ١٩٦٥ ، ص ١٠١ - ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولئن انتهت العلاقة العاطفية بالزواج في روايتي : (النداء الخالد) ، و(رأس الشيطان) ، فإن هذه العلاقة قد آلت إلى الفشل في رواية (في الظلام) ، بعد أن انطرت نهيرة لترك خطيبها فريد بعد اعتقاله ، والحكم عليه بالسجن سبع سنوات .

ورواية (رمضان حبيبي) هي الوحيدة التي عرضت أحداثا معاصرة وقريبة العهد ، إذ تناولت حرب رمضان سنة ١٩٧٣م ، واشتداد المعارك على الجبهة المصرية الاسرائيلية ، وقد أثبت الجندي العربي في هذه الحرب قدرة فائقة في القتال والثبات في المواجهة ، عندما اقتحم خطوط العدو ، ودمر تحصيناته ، خاصة خط بارليف الشهير ، الذى راهن كثير من الناس على عدم إمكانية اقتحامه وتحطيمه .

وأحداث الرواية تتركز بشكل رئيسي ومكثف حول شخصيتين ، تتفقان على النقيض تماما في فكرهما وسلوكهما ، وهما : شخصية أحمد ، الجندي المتدين والملتزم بالإسلام في الواقعين النظري والعملي ، وشخصية جليلة ، الفتاة الجامعية المتحررة بأفكارها وسلوكها ، وتتطور الأحداث بمشاركة أحمد في الحرب ، فيبدى شجاعة وجرأة في المعارك ، ويشهد له بذلك أصدقاؤه من الجنود والضباط ، كذلك تبدأ جليلة تغير من نظرتها تجاه أحمد ، وتتقرب إليه شيئا فشيئا نتيجة الحوارات الفكرية المختلفة التي دارت بينهما ، فتقتنع بأفكاره ، وتعجب بسلوكه الملتزم ، وتتوج العلاقة بين أحمد وجليلة بالزواج .

وأبرزت رواية (ليل العبيد) الرمزية ، الوضع السياسي المتأزم في مصر في بداية الستينات ، حين سيطرت أجهزة المخابرات على نواحي الحياة المختلفة ، فبدت الحياة جحيما لا يطاق ، وأصبح الإنسان لا يأمن على نفسه ، فاضطربت الحياة الإنسانية ، وازداد الأمر سوءا ، نتيجة انتشار الإرهاب والاستبداد السياسي ، وقد تجنب نجيب الكيلاني بيان ذلك بصورة مباشرة وصريحة ، فلجأ إلى الرمز حتى لا يكشف أمره ، خاصة أن له تجارب سياسية قاسية مع السلطة ، أسفرت عن اضطهاده واعتقاله لسنوات عديدة . وقد صورت روايته هذه حياة المعتقلات والمعتقلين ، وأبرزت التصرفات السلبية لعدد من سوءولي هذه المعتقلات ، ممثلة بمدير السجن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد الهادي بك الذي حوّل حياة السجناء إلى عذاب دائم وقلق مروع ، مع أنه أنصف خلق الله في بيته وأمام زوجته. وقد كشفت بعض أحداث الرواية مدى الخلل الذي أصاب المجتمع في عهد الثورة المصرية ، إذ انتشرت الرشوة والسرقة والاستبداد السياسي .

ولئن كانت رواية (ليل العبيد) قد عرضت بحكومة الثورة من خلال إطار رمزي ، فإن رواية (رحلة إلى الله) قد كشفت حقيقة هذا النظام بصورة مباشرة وصريحة، فعرّت أساليب القهر والتعذيب والاعتقال التي استخدمتها السلطة في صراعها مع الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤م، فقد تمت تصفية بعض عناصر هذه الجماعة ، واعتقل الكثير من أعضائها، بعد أن وجهت حكومة الثورة تهمة محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر (١) .

دارت معظم أحداث الرواية داخل السجن الحربي ، الذي كان يضم أعضاء من التنظيمات السياسية المختلفة ، ومن أهمها أعضاء الإخوان المسلمين ، ومن خلال هذه الأحداث يتعرف القارئ على فكر الجماعة السياسي وغيره ، كما يتعرف على حقيقة الصراع بينها وبين الثورة .

وإلى جانب الأحداث التي جرت في السجن ، فإن قسما من أحداث الرواية قد وقع خارج السجن ، من خلال إحدى الشخصيات المصرية التي لم تكن منتمية إلى أي جماعة سياسية ، إلا أن الظلم والقهر قد أصابها مثل غيرها من الأبرياء .

والرواية الأخرى التي أبرزت الاستبداد السياسي في مصر ، هي رواية (حكاية جاد الله) ، وهي أحدث رواية سياسية لنجيب الكيلاني حتى هذا الوقت ، والرواية

---

(١) للمزيد عن حقيقة هذا الصراع ، انظر: أمين سعيد ، الثورة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، إلى ١٩ اكتوبر ١٩٥٦م ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٩م ، ص ١٢٨ - ١٣٣ ، وأحمد أبو الفتح ، جمال عبد الناصر ، دون تحديد لمكان وتاريخ النشر ، ص ٢٠٢ - ٢١٠ . وريتشارد ميتشل ، الإخوان المسلمون ، ترجمة عبد السلام رضوان ، مراجعة فاروق عفيفي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٧م ، ص ٢٠٠ - ٣١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مغلقة بإطار رمزي إلى حد ما دون أن تصل إلى الرمزية الكاملة ، فقد بينت أحداث الرواية التفكك والتآكل اللذين سادا المجتمع المصري قبل حرب ١٩٦٧م بفترة وجيزة ، ويمكن الاستدلال من ذلك أن هزيمة حزيران ١٩٦٧م لم تكن عسكرية بقدر ما كانت هزيمة للأنظمة السياسية وللمجتمعات المحطمة من الداخل سياسيا واقتصاديا وأخلاقيا ، فليس غريبا إذن أن يكون هذا الانهيار السريع أمام العدو الاسرائيلي .

لم يلجأ نجيب إلى الدعائية السياسية المباشرة ضد النظام السياسي في مصر ، وإنما عمد في روايته إلى تحليل دقيق للعلاقات الاجتماعية المختلفة للمجتمع المصري ، حتى أن القارئ العجل يخرج بنتيجة مفادها أن مضمون الرواية اجتماعي بحت ، والحقيقة أنه ليس كذلك ، لأن المؤلف من خلال تركيزه المكثف على تدهور العلاقات الاجتماعية كان يهدف إلى اتهام نظام الحكم نفسه ، لما كان يقوم به من تحطيم مقدرات الشعب في قضايا جانبية لا قيمة لها ، مما أفقده التصدي الحقيقي والواعي للمشكلات الحقيقية للمجتمع ، وبالتالي أفقده الصمود في مواجهة أي اعتداء خارجي يهدد البلاد .

وقد أظهرت الرواية أنه في الوقت الذي كان العدو الاسرائيلي يتقدم بقسوة وبسرعة لاحتلال الأراضي المصرية في سيناء ، كانت المعتقلات تعج بالسجناء السياسيين ذوي الاتجاهات المختلفة من حزب الوفد والشيوعيين والإخوان المسلمين وعدد من الباشاوات من العهد الملكي البائد .

ب— محور القضية الفلسطينية :

شغلت القضية الفلسطينية الإنسان العربي منذ بداية أحداثها ، إذ رأى أنها تخصه وتخص كل عربي في البقاع المختلفة ، لما لها من انعكاس مباشر على الأمة العربية كلها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . وقد كان للضعف الشديد والخلل الحاد اللذين أصابا الأمة العربية أثر سلبي على هذه القضية وتطوراتها مما أدى إلى وقوع النكبات المتتالية للشعب الفلسطيني ابتداء من نكبة ١٩٤٨م ، ومرورا بهزيمة حزيران ١٩٦٧ وحتى أيامنا هذه . وقد قصرت القيادات السياسية في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واجبها تجاه هذه القضية ،أما الإنسان العربي فإنه يعاني من الانحطاط العام سياسيا واقتصاديا وفكريا ،فبدا منهكا وممزقا لا يستطيع المقاومة والثبات أمام عدو متفوق في المجالات جميعها ، وإذا كان هذا هو الحال،فليس غريبا أن تصاب هذه الامة بالنكبة تلو النكبة،دون أن تشعر بعظم المسؤولية وحجمها ،خاصة أن العدو الإسرائيلي لا ينظر إلى الأرض الفلسطينية نظرة إقليمية محدودة ، وإنما يرى فيها قاعدة لأحلامه التوسعية التي تهدد كيان الأمة العربية بأجمعها ، ولهذا فإن تخطيطه للصراع ضد العرب شامل وعام عسكريا وفكريا وثقافيا ،فلا بد إذن من مواجهته بالأساليب والخطط نفسها حتى يأتي يوم يظهر الله فيه الحق ،ويزهق الباطل ،فتعود الأمور إلى نصابها، وترجع الحقوق كاملة لأصحابها الشرعيين .

ولنجيب الكيلاني روايتان تناول فيهما القضية الفلسطينية هما : (أرض الأنبياء)[1]، و (عمر يظهر في القدس) (٢) . أما روايته (أرض الأنبياء) ،فقد اهتمت بإبراز الصراع العسكري بين العرب واليهود سنة ١٩٤٨م من خلال العمليات الفدائية التي قامت بها إحدى المجموعات التي تتكون من متطوعين فلسطينيين ومصريين، وقد استطاعت هذه المجموعة أن تحرز مكاسب عسكرية هامة في منطقة صور باهر بالقدس ، إلا أن أحلام أفراد هذه المجموعة بتحقيق مزيد من الانتصارات تبخرت حين وافقت الحكومات العربيه على وقف إطلاق النار، فاستغل اليهود ذلك لاستمرار تدعيم جهودهم العسكرية ،ولإعداد أكبر عدد ممكن من المقاتلين. أما على المستوى العربي ، فقد سيطرت الغفلة والتراخي على تحركاتهم السياسية والعسكرية ،فتهاوت المدن الفلسطينية الواحدة تلو الأخرى بعد انسحاب قوات الانتداب البريطاني .

---

(١) نجيب الكيلاني ،أرض الانبياء ،الشركة العربية للطباعة والنشر ،القاهرة، ١٩٦٠م. وتظهر مقدمة الرواية أن نجيبا زار بعض مناطق الضفة الغربية سنة ١٩٥٤م ومنها القدس ،انظر : ص ٥ - ٧ .

(٢) نجيب الكيلاني ،عمر يظهر في القدس ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط٢ ١٩٨١م ، وصدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٧١م عن دار النفائس ببيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإلى جانب الدور العسكري المهم الذي أبرزته الرواية ، فإنها ألقت مزيدا من الضوء على معاناة الشعب الفلسطيني من حيث التشرد والضياع ، وهتك الأعراض وتردي الأوضاع الاقتصادية ، وقد ترك كل ذلك آثارا سيئة بعيدة المدى على الإنسان الفلسطيني ، الذي ما زال يكتوي بنار المحنة حتى وقتنا هذا .

وإذا كانت رواية (أرض الانبياء) قد شغلتها الأحداث العسكرية على الساحة الفلسطينية ، فإن رواية (عمر يظهر في القدس) قد اختلفت عنها كليا مضمونا وشكلا ، إذ اهتمت بمعالجة القضية الفلسطينية من خلال الفكر الإسلامي شديد بالحل الإسلامي لهذه القضية ، فقد استحضر المؤلف من القبور شخصية تاريخية إسلامية تربطها صلات حميمة بفلسطين ، وهذه الشخصية هي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعمد المؤلف إلى صنع مواجهات ساخنة ومثيرة تبين مبادئ الإسلام وأفكاره المختلفة المتمثلة في شخصية عمر ، وبين الأفكار والتوجهات السائدة داخل الأرض المحتلة بعد هزيمة ١٩٦٧م وتناولت القضايا السياسية والاجتماعية والدينية المختلفة التي تمس المشكلة الفلسطينية في صميمها . كما كشفت الرواية تخلف كثير من المسلمين عن واجبهم نحو هذه القضية المقدسة لسيطرة الجمود والتخلف عليهم في شتى الميادين . إلا أن المؤلف متفائل بإمكانية حل هذه القضية حلا حاسما وجذريا عن طريق الكفاح المسلح ، الذي يرى فيه الحل الأوحد لحسم الصراع مع اليهود ، لاتفاقه مع المنظور الإسلامي للقضية ، أما حلول السلام المطروحة فمرفوضة على الإطلاق ؛ لأنها تتجاهل حقائق الصراع مع اليهود ، لأن هذا الصراع - أساسا - عقائدي بين الإسلام واليهودية ، امتدت جذوره في التاريخ قديما ، ولا يزال حتى يومنا هذا ، فليست القضية إذن قضية احتلال عسكري ، وتشريد شعب ، وإن كان ذلك من الأهداف المهمة التي يسعى اليهود لتحقيقها .

ج - محور القضايا الإسلامية :

اهتم المؤلف بإبراز أهم القضايا السياسية التي تواجه المسلمين في بعض الدول في العصر الحديث ، فامتدت اهتماماته للحديث عن واقعهم في أربع مناطق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توزعت على قارتي آسيا وأفريقيا بصفتهما مركزين مهمين للتواجد الإسلامي ، وهذه المناطق هي : أندونيسيا وتركستان الشرقيه ونيجيريا والحبشة . أما الروايات التي تناولت الأحداث السياسية في هذه المناطق فهي : (عذراء جاكرتا) (١)، و (ليالي تركستان) (٢) ، و(عالقة الشمال) ، و (الظل الأسود) (٤) . وقد صدرت جميعها تحت عنوان روايات إسلامية معاصرة .

جسدت رواية (عذراء جاكرتا) الصراع الحاد بين الحزب الشيوعي والحكومة الأندونيسية من جهة ، وبين القوى الإسلامية والجيش الأندونيسي من جهة أخرى ، إذ قام الشيوعيون بالثورة المسلحة سنة ١٩٦٥م للاستيلاء على البلاد لتحويلها إلى دولة شيوعية ، بعد أن مني هؤلاء بهزيمة نكراء سنة ١٩٤٨ على يد الجيش الأندونيسي بقيادة أبو الحارث ناسيتون (٥) . إلا أن ثورة ١٩٦٥م أجهضت أيضا من قبل الجيش بمساندة قوية من الشعب الأندونيسي المسلم ، وقد أثبتت التحقيقات أن الرئيس سوكارنو كان على علم مسبق بهذه الثورة ، وحاول من خلالها القضاء على النفوذ المتزايد لحزب ماشومي الإسلامي (٦) . وكشفت بعض الأحداث التواطؤ الذي قام به لتدعيم النفوذ الشيوعي، حتى تمكن الشيوعيون من السيطرة على المراكز

---

(١) عذراء جاكرتا ، دار النفائس ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٢م . وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ عن دار الاعتصام ، بيروت .

(٢) ليالي تركستان ، دار النفائس ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٤م . أما الطبعة الاولى فصدرت سنة ١٩٧٢م عن دار الاعتصام ، بيروت .

(٣) عالقة الشمال ، دار النفائس ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٢م . وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م . عن دار الاعتصام ، بيروت .

(٤) الظل الأسود ، دار النفائس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م .

(٥) انظر: محمد أسد شهاب ، صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة ، دون مكان للنشر ، ١٩٧٠م ، ص٢٢ .

(٦) انظر : أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٢م ، ٨/٥٢٧ - ٥٢٨ . ومحمد أسد شهاب ، صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة ، ص٦٦ - ٦٨ - ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحساسة في البلاد كالإعلام والمخابرات ،

وإذا كانت رواية (عذراء جاكرتا) لم تعتمد كثيرا على سرد الأحداث العسكرية فجاءت هامشية إلى حد بعيد ، فإن رواية (ليالي تركستان) استندت في معظم أحداثها إلى سرد الوقائع الحربية والثورات المتتالية ، التي قام بها المسلمون في تركستان الشرقية في مواجهة الصينيين والروس . وقد انتهت أحداث هذه الثورات بسيطرة الصين على تركستان الشرقية ، بعد أن قدم الروس لها المساندة الفعالة من السلاح والمعدات .

وكانت معظم شخصيات رواية (ليالي تركستان) الإسلامية منها والصينية حقيقية، ومن أهم الشخصيات الإسلامية ، عثمان باتور، الذي أعدمه الشيوعيون سنة ١٩٥٠م(١) ، وخوجه نيازي الذي أعدم سنة ١٩٢٤م(٢) . أما الشخصيات الصينية ، فكان شين سي تساي من أهمها ، إذ عين من قبل حكومة الصين الوطنية حاكما على تركستان الشرقية، وفي عهده ازداد التدخل الروسي في هذه المنطقة ، فتغلغل الشيوعيون في المراكز الحيوية فيها ، مما أثار شكوك وحفيظة حكومة الصين الوطنية فأمرت بإقالته (٣) ، ولكن نفوذ الشيوعيين في تركستان ظل قويا إلى أن سقطت بأيديهم نهائيا سنة١٩٤٩ (٤) .

وبعيدا عن الصراع الإسلامي مع الشيوعية في أندونيسيا وتركستان الشرقية، طوّف نجيب الكيلاني في دولتين من دول أفريقيا ليرصد التآمر الخارجي والداخلي على الإسلام في كل من نيجيريا والحبشة . فعبرت رواية (عالقة الشمال) عن التآمر

---

(١) انظر : أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ٨ / ٦١٢.

(٢) انظر : بدر الدين و.ل حي ، تاريخ المسلمين في الصين، دار الإنشاء للطباعة والنشر طرابلس ، لبنان ، ١٣٩٤هـ ، ص١٢٨ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ، ص١٢٨ - ١٢٩ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ، ص١٣٠ - ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أرض نيجيريا في الفترة الواقعة مابين سنتي (١٩٦٥ - ١٩٧٠)، فقد تغلغل النفوذ الإسرائيلي فيها تغلغلا كبيرا عن طريق الشركات والخبراء الاقتصاديين في المجالات المختلفة، خاصة الزراعية منها، كما ساعدت إسرائيل انفصال إقليم بيافرا الشرقي عن نيجيريا، الذى وقع بين سنتي ١٩٦٧ - ١٩٧٠م، فقد مدت الأسلحة والمعدات للانفصاليين، الذين يدين معظمهم بالمسيحية. ويرى أكثر من باحث أن الاستعمار البريطاني هو الذي مهد في الواقع للتمزق السياسي والحروب الأهلية في نيجيريا من خلال تقسيمها إلى أقاليم ذات أوضاع محددة، تعتمد على الدين واللغة، فتركز المسيحيون في الشرق والمسلمون في الشمال، بينما شملت المناطق الأخرى خليطا من السكان ذوي الديانات المختلفة، مسيحية وإسلامية ووثنية (١). كما أبرزت الرواية الدور الذي لعبه بعض المبشرين في بث العداوة والبغضاء بين فئات الشعب النيجيري، كما ساهم هؤلاء أيضا في تثبيت وتقوية النفوذ الاستعماري الغربي في نيجيريا، وقد تركز نشاط هؤلاء المبشرين في المنطقة الشرقية منها.

وتكاد رواية (الظل الأسود) تشبه رواية (عاصفة الشمال) في الخطوط العامة، إذ صورت تدخل الدول الغربية في شؤون الحبشة في العقد الثاني من القرن العشرين حتى قيام إيطاليا بغزو الحبشة سنة ١٩٣٥، وقد كان هذا التدخل عسكريا واقتصاديا وثقافيا، ولعب بعض رجال الكنيسة الحبشية التي تتمتع بنفوذ قوي هناك دورا بارزا في التمهيد لذلك، من خلال مطالبتها بخلع الامبراطور إياسو المسلم وإقصائه، لتنصيب ثغري الذى عرف (بجيلاسلاسي فيما بعد) بدلا منه. وقد أكد أكثر من مؤرخ على هذا الدور البارز الذي قامت به الكنيسة لإسقاط إياسو (٢).

---

(١) انظر: عبد الملك عودة، سنوات الحسم في أفريقيا، (١٩٦٠ - ١٩٦٩)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٩٢ - ٢٠٠، وأحمد شلبي، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ٥/٥٩٥ - ٥٩٦.

(٢) انظر: لوثروب ستودارد - حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عادل نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط٤، ١٩٧٢م، ج٢/٨٠، وفتحي غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، شركة الطباعة الفنية المتحدة، دون تاريخ، ص٢٥١، ٢٥٦ - ٢٥٧، وياسين الحموي وداود التكريتي، الحبشة، المطبعة العصرية دمشق، ١٩٣٥م ص١٢٦ - ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- البناء الفـــني :

تحتل الرواية السياسية موقعا مهما في مسيرة الرواية العربية الحديثة ، ونقصد بهذه الروايات ، تلك التي تسيطر عليها الأفكار والقضايا السياسية المختلفة ، وهذا لا يعني أن تكون الرواية بكل أجزائها وتفصيلاتها سياسية بحتة ، لأن الرواية بطبيعتها عالم متداخل ومتشابك من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والفكريـــة ، إلا أن السمة الغالبة على هذا النوع من الروايات ، هي تركيزها الشديد علـــى المضمون السياسي .

ولعل الأحداث الجسام التي واجهتها الأمة العربية ، وتواجهها حتى الآن ، هي الدافع القوي الذي دفع الأدباء على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والسياسية إلى تبني كثير من القضايا السياسية في أعمالهم الأدبية بشكل عام ، والرواية بشكل خاص ، لقدرتها على توصيل الأفكار المختلفة تفصيلا وتحليلا ، أكثر من غيرها من الفـــنون الأدبيـــة .

وتواجه الرواية السياسية بعض المزالق الخطيرة التي قد تؤدي إلى إضعاف البعد الفني فيها ، وبالتالي إخفاقها في إيصال ما ترمي إليه من الأهداف السياسية المختلفة ، ومن أهم هذه المزالق ، تلك الدعاية السياسية المباشرة لفكرة ما ، التي تنتج عن تحمس الكاتب لفكرة وانتمائه السياسية ، مما قد يحيل الرواية إلى مقالات سياسيـــة مكشوفة تفتقد الإقناع والتأثير ، ولهذا فإن المهمة الرئيسية أمام الروائي السياســـي هي أن يجعل الأفكار والعقائد التي يريد أن يطرحها تبدو حية ومقنعة من خـــلال حركة الشخصيات وتفاعلها النشط مع الأحداث ، لتبدو معقولة ومبررة دون تزييـــف وافـــتعال (١) .

وانطلاقا من هذه التصورات لمفهوم الرواية السياسية - سأحاول قدر جهدي - أن أتبين مدى نجاح نجيب الكيلاني أو إخفاقه في طرحه للموضوع السياسي في رواياته

---

(١) انظر : ترجمة الباب الأول من كتاب (الرواية السياسية) للكاتب الأمريكـــي آرفنج هاو ، وقام بترجمته طه وادي في مجلة الأقلام ، السنة ١٢ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ، ١٩٧٧م ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي عالجت القضايا المصرية والقضية الفلسطينية وقضايا العالم الإسلامي، وذلك من خلال تحليل ونقد لها ، ثم سأحاول بعد ذلك تحديد موقع هذه الروايات من مسيرة الرواية السياسية في مصر .

أ- محور القضايا المصرية :

ونبدأ برواية (الطريق الطويل) التي حاولت رصد وتحليل حركة المجتمع المصري إبان الحرب العالمية الثانية حتى نهاية العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م ، وذلك من خلال تتبع دقيق لعلاقات البطل (سليمان) السياسية والاجتماعية والعاطفية ، ومن تشخيص للصراعات القائمة آنذاك في مصر .

استطاع نجيب الكيلاني في هذه الرواية أن يوائم مواءمة كبيرة بين المراحل الزمنية في عمر الشخصية الراوية ، وما يدور من أحداث سياسية واجتماعية تمسها من قريب أو بعيد ، فقد كانت هذه الأحداث غير منفصلة عن واقع هذه الشخصية ، إذ أنها تعايشها معايشة حقيقية واقعية . والمتتبع لشخصية الراوي سليمان ، يلحظ التشابه الكبير بينها وبين نجيب الكيلاني نفسه ، فقد تقمصت شخصية سليمان هذه كثيرا من المواقف التي مر بها نجيب في مراحل عمره المختلفة ، في طفولته وتعليمه ، وحال أسرته ، وغير ذلك من الأمور التي عايشها نجيب نفسه . ومن خلال معرفتنا للمراحل الزمنية لسليمان نتعرف على كثير من القضايا التي مرت بها مصر ، خاصة السياسية ومن أهم هذه القضايا ، الآثار السلبية التي نتجت عن اشتعال الحرب العالمية الثانية ، وقد انعكست هذه الآثار بشكل حاد وقوي على الريف المصري ، حين تدهورت أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية ، فانتشر الغلاء الفاحش والفقر الشديد ، وازدادت الأوضاع الأمنية والصحية سوءا نتيجة لذلك ، مما جعل حياة الفلاحين لا تطاق . أما انعكاس آثار الحرب على المدن المصرية ، فقد أبرزته الرواية من خلال علاقة سليمان مع فريد الذي كان يعمل في القاهرة ، فقد تعرفنا من مراسلاته لسليمان مدى ما أحدثته هذه الحرب فيها من تدمير وتخريب ، إلا أن الملاحظ أن المؤلف لم يفصل كثيرا من حديثه عن تردي الأوضاع في المدينة بقدر تفصيله الشديد عن حالة الريف إبان الحرب، إذ استغرق هذا التفصيل معظم صفحات الرواية (١)

---

(١) انظر: الطريق الطويل ص٩٦ - ١٠٠، ١٤٠، ١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن القضايا الأخرى التي أبرزتها أحداث الرواية ، المقاومة الشعبية في مواجهة الملك فاروق عند اشتداد القتال في فلسطين سنة ١٩٤٨م ، وانكشاف قضية الأسلحة الفاسدة التي استخدمها الجيش المصري في هذه الحرب ، مما أدى إلى قيام مظاهرات عنيفة قمعت بقسوة بالغة (١) ، كما عرّجت الرواية على الوضع السياسي المتدهور الذي تعيشه بعض الدول العربية ، بعد أن عرّت الأحداث التي شهدتها الساحة الفلسطينية مواقف هذه الدول ، وكشفتها على حقيقتها ، وقد توج هذا الوضع السياسي المتردي بعقد الهدنة مع اليهود ، مما منحهم فرصة ذهبية لالتقاط أنفاسهم وإعادة الهجوم على الأراضي الفلسطينية ، وقد كشف حوار سليمان مع عمه فريد حقيقة الموقف الشعبي من هذه الهدنة ، إذ قال سليمان لعمه :

"... يالله العار ... !!!"

- وأي عار ياسليمان !! إنها سبع حكومات عربية ضد دولة صغيرة .

- لشدة ما آلمني هذا الخبر وحطم آمالي .

- ثق أننا - كشعوب - لسنا ضعفاء ، وإنما نحن في حاجة إلى قادة مخلصين يرسمون لنا الطريق السليم ، ويؤمنون بحق الشعوب ، ويحققون عما في أيدي المستعمرين من إغراءات." (٢)

ثم مرّ المؤلف بخطى سريعة على حرب الفدائيين في مواجهتهم الإنجليز في القتال سنة ١٩٥١م ، وعلى أحداث ثورة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢ ، وأخيرا تعرض لدحر العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م .

جاءت حبكة أحداث رواية (الطريق الطويل) متماسكة ، إذ ابتعدت عن التهويل والمبالغة ، وطرحت دور المصادفة جانبا ، فامتازت هذه الأحداث بواقعيتها وعفويتها دون شعور بالتحكم القسري من المؤلف ، إلا أن واقعية أحداث الرواية وصدقها لم يعفها

---

(١) انظر : الطريق الطويل ، ص١٦٢ - ١٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من بعض العيوب التي تقع فيها - غالبا - الرواية الرائدة ، لأن قوة العمل الفني ونضجه يعتمدان إلى حد بعيد على المرحلة الزمنية التي كتب فيها الأديب عمله . ومن هذه العيوب التي وقعت فيها هذه الرواية ، أن المؤلف قد أقحم بصورة مكشوفة بعض الأحداث الجانبية المستقلة التي لا ترتبط برباط السببية ، وهي غير ضرورية لبناء الرواية ، وجاءت هذه الأحداث لا لتخدم الغرض الروائي، بقدر ما كانت تخدم آراء المؤلف الخاصة التي يريد التعبير عنها في مهاجمة الإنجليز وسياستهم،ومن ذلك ، حادثة دهس السائق الإنجليزي لأحد المصريين (١) ، وقصة عمل سليمان في المحلة الكبرى والحديث عن أوضاع العمال المأساوية (٢) ، وغيرها من الأحداث والحكايات الجانبية (٣) ، التي لم تضف إلى الرواية شيئا ذا قيمة .

ولأن المؤلف أراد من رواية (الطريق الطويل) رصد تطورات الحركة الوطنية في مصر ، إبان الحرب العالمية الثانية حتى اندحار العدوان الثلاثي ١٩٥٦م ، نراه يلح على إبراز أهم القضايا السياسية التي مرت بها مصر، ومن أهم هذه القضايا ، ثورة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢ ، والعدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، إلا أن تصويره لهذه الأحداث الكبيرة والمهمة لم يكن بالمستوى المطلوب ، إذ لم يعرها المؤلف الاهتمام اللائق بها ، فمرّ عليها سريعا دون أن يترك لدينا أحاسيس قوية بها ، فجاءت ضعيفة وباهتة ، لا يشعر القارئ تجاهها بأي انفعال . والذي يبدو أن امتداد الرقعتين الزمانية والمكانية واتساعهما ، جعلت المؤلف يحث الخطى بسرعة لإنهاء أحداث روايته ، بعد أن استنفد مجهوده في الحديث عن آثار الحرب العالمية الثانية على الريف المصري ، ولهذا لم يعر هذه الأحداث التاريخية اهتماما كبيرا .

---

(١) انظر : الطريق الطويل ، ص٢٣ - ٣٤ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص١٥١ - ١٥٢ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص٩١ - ٩٢ ، ١٢٨ - ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما وقع المؤلف أحيانا ببعض المغالطات التاريخية ومنها ، حديث الشيخ حافظ عن القنبلة الذرية وتأثيرها المدمر ، وكان حديثه هذا في بداية اشتعال الحرب العالمية الثانية ، مع أنه لم يُعرف شيء عنها إلا بعدما ألقت الولايات المتحدة اثنتين منها على هيروشيما وناغاراكي في أواخر أيام الحرب . كما أن المؤلف يطلق كلمة (الميعاد) (١) على أرض فلسطين ، مع أن اليهود هم الذين يطلقون ذلك عليها .

أما شخصيات الرواية ، فقد كانت محدودة ، وتكاد تكون شخصية سليمان أكثرها امتدادا وحيوية ، فبدت مسيطرة على جو الرواية ، فقد أسند إليها سرد الأحداث وتحليل الشخصيات ، وكان لهذه الشخصية صلات عظيمة وقوية بأحداث الرواية كافة ، دون أن تقع في دائرة التهويل والمبالغة ، فكانت ـ حقا ـ تمثل مستوى رفيعا في معايشتها للواقع والانغماس فيه في مراحلها الزمنية المتطورة ، وما يواكب هذه المراحل من أحداث مهمة على الساحة المصرية ، إذ وجدنا هذه الشخصية تشارك في هذه الأحداث ، وتتأثر بها تأثرا واضحا ، كما تعرفنا عليها في أحوالها المختلفة ، في ضعفها وقوتها ، وآلامها وأحلامها ، وتبرز المواقف المختلفة لهذه الشخصية تعاطف المؤلف الشديد معها ، وليس هذا بمستهجن على نجيب ، لمعرفتنا أن هذه الشخصية تمثل بعض وجوه الحياة التي عاشها فعلا وواقعا ، هذا إذا أضفنا : "أن المؤلف لا يمكن أن يتجرد من إحساساته ، فهو يحب بعض الشخصيات ويكره بعضها ." (٢)

أما موقف شخصية سليمان السياسي ، فقد تكشف لنا من خلال حواراته المختلفة مع صديقه سعيد ، إذ نجده لا يحبذ فكرة المظاهرات كوسيلة لتحقيق المطالب الوطنية ؛ لإيمانه أنها وسيلة ينقصها التنظيم والتخطيط ، ولهذا تفشل غالبا في تحقيق الأهداف المرجوة ، فرفض المشاركة في المظاهرات التي تطالب الإنجليز برد الحقوق إلى المصريين من منطق تأثره برأي عمه فريد الذي نصحه بالابتعاد عنها لعدم جدواها ، إلا أن ذلك لم يمنع سليمان من المشاركة الإيجابية في العمل الوطني ، فقد هب لمساعدة الجرحى ومعالجتهم في حرب ١٩٥٦م ، على الرغم من الخطر الكبير الذي كان يتهدده نتيجة وجوده في ساحة المعركة .

---

(١) انظر : الطريق الطويل ، ص ١٩٧ .

(٢) عمر الدسوقي ، دراسات أدبية ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من نجاح المؤلف في تصويره لهذه الشخصية ، وإلقائه الأضواء المختلفة عليها من جوانبها المتعددة ، فإنه لم ينجح كثيرا في أن يتخذ موقفا محايدا تجاهها ، فتسللت بعض أفكار نجيب نفسه إليها حتى بدا أن نجيبا هو الذى يحدثنا وليست الشخصية ، وظهر ذلك أحيانا في تعليقه على بعض الحوادث ، ومنها تعليقه على أحداث القضية الفلسطينية ، يقول : " إن قضية فلسطين كانت - وما زالت - قضية أمة ، وليست قضية شعب صغير ، وهذا ما فهمه الناس . . . "(١) وربما كان لاستخدام المؤلف لضمير المتكلم في السرد أثر في إنطاق الشخصية فوق مستواها من الكلام ، " فكثيرا ما يخرج الكاتب في طريقة الترجمة الذاتية ، عن نطاق الشخصية وينطقها بما لا يحتمل أن تنطق به ، ولا أن تعترف بصحة نسبته إليها ، إذا ما أجرى على لسانها ، وكثيرا ما نشاهد أن هذه الشخصية تنطق بلسان المؤلف ، وتعبر عن آرائه ."(٢)

أما الشخصيات الأخرى التي خصها نجيب بعنايته في رواية (الطريق الطويل) فقد ساعدت على تجلية بعض القضايا التي تعكس الوضع السياسي في مصر ، فسعيد مثلا ، عبر عن الاتجاه المناقض لصديقه سليمان ، إذ كان يرى أن المظاهرات والعمل المسلح من أهم الأساليب للوصول إلى غايات الشعب في التحرر ، ولهذا التحق فورا بالكلية الحربية بعد نجاحه في التوجيهية ، واشترك في حرب الفدائيين في القناة ، وجرح في حرب ١٩٥٦م ، ومن هذا المنطلق ، يمكن اعتبار سعيد مثلا لشريحة واسعة من قطاع الشباب المتحمس للعمل الثوري بأساليبه المختلفة للحصول على المكاسب الوطنية للشعب .

أما شخصية بسيمة ، فقد كانت تجسيدا للوضع المأساوي الذى وصل إليه الإنسان المصري من فقر مدقع في ظل الحرب ، إذ دفع ذلك بعض العائلات الفقيرة إلى الطلب من النساء العمل كخادمات عند الأسر الغنية سعيا منها للوصول على لقمة العيش ، ومن أمثلة ذلك ، ذهاب بسيمة للعمل في الإسكندرية عند رجل ثري في محاولة

---

(١) الطريق الطويل ، ص١٩٨ ، للمزيد النظر : ص ٢٢٢ - ٢٢٤ ، ٢٠٧ .

(٢) محمد يوسف نجم ، فن القصة ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها للتخفيف من أعباء أسرتها المالية ، فاستغل هذا الرجل الثري ضعفها وبعدها عن أهلها ، فاغتصبها بعد أن وعدها كذبا - بالزواج ولما أفاقت على مصيبتها ، حاولت الانتحار ، إلا أنها أنقذت . وقد توهم أحد الدراسين بأن بسيمة قد ماتت انتحارا (١) ، والحقيقة أنها أصيبت بلوثة عقلية أقعدتها البيت طريحة الفراش .

ويلاحظ على نجيب الكيلاني في تصويره لشخصيات رواية (الطريق الطويل) ، قلة اهتمامه بالمظهر الخارجي ، وحرصه على تتبع حياتها الداخلية ، مصورا عواطفها وأفكارها وأحاسيسها ، ومفسرا بعض تصرفاتها ، وقد لجأ المؤلف إلى ذلك من خلال استعانته بالشخصية الراوية للأحداث (سليمان) الذي قام بهذه المهمة على مدار صفحات الروايـــة .

أما بخصوص إغفال المؤلف لدور الإخوان المسلمين السياسي في مصر في فتـــرة الأربعينات حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ، وهي فترة غطتها هذه الرواية - فربما كان سببه هو أن نجيبا كان معتقلا في الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٥ - ١٩٥٨م ، وهي الفـترة نفسها التي ألف فيها رواية (الطريق الطويل) ، محاولا عدم إثارة ردود فعل سلبية وعنيفة من قبل السلطة ، ولهذا ليس غريبا أن لا نجد أي شخصية من شخصيات الرواية تنتمي إلى هذه الجماعة ، إذ كانت هذه الشخصيات غير منتمية لحزب سياسي معـــين ذى اتجاهات عقائدية محددة ، وإنما تجمعت تحت شعار وطني عام يدعو للتخلـص من الإنجليز والملك فاروق ، لإقامة نظام بديل يسعى لتحقيق أهداف الشعب وآمانيه .

ويمكن للباحث أن يطلق على رواية (الطريق الطويل) رواية الحقبة أو الفـــترة الزمنية ، وهي رواية " تكتفي بتقديم صورة لمجتمع ما ، في فترة من فترات تطوره ." (٢) فقد استطاع نجيب الكيلاني أن يصور حركة المجتمع المصري سياسيا واقتصاديا واجتماعيـــا منذ بداية الحرب العالمية الثانية حتى نهاية العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م

---

(١) انظر : يوسف نوفل ، قضايا الفن القصصي ، المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة ، ص ٦٢ .

(٢) محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان المؤلف بشكل عام على وعي بما يجري على الساحة المصرية في تلك الفترة ، لأن من أهم شروط كتابة هذا النوع من الروايات أن يكون المؤلف على قدر كبير من الإدراك والوعي بالحياة الاجتماعية والسياسية ، وليس الإلمام فقط بتصويرها من الخارج تصويرا يفتقد إلى العمق والتحليل (١) . ويرى محمد نجم أن قيمة الشخصيات في رواية الفترة الزمنية تكمن في أنها " تكتسب حقيقتها الإنسانية ، من تمثيلها لهذا المجتمع في هذه الفترة الخاصة ، أي أنها تجعل الأشياء نسبية وخاصة ، ومحدودة بالتاريخ ." (٢)

وأشاد أحد الدارسين برواية (الطريق الطويل) ، ورأى أنها من الروايات المبشرة التي قد تصل إلى مصاف الروايات العالمية إلى جانب بعض الروايات المشهورة لنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وغيرهما (٣) .

وإذا كانت رواية (الطريق الطويل) قد امتدت فيها الرقعتان المكانية والزمانية ، فإن روايتي (رأس الشيطان) و (النداء الخالد) قد جاءتا أقل امتدادا ، فانعكس ذلك على سير الأحداث ، التي لم تكن مكثفة ومتفرعة إلى حد كبير .

فرواية (رأس الشيطان) بدأت أحداثها بتمهيد دقيق ومفصل لقصر عثمان باشا ، لما لهذه الشخصية من دور مهم وبارز في تطور هذه الأحداث ، وقد جاء وصف هذا القصر ممتزجا بعناصر الطبيعة المختلفة ، من الرياح المزمجرة ، والغيوم المتلبدة ، والعواصف الشديدة (٤) ، مما يوحي للقارئ بتنبؤات كثيرة للاحداث التي ستقع ، إذ أن المؤلف قد وضع القارئ في جو الرواية منذ البداية في وصفه لبيئة الأحداث ، التي جعلها مهادا مناسبا لحركة الشخصيات والأحداث .

---

(١) انظر : محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ٥٤٢ .

(٢) محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص ١٥٦ .

(٣) انظر : عبد المنعم عواد يوسف ، هل عندنا قصة مصرية ، مجلة الآداب ، السنة ١٢ ، العدد ٢ ، شباط ١٩٦٤م ، ص ٤٧ .

(٤) انظر : رأس الشيطان ، ص ٥ ، ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد سارت أحداث الرواية ضمن محورين أساسيين وهما :

المحور الأول : سادت أحداثه في القرية ، وتمثل ذلك بثورة الفلاحين الشاملة في مواجهة السلطة ممثلة بعثمان باشا نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية ، إذ أمرت هذه السلطة بشق مصرف يمر في الأراضي الزراعية الخاصة بالفلاحين ، مما شكل تهديدا حقيقيا لحياتهم التي تعتمد على الزراعة اعتمادا يكاد يكون كليا ، وقد تسببت هذه الثورة في إضعاف مركز عثمان باشا وزير المواصلات في حكومة صدقي باشا ، الذي أذاق الفلاحين صنوف العذاب، وقد دفع كل ذلك الحكومة وبتوجيه من الإنجليز إلى الطلب من عثمان تقديم استقالته لتهدئة الأوضاع تجنبا لمضاعفات هذه الثورة الشعبية . ويمكن القول إن ثورة الفلاحين هذه لم تتخذ طابعا سياسيا ، وإنما كانت رد فعل تلقائي لظروف اقتصادية قاهرة ، وإن كانت هذه الظروف نتيجة طبيعية لحكم سياسي فاسد . وقد كان هذا المحور الأكثر امتدادا على مدار صفحات الرواية .

أما المحور الثاني ، فإن أحداثه تداخلت وتشابكت مع أحداث المحور الأول دون أن يشعر القارئ بوجود انفصال حقيقي بينهما ، فبدت أحداث المحورين كتلة متماسكة ، فإذا كانت ثورة الفلاحين قد حدثت نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية في القرية ، فإن ثورة الشعب في المدن المصرية قد اتخذت طابعا سياسيا بحتا ، لأن أهل المدن ـ بشكل عام ـ أكثر وعيا في المجال السياسي من الفلاحين بحكم ثقافتهم واتصالهم المباشر والوثيق بمراكز السلطة المختلفة السياسية والاقتصادية والفكرية، مما يؤهلهم للوقوف عن كثب على سلبيات الحكم المختلفة واتخاذ موقف ما منها .

أخذت صحيفة النهضة العربية التي يعمل فيها الدكتور ضياء وصديقته صفاء على عاتقها التصدي لممارسات السلطة المختلفة، في محاولة لكشفها أمام الجماهير لتوعيتها، ومن ثم التصدي لها بالوسائل المتاحة ، فهاجمت سياسة الحكومة والتدخل السافر الذي يقوم به الإنجليز في مصر ، وطالبت بتصحيح الأوضاع ، والاهتمام بأمور الشعب ، وساندت بقوة وحزم مطالب الفلاحين برفع الظلم عنهم ، وتعرضت الصحيفة لمضايقات شديدة من الحكومة ، ومن عثمان باشا بالذات ، فأصبحت تعاني من أزمة مادية خانقة ، إلا أن تصميم العاملين فيها وتضحياتهم أربك الحكومة ومخططاتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإلى جانب عمل ضياء الدين في الصحيفة ، فقد كان يرأس مجموعة سياسية منظمة هدفها ضرب مصالح الإنجليز في مصر ، إيمانا منها أن الإنجليز هم الداء الأول الذي تعاني منه مصر ، أما العملاء والخونة من المصريين فلا قيمة حقيقية لهم دون مساعدة الإنجليز، وسلكت هذه المجموعة عدة وسائل للمقاومة ، ابتداء من توزيع المنشورات السياسية المناهضة للحكومة والمستعمر ، وانتهاء بتنظيم المظاهرات والقيام بالعمليات العسكرية، فنسفت بعض قواعد الإنجليز، وقتلت عددا من الجنود بوسائل مختلفة .

وارتبطت العلاقة العاطفية التي جمعت بين ضياء الدين وصفاء ارتباطا وثيقا بالكفاح الوطني، فشكلت هذه العلاقة جزءا رئيسيا وأساسيا من أحداث الرواية ، إذ اشترك كل من ضياء الدين وصفاء في العمل السياسي ، وتعرض كلاهما للملاحقة والتضييق ، مما جعلهما يعيشان حياة قاسية ماديا ومعنويا ، إلا أن حب الوطن قد جمعهما، ووحد بينهما ، فلم تكن هذه العلاقة مجرد عواطف وأحلام رومانسية ، كما يحدث لبعض الناس ، بل كانت علاقة واقعية ، لها ارتباط مباشر بالأحداث السياسية من خلال عملها المشترك .

وأظهرت رواية (رأس الشيطان) من خلال تحليل عميق مدى الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذى ساد مصر في بداية الثلاثينات ، إبان حكم صدقي باشا، وهي فترة يرى فيها أكثر من باحث أنها من أكثر الفترات صعوبة وحرجا في التاريخ المصري الحديث، إذ تميز حكك صدقي باشا بالاستبداد والإرهاب وكبت الحريات ، والاستهتار بحقوق الشعب وأنظمة الدستور (١) . وقد لقي ذلك الدعم والتأييد من الإنجليز ، الذين تحكموا في السياسة المصرية داخليا وخارجيا ، فكان صدقي باشا منفذا أمينا لمصالحهم ورغباتهم .

واستطاع المؤلف أن يحقق توازنا معقولا ومنطقيا بين الأحداث السياسية في منطلقاتها التاريخية وبين العناصر المختلفة للعمل الروائي ، فبالإضافة إلى اهتمامه بهذه الأحداث، فإنه لم يغفل أدوار الشخصيات الروائية من خلال تقديمها بالوسائل الفنية

---

(١) انظر: عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ٢/ ١٠٠، وأمين سعيد ، تاريخ مصر السياسي ، ص٢٣ ، ومحمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ١٩٢٣ — ١٩٥٢م ، ط٢ ، ١٩٧٣م ، ص٨١، ومحمد طه بدوي ومحمود حلمي مصطفى ، ثورة يوليو جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية ، المكتب المصري للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٦٦م ، ص٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختلفة ، إلا أن اصرار المؤلف على تعرية الوضع السياسي المتعفن دفعه لأن يقحم بعض الأحداث والحكايات الجانبية لتدعيم وجهة نظره في تفسيره للحدث السياسي ، ومن ذلك حديثه الطويل عن مأساة عمال التراحيل ، وما يتعرض له هؤلاء من ظلم وإهانة في سعيهم للحصول على لقمة العيش(١) ، مع أن كثيرا من أحداث الرواية التي تناولت الواقع المأساوي للفلاحين ، تكشف بوضوح مدى الحالة المزرية التي وصل إليها الريف المصرى في تلك الفترة دون حاجة لإقحام هذه الحكاية الجانبية .

وعلى الرغم من نجاح المؤلف في ربط خيوط أحداث الرواية ربطا محكما ، فقلت المبالغات والصدف ، وبدت في سيرها معقولة وواقعية ، إلا أنه وقع أحيانا في شرك النبرة الحماسية والخطابية المكشوفة ، وبرز ذلك في تعليقة على بعض المواقف ، وكان هدفه من ذلك نقد السلطة وتجريحها ، ومن أمثلة ذلك المقال السياسي الطويل الذى بثه المؤلف في الرواية للتعليق على الأوضاع المأساوية التي تعيشها مصر سياسيا واقتصاديا في هذه الفترة ، إذ يقول على لسان ضياء الدين : " الجوع يطحن الملايين ، والمصانع لا ترحم ، ورأس المال يستبد ... الوطن سجن كبير ، والقيود تثقل السيقان النحيلة ... " (٢)

أما شخصيات الرواية ، فيمكن تحديدها ضمن أربعة مستويات:

المستوى الأول : شخصيات إيجابية وطنية ، ويمثلها كل من ضياء الدين وصفاء والشيخ الشاذلي .

المستوى الثاني : شخصيات سلبية مضادة ، ويمثلها الصحفي بركات الزناتي .

المستوى الثالث : شخصيات تمثل السلطة في وجهها البشع ، ويمثلها عثمان باشا .

المستوى الرابع شخصيات متأرجحة وقلقة ، ويمثلها رئيس صحيفة النهضة العربية .

---

(١) انظر: رأس الشيطان ، ص١٦٩ ـ ١٨٣ .
(٢) انظر: رأس الشيطان ، ص١٢٤ ، وانظر المقال كاملا : ص١٢٤ ـ ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قدم المؤلف شخصيات المستوى الأول بأكثر من أسلوب في محاولة الكشف عنها، في ميولها واتجاهاتها ونوازعها، ووفق في الإحاطة بأبعاد هذه الشخصيات من خلال تصوير دقيق لملامحها الداخلية والخارجية . وقد كان الحوار الخارجي أسلوب المؤلف المفضل في ذلك، لما يتمتع به الحوار من قدرة على " دفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة وشعورها الباطن تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى . " (١) إلا أن هذا الحوار كان يأتي أحيانا متكلفا لا حرارة فيه ولا إثارة، فقد سيطر على عباراته الجمود والافتعال، فبدت قوالب جامدة تنقصها الحيوية، كما أن هذه العبارات جاءت لتعبر عن آراء المؤلف وأفكاره لا عن أفكار الشخصية وآرائها، ولعل ذلك ينطبق إلى حد بعيد على الحوارات التي أدارها المؤلف على لسان الشيخ الشاذلي ومن ذلك حواره مع ضابط الأمن : " وقال المحقق بنبرات رقيقة :

قل لنا معلوماتك عن الحادث .

ـ علمها عند ربي .

ـ ألم يأتك نبؤها ؟

ـ " قوم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وجعل بأسهم بينهم شديد "

ـ من أشعل النار ؟

ـ قبل إشعال النار اشتعلت النفوس بالحقد والكراهية . " (٢)

ومثلت هذه الشخصيات الاتجاه الوطني في طرحها لمطالب الشعب، والسعي لتحقيقها بشتى الوسائل، ولهذا عاشت الواقع وتفاعلت مع الأحداث، فانخرطت في جموع الشعب، وعانت من أساليب القهر والإرهاب، ورفضت وقاومت وسائل الترهيب والترغيب التي حاولت السلطة من خلالها احتواءها ثم القضاء عليها . وقد كانت هذه الشخصيات على قدر كبير من الوعي السياسي، خاصة ضياء الدين الذي لم يكن منتميا لحزب سياسي معين فقد كان الهدف الاساسي من عمله السياسي هو تحرير مصر من العملاء والنفوذ الأجنبي دون طرح بديل سياسي محدد الملامح .

---

(١) محمد يوسف نجم، فن القصة، ص١١٨ .

(٢) رأس الشيطان، ص١٩٣، وانظر أيضا: ص١٤٣ ـ ١٤٤، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان ضياء الدين من أكثر الشخصيات الوطنية حضورا على صفحات الرواية ، وقد نوع المؤلف في طرق تقديمه ، فمرة عن طريق السرد المباشر بالحديث عن بعض سماته الداخلية والخارجية ، ومرة أخرى على طريق الحديث النفسي من خلال الغوص في أعماقه النفسية . ولأن من شروط نجاح الشخصية " أن تكون حيوية وفعالة ومتفاعلة مع الأحداث ، متطورة بتطورها من أول القصة إلى آخرها . " (١) فإن المؤلف قد وفق في تصويره لضياء الدين ، حين صوره متفاعلا مع كل موقف جديد ، من خلال احتكاكه وتصادمه مع الشخصيات الأخرى ، فلم يقف موقفا جامدا اتجاه الأحداث ، بل كان يسعى دائما للتغيير بالوسائل المختلفة ، دون أن يعيش في برج عاجي لكونه حاصلا على أعلى الشهادات العلمية ، وهي الدكتوراة في القانون ، ولكونه على قدر كبير من الثقافة والوعي السياسي ، ولهذا عاش واقعه دون تصنع وانتحال ، فيحس القارئ بأن تحركاته وتصرفاته فيها الشيء الكثير من الصدق والواقعية . وقد عاش ضياء الدين صراعات مختلفة ، داخليا وخارجيا ، فصراعه النفسي الداخلي تمثل في حبه لصفاء ، إذ ظن أن هذا الحب قد يعقبه عن العمل الوطني ، إلا أن مشاركة صفاء بهذا العمل شجعه على المضي قدما فيه ، وازداد حبه وتقديره لها ، عندما بدأت بالمشاركة ببعض العمليات الفدائية التي تسبب عنها بعض القتلى والجرحى من الإنجليز، أما صراعه الخارجي مبرز من خلال صراعه مع رموز السلطة ومنها عثمان باشا ، والصحفي بركات الزناتي وغيرهما . وقد هاجم ضياء الدين السياسي خلال عمله في صحيفة النهضة العربية سياسة الحكومة وأساليبها القمعية ، وتطور الأمر به إلى مشاركته الفعلية في قيادة المظاهرات ، للتعبير عن قضايا الجماهير وللمطالبة بتحقيق مطالبها الوطنية بالعمل على نشر الحريات والتخلص من النفوذ الإنجليزي .

ولئن قاد كل من ضياء الدين وصفاء الكفاح الوطني في القاهرة ، فإن الشيخ الشاذلي قد كاد جموع الفلاحين في ثورة عارمة في مواجهة مظالم عثمان باشا في القرية ، والتف حوله خلق كثير ممن أهدرت كرامتهم ، وضيعت حقوقهم ، مما سبب إرباكا وقلقا لدى السلطة والإنجليز على السواء نصدر الأمر باعتقاله وسجنه ، إلا أن الضغط

---

(١) عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعبي أجبر السلطة على الإفراج عنه ، وقد كانت ثورة الفلاحين هذه سببا في الإطاحة بعثمان باشا من وزارة المواصلات .

وقد مثل المستوى الثاني في رواية (رأس الشيطان) ، الصحفي بركات الزناتي، وقد صوره المؤلف في مواقف محددة وقليلة ،فجاءت صورته أقل امتدادا وحضورا على صفحات الرواية ، من شخصيات المستوى الأول ، وأبرز المؤلف كثيرا من صفاته المعنوية من خلال السرد المباشر ، كما استعان أحيانا بالحوار ليكشف لنا جوانب أخرى من حياته، وإن كان هذا الحوار في معظمه لم يقدم شيئا جديدا ذا قيمة كبيرة فجاء تكرارا لما عرفناه من خلال السرد المباشر ، ومثل بركات الزناتي دور الانتهازي والأناني الذي يسعى لتحقيق أهدافه الخاصة بأحط الطرق وأبشعها ،مما يجعل القارئ يشعر نحوه بالحقد والكراهية ، وقد وفق المؤلف في ترسيخ هذا الشعور من خلال مواقف اتخذها بركات تجاه الشخصيات والأحداث ، فقد عرفنا عنه نفاقه الكبير لعثمان باشا ، إذ نصب نفسه مناصرا له على صفحات جريدة النهضة العربية ،ذاكرا له من الصفات الحميدة ما يجعله من اكثر الناس علما وفضلا ، وهو في الحقيقة متجرد من كل ذلك ،ونتيجة لنفاقه هذا ، عينه عثمان باشا سكرتيرا صحفيا له . وفي الوقت الذي كانت فيه مصر ثائرة على حكومة صدقي باشا ، كان بركات يملأ الصحيفة بالأخبار التافهة عن قضايا هامشية لا قيمة لها . ويمكن القول ان بركات الزناتي مثل شريحة اجتماعية ،وقفت موقفا مضادا من مصالح الأمة وأهدافها الوطنية ،للمحافظة على امتيازات معينة ،منحتها إياها السلطة لتصبح بوقا لسياستها وأفكارها .

ومثل عثمان باشا المستوى الثالث من شخصيات الرواية ،الذي أشاع جو الإرهاب في القرية في محاولة منه لإرغام الفلاحين على الخضوع له ،فأمعن فيهم تعذيبا وقتلا ، وصعد أعماله هذه بعد أن أسندت اليه وزارة المواصلات ،مع أنه لا يملك المؤهلات لشغل هذا المنصب . وقد نجح المؤلف في تعميق الإحساس بالكراهية تجاه عثمان باشا من خلال مواقفه السلبية الكثيرة ،التي كان منها اضطهاده للفلاحين الذين ضيق عليهم في معيشتهم ورزقهم فطرد بعضهم من العمل في أراضية ،ومنع الماء عن بعضهم الآخر الذين كانوا يملكون القليل من الأراضي الزراعية ، كذلك محاولته التخلص من ضياء الدين بالقتل ، وعلى الرغم من تصوير المؤلف لعثمان باشا بمظاهر القوة والتجبر ،إلا أنه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صوره في بيته أمام زوجته بمظهر الضعيف المتخاذل الذي لا يقوى على شيء ، فعمق لدى القارئ الإحساس بواقعه الحقيقي ، فقد كشفت الأحداث أن زوجته الجميلة التي تصغره بخمس وثلاثين سنة قد خانته مع سكرتيره الصحفي بركات الزناتي، إلا أن هذه العلاقة قد كشفت، ولكن ليس بذكاء عثمان باشا ، وإنما عن طريق أحد خدم القصر الذي أعلمه بالأمر ، فأقدم على تطليقها ، وانتهى الأمر به إلى الإصابة بشلل نصفي بعد أن تلقى خبر إقالته .

١- أما المستوى الرابع من الشخصيات ، فقد مثله رئيس تحرير صحيفة النهضة العربية ، وقد قدمه المؤلف وعرفناه عن طريق نداء الدين، الذي تولى تحليل مواقف رئيس التحرير هذا ، وكشف الكثير عن ماضيه، فأعطى صورة متكاملة عنه ، فقد عرف عنه انتماؤه الوطني في فترة شبابه ، إلا أنه تبدل تحت إغراء الجاه والمنصب والمال الوفير ، فأصبحت مواقفه تتميز بالذبذبة والتأرجح بين الولاءات المختلفة ، مما جعله يعيش حياة متناقضة وغير مستقرة ، وقد حاول عرقلة نشاط نداء الدين وصفاء في الصحيفة، فرفض مقالاتهما التي تهاجم سياسة الحكومة ، إلا أن المؤلف ونتيجة تعاطفه معه ، وإشفاقه عليه، أصر أن يعيده إلى الصف الوطني، ولكن دون أن يمهد لهذا التحول بتمهيد معقول ومنطقي ، عندما أرجع المؤلف سبب هذا التغيير الى أصابة رئيس التحرير بمرض خطير في القلب ، جعله يغير من مواقفه قبل أن يتوفاه الله ، وقد أوقع هذا التغيير المفتعل المؤلف في تناقض بيّن ، حين ضخم دور رئيس التحرير المثقل بالأمراض الخطيرة من غير مبرر ، عندما أصر على مشاركته في مظاهرات عنيفة وصاخبة ، ومصادمات حادة مع رجال الأمن ، وكأنه ما زال في سن الشباب ، وكل ذلك لا يتفق مع الواقع ، بل ويناقضه مناقضة صريحة ، فجاء تصوير المؤلف لهذه الشخصية مبالغا فيه ، وبعيدا عن الواقع ، مع أن الروائي مطالب بأن : " يدرك أن لكل شخصية حدودا يجب أن تلتزمها وإلا شوه النموذج الذي ينقل عنه من الواقع. "(١)

---

(١) طه وادي ، مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية (١٩٠٥ - ١٩٥٢) ، ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشاد أحد الدارسين بهذه الرواية لما حملته من مضمون ، دون الإشارة إلى القنايا الفنية التي تضمنتها ، إلا أنه أخذ على نجيب مآخذ جزئية لا قيمة لها ، ومنها أن ثمة بعض العلامات الفاصلة قد وضعت بين بعض الفصول ، واتخذت شكل نجمة داوود الإسرائيلية ، كما أخذ عليه أن شخصيات الرواية لم تكن تحمل تصورا إسلاميا في مواجهة الأحداث (١) ، وقد دفعه إلى هذا ، توهمه أن الرواية صدرت سنة ١٩٧٩ ، إذ عرف عن نجيب الكيلاني في هذه الفترة ، توجهه الإسلامي في أعماله الروائية ، والحقيقة أن الرواية صدرت سنة ١٩٦٠م ، وكان التصور الإسلامي لديه في هذه الفترة خافتا إلى حد كبير ، كما أن نجيبا كان صادقا موضوعيا وفنيا في التعبير عن أحداث روايته التي جرت في بداية الثلاثينات ، حين لم تكن الساحة المصرية قد شهدت تحركا سياسيا ذا طابع إسلامي ، مستندا إلى حركة إسلامية نشطة ، فابتعد المؤلف بذلك عن تزوير الحقائق التاريخية والسياسية لهذه الفترة ، وهذا ما نحمده عليه ، فمن الضروري أن تكون الرواية صادقة في تصويرها لحركة الواقع ، حتى أن أحد الباحثين يرى في الصدق العامل الوحيد في تكوين الرواية (٢) .

أما رواية (النداء الخالد) ، فقد رصدت الواقع السياسي في مصر إبان الحرب العالمية الأولى ، وانعكاس هذه الحرب على المواطن المصري ، خاصة في الريف ، كما تتبعت الرواية أحداث المقاومة الوطنية في مواجهة الاحتلال الانجليزي ، وتوجت هذه المقاومة بقيام جمهورية زفتي لفترة وجيزة ، ثم آلت للسقوط ، لإنها لم تكن تملك أصلا مقومات الدولة .

وقد قسم روايته قسمين : أولهما (في جحيم الحرب) ، وشكل الجزء الأكبر من الرواية ، إذ وقع في ١٥٢ صفحة من أصل ٢٢٦ ، وفيه تفصيل دقيق ومكثف لمعاناة المصريين إبان الحرب ، فقد فرض الإنجليز سياسة استبدادية ، خاصة في الريف ،

---

(١) انظر : أحمد رضوان ، نقد لقصة (رأس الشيطان) مجلة الأمة ، السنة ٤ العدد ٣٨ ، تشرين الثاني ١٩٨٢م ، ص ٤٧ ، أما العلامات التي أشار إليها الدارس فموجودة في الصفحات ١٧ ، ٦٥ ، ٦٩ .

(٢) انظر : جيمس وكونراد وفرجينيا وولف ولورنس ولبوك ، نظرية الرواية في الأدب الانجليزي الحديث ترجمة وتقديم إنجيل بطرس سمعان ومراجعة رشاد رشدي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف ، والنشر ، ١٩٧١م ، ص ٩٧ . وصاحب هذا الرأي هنري جيمس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حين سيق عدد كبير من الرجال للعمل في خدمة القوات الإنجليزية دون مقابل ، وصودرت الحبوب والمواشي ،التي تشكل مصدر حياة الفلاحين ، فشعر المواطنون بكابوس ثقيل يجثم على صدورهم مما مهد لاشتعال ثورة ١٩١٩م. وقد تجنب المؤلف المبالغة في سرد أحداث هذا الفصل إذ تميز بالواقعية والصدق إذا ما قارناها بما جاء في عدد المراجع التاريخية التي أكدت صورة المستعمر الإنجليزي البشعة التي برزت من خلال الممارسات الوحشية ضد المصريين ،حتى أنها تذكر أن ما يزيد على مليون شخص قد سيقوا للعمل في جبهات الحرب العالمية الأولى ،وتركز عمل هؤلاء على تسهيل تحركات الإنجليز ،وبناء معسكرات لهم ،والعمل على إصلاح طرق المواصلات وغيرها من المهمات التي أجبروا عليها (١) . أما المحور الثاني ،فقد أطلق عليه المؤلف (طوفان الثورة) وفيه تناول أحداث ثورة ١٩١٩م ، وما نتج عنها من مصادمات عنيفة بين المصريين والإنجليز . ومن الجدير ذكره أن هذا التقسيم للرواية لم نعهده سابقا في أي من روايات نجيب على الإطلاق .

جاءت أحداث الرواية بقسميها مترابطة ومتماسكة ؛ لأن أحداث القسم الأول جاءت ممهدة لأحداث القسم الثاني دون وجود خلل في ربط الأحداث ،وقد تتبع المؤلف تتبعا دقيقا الانتفاضات الشعبية التي نتجت عن السياسة القمعية التي انتهجها الإنجليز ،إلا أن أسلوب العمل السياسي للجماهير ،لم يرتكز على العمل المسلح كما رأينا في روايتي (الطريق الطويل) ،و(رأس الشيطان) ،وقد كادت الرواية في تفصيلها الشديد لهذه الأحداث مجتمعة تقترب من كتاب تاريخ سطره قلم أديب ؛ لأن المؤلف ونتيجة لحماسته واندفاعه لتمجيد تضحيات المصريين ومعاناتهم قد اتخم روايته بعدد من الأحداث الزائدة المتشعبة التي شكلت عائقا كبيرا في تطور سير الأحداث بشكل طبيعي ،فجاءت بطيئة ومملة إلى حد بعيد ، وإن كان اهتمام المؤلف بحشد تفاصيل شديدة في روايته هذه يدل على براعة واقتدار وجهد إلا أنها

---

(١) انظر : شحاته عيسى إبراهيم ،الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني ،ص ١٢٠ - ١٢١ . وعبد الرحمن الرافعي ،ثورة سنة ١٩١٩م ، ١/٣٩ - ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاتخدم الخط الرئيسي في الرواية ولا تنميه ، إذ أن فضيلة السيطرة ، سيطرة القاص الكلية على المادة القصصية قد تتحول إلى مأخذ حين تتسبب في فتح كافة ظلال القصة وزواياها المعتمة فيبدو القاص كما لو كان عالما بكل شيء ولا يفوته شيء ..." (١) ومن أمثلة هذه الأحداث الزائدة حكاية زوجة خفاجة ، التي جاءت تطلب مساعدة العرابي يني بعد وفاة زوجها ، (٢) وحكاية مقتل أبي الذهب ، أحد أبناء القرية على يد الإنجليز (٣) .

ولإحساس نجيب بأنه لم يقدم بكفاية ورواية (النداء الخالد) على الرغم من تفصيلاته الشديدة للأحداث ، فقد أراد أن ينهي أحداث روايته بشرح فكرتها كاملا في صفحة ، فتحدث عن ثورة ١٩٥٢ ، وقيام الجمهورية لأول مرة في مصر (٤) ، وهذا ما سعى إليه المصريون في ندائهم الخالد في ثورة ١٩١٩م وقيام جمهورية زغلول . وجاء حديثه عن ثورة ١٩٥٢م مقحما أخر بالرواية نتيجة هذه القفزة الزمنية الكبيرة في استعراضه للأحداث ، لأن رواية (النداء الخالد) قد انتهت أحداثها فعلا سنة ١٩٢٢م بتشكيل وزارة عدلي للبدء بمفاوضات مع الإنجليز حول استقلال مصر .

ولأن المؤلف عجز عن الربط الدقيق والمنطقي للأحداث ، فقد اتكأ على الصدفة والمبالغة ، والأحداث غير الواقعية ، مما أفقد الرواية صدقها وعضويتها ، فبرز التحكم في سيرها واضحا ، ومن ذلك ، محاولة خفاجة الفاشلة لاغتيال العمدة ، إذ نجد أن بندقيته توقفت ـ فجأة ـ عن إطلاق النار ، فحاول إصلاحها وفشل ، فما كان من حارس العمدة إلا أن أطلق عليه النار فقتله ، مع أن خفاجة هذا ـ كما بينته الرواية ـ أرعب القرية بأساليب القتل المختلفة التي كان يتبعها في التخلص من أعدائه ، أما عند

---

(١) عبد الجبار عباس ، في النقد القصصي ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ١٩٨٠ م ، ص ١٠١ .

(٢) انظر : رالنداء الخالد ص ٢٢ - ٢٣٠ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مواجهة العمدة ، فإنه لم يجد أي وسيلة أخرى للتخلص منه ، وهو القادر على ذلك (١) وهذا ما أراده المؤلف للتخلص من الأشرار ، والإبقاء على الأخيار من شخصيات الرواية ، وليس كما أراده تطور سير الأحداث الطبيعي تلقائيا منه لشعور القارئ بالانتصار الدائم للحق ، ولئن كان هذا لا يشكل حقيقة دائمة ، ويشكل توجه المؤلف هذا في تفسير سير الأحداث ثغرة خطيرة قد تؤدي إلى إضعاف العمل الروائي والحط من قيمته ، لأن هذا التفسير مجاف للحقيقة ، كما عرفناها من واقع الشخصيات وتعاملها مع الأحداث .

ودفع تعاطف المؤلف مع الشخصية الوطنية إلى المبالغة في سرد مغامراتها العجيبة ، ومثال ذلك ما قام به أحمد ، الذي أصيب مرتين بالرصاص ، ومع ذلك يخرج فورا للمشاركة في المظاهرات بعد مضي ساعات معدودة على إصابته ، ولا ندري إذا كان أحمد بشرا أم لا في تصرفاته هذه! التي تتسم بالمبالغة الواضحة ، والذي يبدو أن المؤلف تناسى أن الأديب " لن يستطيع أن يصور أبطاله في صورة بطولية يتجاوزون فيها واقعهم الإنساني ... " (٢)

أما تدخل المؤلف شارحا ومعلقا على أحداث الرواية وشخصياتها ، فذلك ما تزخر به بشكل واضح فاق تدخله في رواياته السياسية السابقة في هذا المجال ، ومن ذلك تعليقه على جشع المرابي بني (٣) ، مع أن ذلك مشهور معروف ، عرفناه خلال مواقفه الكثيرة التي صورتها الرواية ، وكذلك شرح المؤلف لمبدأ ولسن حول تقرير المصير للشعوب (٤) ، الذي أعلن عنه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وغيرها من التعليقات الزائدة التي لا حاجة لها لبناء الرواية (٥) ، التي جاءت لتعبر

---

(١) انظر النداء الخالد ، ص١٤٢ - ١٤٨ .
(٢) عبد المحسن طه بدر ، حول الأديب والواقع ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨١م ص٢١ .
(٣) انظر : النداء الخالد ، ص ٢٢٠ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص١٥٥ - ١٥٦ .
(٥) انظر المصدر نفسه ، ص٨٩ - ٩٠ ، ١٢٨ - ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشكل سافر عن آراء مسبقة للمؤلف ، ولو ترك مواقف الشخصيات في تفاعلها مع الأحداث تعبر عن ذلك لكان أبلغ في التصوير والتأثير ، لأن المفروض من الروائي أن يقف من الأحداث موقفا حياديا ، وأن يتركها توحي للقارئ بما يريده ، لا أن يفرض وجوده الكامل عليها ... " (١)

وتوزعت بيئة الأحداث في رواية (النداء الخالد) بين القرية والمدينة ، وإن حازت القرية على النصيب الأكبر من أحداث الرواية ، خاصة في تصوير المؤلف لانعكاس آثار الحرب السلبية على الفلاحين ، إلا أن هذه البيئة لم تكن محددة بسمات معينة نستشف من خلالها صورة الريف بحياته وتقاليده وقيمه ، كما أن المؤلف وقع في مغالطة كان يجب عليه أن لا يقع فيها ، وهي ادعاؤه أن المرابي بني كان يملك خمارة في هذه القرية ، (٢) والباحث يشك شكا كبيرا في وجود مثل هذه الخمارة في قرية مصرية إبان الحرب العالمية الأولى ، لأن ذلك مناف لما عرفناه عن فلاحي القرية من محافظة وتشدد تجاه مثل هذه القضايا الحساسة ، التي تتعارض مع قيمهم وعاداتهم ودينهم .

ولعل أخطر ما ابتليت به رواية (النداء الخالد) تلك الدعاية السياسية المباشرة والنبرة الحماسية المفتعلة ، التي لجأ اليها الكاتب فجعل عددا من صفحات الرواية منبرا للمقالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كثير من المواضع (٣)

مغفلا أن " وظيفة الفنان هي تصوير الحياة والتعبير عن إحساسه بها ، وليس من عمله إصدار الأحكام المباشرة على الحياة وعلى الناس ، لأن إصدار الأحكام المباشرة من عمل المصلحين والمفكرين ... " (٤) ، ومن أمثلة ذلك قول المؤلف : " غير أن الطوفان لا تخدعه الأ لاعيب الصغيرة ... ولا يكترث للأوهام والأخادع التي يروج لها الأعداء والأذناب .. الطوفان ينطلق لأن فيه طاقة ذاتية تحركه ... " (٥)

---

(١) عبد المحسن طه بدر ، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠-١٩٣٩م) ص ٣٦٩ .
(٢) انظر : النداء الخالد ، ص ٦١ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٦٠ - ٦١ ، ٨٩ - ٩٠ ، ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٥٥ - ١٥٦ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٤) عبد المحسن طه بدر ، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠ - ١٩٣٦) ص ٢٠٤ .
(٥) النداء الخالد ، ص ٢١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأن اهتمام المؤلف انصب على تتبع أحداث الحركة الوطنية بتفصيل شديد ، فإن شخصيات الرواية جاءت ضعيفة الأدوار ، وهابطة في التصوير ، كما أن عددها الكبير - والبالغ حوالي عشر شخصيات - قد دفع المؤلف إلى توزيع اهتمامه عليها ، وإن لقيت شخصيات أحمد والشيخ عنبة والعمدة عناية أكبر من الشخصيات الأخرى ، وقد أدى هذا العدد الكبير من الشخصيات إلى فقدان أكثرها للتميز الدقيق في ملامحها وسماتها ، ولهذا وجدنا المؤلف يهتم كثيرا بإعطاء تفصيلات كثيرة للسمات الخارجية لشخصياته ، دون الغوص العميق والتحليل الدقيق لنفسياتها ، ومن ذلك وصفه لكل من أحمد (١) وصابرين (٢) والعمدة (٣) . كما لجأ إلى إطلاق الصفات المعنوية على الشخصية بتقرير مباشر عنها ، ولو أتاح المؤلف لنا استنتاج هذه الصفات لعرفناها من خلال الفعل والموقف ، لكان ذلك أبلغ أثرا ، وأكثر إيحاء من ذلك التقرير الذي شكل مقتلا للرواية ، ومن ذلك وصف المؤلف لخفاجة بقوله : " . . قصير ماكر ، له عينا صقر ، وخفة ثعلب ، وبطش نمر ، ونعومة ثعبان . . (٤) "

ولا تكاد شخصية من شخصيات رواية (النداء الخالد) ، تخلو من العيوب المختلفة . فصابرين مثلا التي لم تكن تعرف إلا القليل عن مبادىء الكتابة والقراءة ، تعلمتها على يد محصل الضرائب في القرية ، نجدها تقرأ كتابا لقاسم أمين تضمن آراءه حول قضايا المرأة ، وتحلله بدقة وعمق ، دون مراعاة لمستواها الثقافي المتدني . أما العمدة خلاف عبد المتجلي ، العميل المعروف للإنجليز ، والمنفذ الأمين لرغباتهم ، والمستغل للفلاحين في القرية ، نجده بعد موعظة من الشيخ عنبة قد تغير تغيرا جذريا لينقلب وطنيا مخلصا في وطنيته ، وعدوا لدودا للإنجليز ، كذلك الحال بالنسبة للعرابي يني ، الذي كان مرتميا في أحضان الإنجليز ، ومحتميا

---

(١) انظر : النداء الخالد ، ص ٧٨ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٨ ، وانظر أيضا وصف الشيخ عنبة ، ص ٢٠ ، ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقوانينهم بصفته أجنبيا ، نراه وبقدرة قادر ومن غير تمهيد منطقي يتحول إلى مواطن مخلص يسعى من أجل انقاذ مصر من الاحتلال .

ويكاد يكون الشيخ عنبة هو البطل الحقيقي للرواية ، إذ شغلت أخباره معظم صفحاتها ، ويمكن القول إنه المحرك الفعال لكثير من الأحداث ، فقد وقف موقفا حازما في مواجهة طبع واستغلال المرابي ينو ، كما كان لأفكاره في الثورة والكفاح أثر كبير في نفوس الشباب ، هذا إذا أغفلنا اشتراكه الفعلي في أحداث هذه الثورة منذ بدايتها ، إلا أن المؤلف أخفق كثيرا في تصويره لهذه الشخصية وتقديمها للقارئ ، إذ تقمصها نجيب ، وفرض عليها آراءه وأفكاره ، فلا نحس بواقعيتها وحرية حركتها تجاه الأحداث والشخصيات الأخرى ، إذ نرى كثيرا من آراء هذه الشخصية صدى وترددا لبعض الأقوال الواردة عن جمال الدين الأفغاني ، وكان الشيخ عنبه يشير إلى الافغاني بقوله : يقول حبيبي . . . ، ومن هذه الأقوال التي جاءت على شكل قوالب جامدة تنقصها الحيوية والرشاقة قوله لبعض أهل قريته : " يقول حبيبي : بالضغط والتضييق تلتحم الأجزاء المبعثرة . . . "(١) وقد تكرر ذلك الاستشهاد في أكثر من موضع (٢) . وكل ذلك تسلل وتسرب لثقافة نجيب الكيلاني نفسه المعجب بأقوال الأفغاني في بعض مواقفه ، خاصة السياسية ، فأثقل كاهل الشخصية بهذه الأقوال التي قد لا تكون مناسبة للموقف الذي يقال فيه ، وهذا ما حصل فعلا في كثير من مواقف الرواية .

وإذا كانت روايات : (الطريق الطويل) ، و(رأس الشيطان) و(النداء الخالد) ، قد عرضت المقاومة الوطنية في مواجهتها للإنجليز وعملائهم في الداخل ، فإن رواية (في الظلام) قد اقتصر اهتمامها على إبراز هذه المقاومة في مواجهة نظام الملك فاروق في الفترة الواقعة مابين ١٩٤٧ - ١٩٥٢ التي شهدت مصر خلالها أحداثا جساما ، من أهمها دخول الجيش المصري حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م ، وانكشاف قضية الأسلحة الفاسدة التي استخدمها هذا الجيش ، واشتداد الكفاح المسلح في منطقة القناة وضرب القوات الإنجليزية سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢م (٣) واقتصرت أساليب

---

(١) النداء الخالد ، ص ٥٩ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ص ١٠ ، ١٨ ، ٤٦ ، ١٦٢ .
(٣) انظر : حسن صبحي ، اليقظة القومية الكبرى ، يوليو ١٩٥٢ ، ص ١٠١ - ١٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة الوطنية في هذه الرواية على توزيع المنشورات لتعرية مفاسد النظام وكشف سلبياته دون اللجوء إلى العمل المسلح ، كما أن صورة المستعمر الإنجليزي كادت تختفي ملامحها لتحل محلها صورة الاستبداد السياسي ، وانتشار الارهاب وعمليات مطاردة المعارضين الوطنيين .

وقد وفق المؤلف كثيرا في تحليله الدقيق للأحداث من خلال تفاعل الشخصيات معها ، وقد جاءت هذه الأحداث متماسكة في بنائها بشكل واضح ، ولم تتسرب إليها المصادفة والمبالغة ، وابتعدت عن التحليق في الخيال ، واصطناع المغامرات غير الواقعية ، وسارت أحداث الرواية في خطين مميزين وهما :

الخط الأول ـ وهو الأساس في الرواية ـ وتضمن القضايا السياسية المختلفة من خلال عرض لإحدى المجموعات السياسية المناهضة للحكم الساعية للتغيير عن طريق توعية الجماهير سياسيا بكشف أساليبه الإرهابية وفضحها والتصدي لها ، إلا أن بعض أحداث الرواية لم تعمق لدينا الاحساس بقوة وفعالية الصراع بين هذه المجموعة والسلطة ، وذلك قبل فترة اعتقال أعضائها ، لأننا أصلا لم نقف على أعمال جوهرية وبارزة قامت بها في مواجهة الحكم ، ولهذا فإن القارئ يتعرف فعليا على أوجه نشاط هذه المجموعة وآرائها السياسية من خلال المناقشات التي كانت تدور بين اعضائها حول الوضع السياسي في مصر ، ووسائل التغيير المطلوبة .

وشغلت الأحداث التي دارت في السجن الحيز الأكبر والأهم من الرواية حيث ألقي القبض على هذه المجموعة بتهمة التآمر لقلب النظام . وقد استطاع المؤلف شد انتباه القارئ لما يحدث في المعتقلات السياسية في مصر في تلك الفترة ، وقد عبرت الأحداث ـ على قلتها ـ عن أهم القضايا السياسية التي أراد المؤلف طرحها ويحمد للمؤلف التزامه بالحياد إلى حد بعيد في مواقفه من الشخصيات والأحداث على السواء بشكل لم نجده في روايته السابقتين (رأس الشيطان) ، و(النداء الخالد) ، فقد ترك انطباعا لدينا بأن الافكار والآراء السياسية المطروحة في الرواية قد عبرت عن نفسها بصورة طبيعية نتيجة التفاعل المستمر بين الشخصيات والأحداث دون أن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحس بأن ثمة تدخلا مباشرا أو إقحاما مفتعلا من المؤلف ، وهذا لا يعني مطلقا أننا نرفض من الكاتب أن يعبر عن آرائه " ولكنا لا نريد أن يفرض آراءه فرضا ، وإنما يعبر عن هذه الآراء من خلال الحركة الدينامية لقضية ، بحيث يختار من الشخصيات وبهي من المواقف ما يجعل الحديث عن هذه الآراء موقفا حقيقيا متلائما مع التطور الطبيعي لهذه الشخصيات . . . " (١)

أما الخط الثاني من أحداث الرواية،فقد تمثل في العلاقة العاطفية ، التي نشأت بين فريد الحلواني أحد أعضاء المجموعة السياسية ونهيرة ، وقد سارت أحداث هذه العلاقة جنبا إلى جنب مع أحداث الخط السياسي ، وقد انتهت هذه العلاقة بالإخفاق نتيجة الضغوط القوية التي تعرضت لها نهيرة من قبل أهلها في محاولة منهم لإجبارها على التخلي عن خطيبها فريد،الذي حكم عليه بالسجن سبع سنوات ، ولا يشعر القارئ بأن الصلة قوية بين خطي الرواية السياسي والعاطفي ،فقد بدت العلاقة العاطفية وكأنها منفصلة لوحدها،لتشكل قصة جانبية لم تسهم كثيرا في تطور الأحداث .

ونتيجة لعدم قدرة المؤلف ـ أحيانا ـ على ربط جزئيات الأحداث لتبدو طبيعية في تطورها ، فإنه اضطر إلى التدخل المباشر بين القارئ والحدث ، ليعود بهذا القارئ إلى الوراء ويطلعه على أحداث فاته الحديث عنها في حينها ، ومن ذلك تذكره لحادثة فقدان نهيرة عذريتها في فترة خطبتها من فريد ، فيقول : " نسيت أن أقول أن نهيرة لم تعد عذراء . . . أجل لم تعد عذراء . . . "(٢) كما أن المؤلف كان يوقف تدفق الحدث لاستعراض مخزونه من المعلومات الطبية ، التي تسللت بحكم تخصصه في هذا المجال ، فوجدناه يعطي تفصيلات دقيقة لعرض التيفوئيد الذي أصاب عبد المجيد (٣) ، واستعرض أينما خبرته ومعرفته ببعض العادات والتقاليد الاجتماعية

---

(١) عبد المحسن طه بدر ، حول الأديب والواقع ، ص ٢٤ .
(٢) في الظلام ، ص ١٠٢ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السائدة في بعض القرى المصرية ، فذكر أن المرأة لا تتزوج إذا بقي زوجها مسجونـــا ، للدلالة على إخلاصها وتقديرها له ، وجاء بعدة حكايات جانبية للتدليل عـــلى ذلك (١) .

ولأن رواية (في الظلام) لم تعتمد كثيرا على الأحداث تنوعا وكثافة ، فإن الشخصيات فيها كانت المحور الفعال والأساسي ، وهذه الشخصيات في معظمهـــا تتكون من فئة الشباب المتحمس والمتطلع للتغيير ، والثائر على الأوضاع المتردية في مصر آنذاك ، كما أنها شخصيات على جانب كبير من الوعي السياسي والثقافـــي ، مما مكنها من مراقبة التطورات والتغيرات السياسية المختلفة ، واتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة الأحداث المستجدة . وقد سعت هذه الشخصيات إلى محاولة تغيير النظام السياسي بالتعاون مع قوى الشعب المختلفة ، وإقامة نظام جمهوري بديل عن النظـام الملكي في عهد الملك فاروق دون الاعتماد على أسس سياسية فكرية محددة ، إذ أن هذه الشخصيات لم تكن أصلا منتمية لأي تجمع سياسي محدد ، فقد كانت تضم شخصيات ذات اتجاهات مختلفة ، منها المتدين كالشيخ بسطويسي ، ومنهـــا المعجـــب بالنموذج الغربي في إقامة نظام علماني كالضابط فرحات السروجي ، ولم يحاول المؤلـف أن يضمن روايته (في الظلام) شخصية تنتمي إلى الإخوان المسلمين ، وربما كان تفسير ذلك هو ما ذكرناه في تعليلنا لعدم وجود مثل هذه الشخصية في رواية (الطريـــق الطويل) ، وهو أن نجيب ألف رواية (في الظلام) حين كان نزيلا في المعتقل سنة ١٩٥٨م ، بتهمة انتمائه للإخوان المسلمين ، وهذا يعني أنه قد يتعرض للانتقـــام الشديد كرد فعل من رجال السلطة .

وإذا كان من أهم عوامل نجاح تصوير الكاتب لشخصيات الرواية يكمن في قدرتهـــا على أقناعنا بأفكارها وتصرفاتها ، وبعدها عن التناقض (٢) فإن نجيبا في رسمه لشخصيات

---

(١) في الظلام ، ص ٢١٦ .
(٢) أنظر: عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روايته (في الظلام) قد استطاع إلى حد بعيد أن يقدمها للقارىء بصورة صادقة وواقعية حين أتاح لها حرية الحركة والتعبير ، فكانت شخصيات عادية ومنطقية في تصرفاتها ، تحركت بعفوية وحيوية على مدار صفحات الرواية ، فلا يشعر القارىء بغرابتها وافتعالها ، فيتفاعل معها من خلال تتبعه لمواقفها وللأحداث التي تمر بها حتى تكتمل صورة هذه الشخصيات في ذهنه بانتهاء أحداث الرواية بالشكل الذي أراده المؤلف لإيصال ما يريد من أفكار ومعان .

وزع المؤلف اهتمامه على أكثر من شخصية في هذه الرواية ، فلا توجد شخصية محورية تستأثر بأحداث الرواية ومواقفها المختلفة ، وقد استطاع في رسمه لملامح هذه الشخصيات أن يبرز لكل واحدة منها سمات محددة تختلف قليلا أو كثيرا عن الذي تمتاز به باقي هذه الشخصيات ، ومن أهم هذه الشخصيات التي عرضها نجيب ، فريد الحلواني ، وفرحات السروجي ، وعبد المجيد ، والشيخ بطويسي ، ونهيرة . وكان فريد الحلواني أكثرهم فعالية وحضورا على صفحات الرواية ، فقد أولاه المؤلف عناية أكثر من الشخصيات الأخرى ، وتتبع المراحل التي مر بها بشيء من التفصيل والتحليل . وقد عرفنا عنه أنه طالب في كلية الحقوق ، ويعاني من أوضاع مادية متردية دفعته للعمل ليعيل أسرته ، كما كان يرتبط بعلاقة عاطفية مع نهيرة ، التي استطاعت أن تجذب اهتمامه ، وتقلل من اندفاعه في العمل السياسي في مواجهة نظام الملك فاروق ضمن مجموعة سرية تعمل بهذا الهدف . وقد مهد المؤلف لتحولاته وتغيراته ليبدو مقنعا ومنطقيا ، وذلك من خلال تعريفنا على مدى التراجع في مواقفه تجاه تحركاته السياسية المختلفة ، فسوء أوضاع أسرته المادية وهيامه بنهيرة ، ومرض أخته ريحانة ، كل ذلك جعل اهتمامه منصبا على هذه الأمور ، وإن كان هذا لا يعني تخليه عن النشاط السياسي ، إذ أن فرحات السروجي ، المسؤول عن مجموعة استدعاه فورا لممارسة دوره السياسي نتيجة الظروف المستجدة على الساحة المصرية ، فانقاد فريد للأمر ، ولما ألقي القبض على هذه المجموعة بتهمة معارضة السلطة ، كان فريد من أقل أفرادها ثباتا أمام وسائل الترغيب والترهيب التي لجأ إليها رجال المخابرات ، فقد انهار سريعا ، واعترف بمعلومات تفصيلية عن نشاط المجموعة ، مما جعل أوضاعها تزداد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سوءا ، وقد أدى سوء تصرفه هذا إلى نزاعات مريرة بينه وبين باقي أفراد المجموعة ، فالمؤلف وقف في أن يهيء ذهن القارىء لإمكانية تعرض أفكار وقيم فريد للاهتزاز وعدم الثبات في أول مواجهة حقيقية له مع السلطة ، لأن فريدا قد انشغل عن واجبه بالقضايا الأخرى التي ذكرناها ، مما جعل سقوطه وانهياره أمرا طبيعيا ومعقولا ، إذ أصبح الهم في حياته المحافظة على نفسه وعلى أسرته أكثر من أي شيء آخر .

وفي مقابل شخصية فريد القلق والمضطرب ، تقدم المؤلف نماذج حية ، تختلف اختلافا كبيرا في مقدرتها على الثبات والمواجهة ، فعبد المجيد الذي عرف بمطالبته بتغيير مسائل المواجهة لإسقاط النظام ، لم يخن أو يتخاذل أمام الارهاب والتنكيل ، فلم يدل بأي معلومات عن مجموعته ، حتى أنه قضى نحبه تحت التعذيب ، أما الشيخ بسطويسي ، الذي كان يؤمن بضرورة مقاومة السلطة بشتى الوسائل عسكريا وسياسيا وفكريا (١) ، لم يتزعزع ولم تتغير مواقفه حتى تم الإفراج عنه ، بعد قيام الثورة ، وكذلك كان موقف فرحات السروجي .

وأما شهيرة فكانت من أكثر الشخصيات النسائية أهمية في هذه الرواية ، وقد عرضها المؤلف بأكثر من أسلوب ، خاصة أسلوب المذكرات ، التي كتبتها خلال وجود فريد في السجن ، وفيها أوضحت موقفها من أهلها الذين يصرون على طلاقها من فريد وتزويجها من شخص آخر ، وقد تعرفنا من خلال هذه المذكرات أيضا على مدى القلق والمعاناة التي كانت تعيشها شهيرة نتيجة لذلك . ولعل رواية (في الظلام) هي الوحيدة من بين روايات نجيب التي اتكأت على هذا الأسلوب ، وهو أسلوب تقليدي يساعد على التعبير عن الأحاسيس والعواطف التي تضطرب بها نفوس الشخصيات ، وكذلك يتيح الحرية في الإفصاح عن مكنونات الشخصية وخفاياها دون تدخل مباشر ومكشوف من المؤلف (٢) .

أما تصدير المؤلف لرواية (في الظلام) بمعلومات عن زمن الرواية ومضمونها (٣) فلا حاجة له ، لأن أحداث الرواية قد أبرزت ذلك بوضوح ، ولهذا تسقط أهمية هذا التصدير .

---

(١) انظر : في الظلام ، ص ٤٩ .
(٢) انظر : محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص ٨٣ .
(٣) انظر : في الظلام ، ص ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رواية (رمضان حبيبي) ، فقد طرحت تصورا إسلاميا للصراع العربي الاسرائيلي في حرب رمضان سنة ١٩٧٣م . حين دارت معارك طاحنة بين الجيشين المصري والإسرائيلي في سيناء ومنطقة قناة السويس ، ويرى المؤلف أن هذا الصراع ، صراع عقائدي بالدرجة الأولى ، وإن بدا لبعض الناس أنه صراع عسكري من أجل السيطرة على بقعة أرض معينة .

استطاعت الرواية أن تقيم توازنا معقولا بين الشخصيات والأحداث ، مع أن طبيعة الموضوع السياسي قد تفرض أحيانا سيطرة الأحداث السياسية ، لتتضاءل أمامها الشخصيات ، إلا أن نجيبا استطاع أن يتجنب ذلك ، فقد أدخل في روايته شخصيات حية وفاعلة ، لم تعش على هامش الحياة ، لتكون مجرد صدى لأحداثها ، ولكنها عايشت الواقع وتفاعلت معه ، فساعدت بشكل كبير على تطور الأحداث وتحريكها وتعقيدها ، لتصل إلى نهايتها المحتومة .

وجاءت أحداث الرواية ضمن محورين أساسيين ، تداخلا وتشابكا معا ، فشكلا صلب الرواية وعمودها الفقري ، أولهما ، قصة حب عاشها بطل الرواية أحمد مع جليلة ، وقد برزت هذه العلاقة العاطفية في البداية غائمة ضبابية نتيجة اختلافهما حول بعض القضايا ، ومنها قضية حرية الإنسان وحدودها ، إذ كانت جليلة ترى هذه الحرية بمعناها الواسع الذي لا تحده حدود وإن كان ذلك مخالفا لبعض القيم الدينية والاجتماعية ، وعلى النقيض منها كانت نظرة أحمد لهذا الموضوع ، فقد كان يرى الحرية لها حدود معينة من الخطأ تجاوزها ، لأنها ستنقلب إلى فوضى لا طائل تحتها . ومع تعدد لقاءات أحمد مع جليلة ، تطورت العلاقة العاطفية للأفضل ، فقد استطاعا أن يقيما جسورا من التفاهم الفكري والعقائدي بينهما ، ضمنت لعلاقتهما النجاح الذي توّج بالزواج وباستعراض هذه العلاقة العاطفية ، تعرفنا على كثير من القضايا التي طرحتها الرواية ، السياسية والفكرية والاجتماعية ، وذلك من خلال حوارات مكثفة دارت بين الحبيبين ، وقد سارت أحداث هذه العلاقة مع خط الرواية السياسي ، الذي شكل المحور الثاني والأهم في الرواية ، فبدت القضيتان الوطنية والعاطفية متلازمتين لا انفصام بينهما .

ويحمد للمؤلف بعده عن السرد المباشر والتقارير الجاهزة في سرده لأحداث الرواية ، وهذا بدوره أدى إلى اعتماد المؤلف اعتمادا واسعا على الحوار الذي ساهم مساهمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعاله في تطوير الأحداث والكشف عنها ، إضافة الى دوره الأساسي في رفع الحجب عن الشخصية في أفكارها وعواطفها ، مما أعطى صورة متكاملة حية عنها ، كما يحمد له أيضا عدم لجوئه إلى سرد التفاصيل الجزئية عن سير المعارك الحربية بين مصر وإسرائيل ، وإنما انصب اهتمامه على ابراز اهم نتائج هذه المعركة ومنها :

أ- إن الصراع مع اليهود هو صراع شامل عقائديا وعسكريا ، ولن يحسم إلا بالقوة المسلحة ، لأنها اللغة الوحيدة التي يفهمونها ، ولهذا لا بد أن تكون الأمة مهيأة ومستعدة لتحمل مسؤولياتها بأن تعد نفسها أولا إعدادا يستند إلى بناء الجيل بناء عقائديا إسلاميا ، وفي الوقت نفسه يتم الاستعداد المادي العسكري بصوره المختلفة .

ب- إن طبائع اليهود المستندة إلى الغدر والخيانة والوحشية لا تزال مسيطرة على نفوسهم وظهر ذلك في أكثر من موقف ، ومنها موقفهم من الأسرى المصريين ، الذين عوملوا بقسوة تنم عن حقد دفين ، كذلك في نظرتهم لاحتلال الأراضي وإذلال السكان ، لتحقيق أحلام توسعية قديمة (١) .

ج - إن حرب رمضان قد أحدثت شرخا عميقا داخل المجتمع الاسرائيلي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، إذ سقطت أسطورة الجيش الذي لايقهر أمام زحف الجيوش العربية ، أما على الصعيد الخارجي، فقد منيت إسرائيل بنكسة سياسية، حين أقدمت دول كثيرة في أفريقيا على قطع علاقاتها الدبلوماسية معها ، مما أدى إلى إضعاف موقفها على الساحة الدولية ، كما أثبتت هذه الحرب قدرة العرب - إذا ما صدقوا النية - على المواجهة بأشكالها المختلفة واتخاذ الإجراءات الضرورية لذلك ، فقد وجدنا عددا من الدول العربية تشارك فعليا في العمليات العسكرية على الجبهتين السورية والمصرية ، كما أقدمت دول أخرى على قطع البترول عن الدول المساندة لإسرائيل ، مما دفع بعض هذه الدول إلى مراجعة حساباتها السياسية في نظرتها للقضية الفلسطينية . أما بالنسبة للقضية الفلسطينية نفسها ، فإن المجتمع الدولي بدأ يعيرها اهتماما متزايدا ، لكونها تؤثر كثيرا على الأمن والسلام الدوليين ، مما أدى إلى تحريك الجهود وتكثيفها في محاولة لإيجاد حل لها .

---

(١) انظر: رمضان حبيبي ، ص١٠٨ - ١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولتشويق القارئ ، استعان المؤلف بوسيلة الرؤيا الدينية ، للتنبؤ بالأحداث قبل وقوعها ، إذ رأى أحمد الرسول — عليه السلام — سائرا معه شاهرا سيفه (١) ، وقد كان ذلك قبل بدء حرب رمضان بأيام قليلة ، ومفهوم الرؤيا هنا يستند إلى تصور إسلامي بحت ، فقد ورد عن الرسول — عليه السلام — قوله : " من رآني في المنام فقد رأني ... "(٢) ويبدو أن المؤلف قد أراد بها التدليل على أن أحمد متدين وملتزم بالإسلام إلى حد جعله يرتبط في أحلامه بشخص الرسول — عليه السلام —، وهذا لا يتاح لكثير من المسلمين ، كما أنه أراد من استعانته بهذه الوسيلة ، دعم تصوره عن الصراع مع اليهود ، إذ أن الرسول يحمله السيف يوحي بأن القوة هي الحل الوحيد لحسم الصراع واستعادة الحقوق .

وإن نجحت الرواية في إعطاء صورة واقعية للأحداث والشخصيات إلى حد بعيد دون تشويه ، فإنها لم تخل من بعض العيوب التي تسربت إليها ، ومن ذلك عدم واقعية بعض الأحداث وتهافتها ، كسفر جليلة مع صديقها فتحي إلى بيروت مدة ثلاثة أسابيع دون أن تواجه أي معارضة من أهلها ، مع أن جليلة نفسها أخبرتنا أن أمها متدينة جدا ، كما وقع المؤلف في بعض المغالطات السياسية والفكرية لعدم وضوح الرؤية الدقيقة عنده ، فمثلا أدعى أحد الضباط المصريين — في ندائه لجنوده لمقاتلة العدو — أنهم يقاتلون انحراف الصهيونية ، (٣) وكأن مبادئ الصهيونية في الأصل صحيحة ثم انحرفت فيما بعد على يد هؤلاء اليهود ، كذلك بالغ المؤلف في تصويره لانعكاس الحرب على أحوال المجتمع المصري ، إذ يخبرنا أن معدلات الجرائم قد انخفضت إلى حد لم يسبق له مثيل ، لأن اللصوص والمجرمين قد شغلوا بالقضية الوطنية فأقعدتهم عن ارتكاب الجرائم (٤) . ولا ندري كيف وصل نجيب إلى هذا الاستنتاج السريع بعد أيام معدودات من اشتعال الحرب ، مع أن ذلك يحتاج إلى دراسة تفصيلية عميقة ، وإلى وقت وجهد كبيرين .

---

(١) انظر : رمضان حبيبي ، ص٦٦ — ٦٧ .
(٢) البخاري ، محمد بن أسماعيل ، صحيح البخاري ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركية ، ١٩٨١ ، ج ٨/ ٧١ .
(٣) انظر : رمضان حبيبي ، ص٩٥ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص٧٨ — ٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجح المؤلف في توزيع اهتمامه على شخصيات الرواية وإقامته توازنا معقولا بينها ، فلم تستأثر شخصية منفردة بأحداث الرواية لتشكل محورها الأساسي . وقد كانت هذه الشخصيات ممثلة لشرائح اجتماعية مختلفة ، وعاشت واقعها بصدق وتفاعل كبير ، بعيدة عن الجمود والركود ، وهذه الشخصيات هي : أحمد وجليلة وفتحي .

أما أحمد ، فهو يمثل الإنسان المسلم الذى تتجسد فيه المثل والقيم الإسلامية في مواجهة الأحداث ، وفي مواقفه تجاه الشخصيات الأخرى ، وقد اهتم المؤلف برسم ملامح الشخصية داخليا وخارجيا ، فاتسم بسمات محددة يعرف من خلالها ، كما أتاح له حرية التعبير والحركة ، فلا ينفر منه القارئ ، بل يأنس اليه حتى انتهاء الرواية لما يحمله من نمو وتطور في مواقفه المختلفة . وكان الحوار الخارجي والداخلي من أهم وسائل المؤلف الفنية التي استطاعت أن تكشف لنا بكثير من العمق والدقة أهم السمات التي يتمتع بها ، إذ عرفنا عنه التزامه وإيمانه بأهدافه وغاياته ، فلم يقع فريسة الإغراءات والشهوات ، ولم يرتبط بالقيم المادية الهابطة ، كما عرفنا عنه أيضا وعيه المتميز وثقافته العالية سواء الإسلامية منها أم الإنسانية بشكل عام ، وقد كشفت أحداث الرواية أن احمد لم يعش عالما مثاليا بعيدا عن واقعه الإنساني ومتطلباته الحيوية ، فقد شغف حبا بجليلة ، وهي التي تقف على النقيض منه فكرا وسلوكا ، فلم ينعزل ولم تتقوقع ، بل عاش صراعا نفسيا مريرا ، لما كان يشعر به من تناقض حاد وواسع بين عاطفته وعقلة تجاه جليلة ، فلم ييأس من محاولة كسبها إلى صفه ، على الرغم من اتساع الفجوة بينهما ، فكان يناقشها ويجادلها في حوارات مكثفة حول قضايا السياسة والدين والحب والمرأة ، وغيرها من القضايا التي تمس الكيان الإنساني حتى ينجح أخيرا بتغيير تصوراتها وأفكارها المغلوطة ، فمالت إليه ثم رضيت به به زوجا بعد مسيرة طويلة من اللقاءات الساخنة بينهما .

أما جليلة فقد مثلت الإنسانة المضطربة ، التي لم تعرف الأمن والاستقرار ، فعاشت في قلق واكتئاب دائمين ، لعدم قدرتها على إيجاد مقاييس او ضوابط محددة تقيس بها الأمور من خلال تصور فكري معين ، إذ نراها تشكو حظها التعس ، وعجزها عن معايشة الواقع ، فتقول محدثة نفسها : " .. وأنا المنحوسة جليلة أعيش في منطقة الظل ، أتأرجح بين النظريات والأفكار التي أقرأها عن الآخرين ، وأتذبذب بين أذرع الراقصين وقبلات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاطفين ، وبين تزمت أحمد وانطلاق فتحي ، وإيمان أمي وعصيان صديقتي ..." (١)

وتتبع المؤلف بنجاح التغيرات التدريجية المبطيئة التي كانت تمر بها جليلة من خلال تمهيد واقعي ومعقول لهذا التغير ، بعد أن كانت تتهم أحمد بالتعصب والرجعية والتخلف ، أصبحت تميل إليه ، وتبتعد عن صاحبها فتحي ، المتحلل في فكره وسلوكه ، إلا أن المؤلف - أحيانا - لم يكن واقعيا في تصويرها ، إذ جعلها معبرا لأفكاره المفروضة مسبقا ، دون مراعاة لواقع هذه الشخصية ، فقد ادعى أنه بعد عودة جليلة من رحلة إلى بيروت استمرت ثلاثة أسابيع استطاعت أن تقيّم الحركة الفكرية الثقافية الواسعة في لبنان وذلك في معرض ردها على سؤال أحمد حول هذا الموضوع ، فقد وصفت هذه الحركة بأنها حركة تجارية رخيصة تروج للمبادئ الرخيصة التي تتغير كل عام (٢)،

ولا أظن أحدا يصدق أن مدة ثلاثة أسابيع قضتها جليلة للترفيه عن نفسها ، كافية لأن تحكم على حركة فكرية وثقافية واسعة بهذه الصفات السلبية ، إلا إذا كان ذلك تدخلا مباشرا وتسللا مكشوفا لآراء افكار المؤلف نفسه حول هذه القضية ، ولهذا فإن جليلة هنا لم تعبر عن الواقع بصدق ، بقدر ما كانت انعكاسا مباشرا لشخصية المؤلف وفكره .

ولكن كانت جليلة شخصية متطورة ونامية أدهشتنا بالجديد في مواقفها المختلفة، فلم تكتمل صورتها إلا بانتهاء الرواية ، فإن صديقها السابق فتحي ، الذي مثل الإنسان المهزوم المتخاذل ، كان يسعى جاهدا لتحقيق شهواته المادية ، ولو على حساب الكرامة والوطن ، لم تطرأ عليه تحولات ذات شأن كبير ، فقد بقي رمزا للسقوط الفكري والخلقي والسياسي، لأنه كان عبدا لأهوائه ونزواته في مطاردته للنساء ومعاقرته للخمرة ، وجمعه للمال الوفير عن طريق العمل جاسوسا لحساب إسرائيل ، وبرر عمله هذا بحجة مفادها أنه تلقى ذات يوم صفعة قوية من رجال المخابرات المصرية لسبب تافه (٣) فانقلب حاقدا وناقما

---

(١) رمضان حبيبي ، ص ٢١ - ٢٢ .
(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص ٥٨ - ٥٩ .
(٣) انظر: المصدر نفسه ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على كل ما يمت لوطنه وأمته . وانتهت حياة فتحي نهاية فاجعة ومأساوية ،إذ أقدم على الانتحار بعد إلقاء البوليس القبض عليه بتهمة التجسس ،إن فشل فتحي وضياعه وانهياره لا يرجع لأسباب خارجة عن ذاته قادته إلى هذا المصير، وإنما تعود إلى أساليبه وطرائقه في الحياة ، وقد أدت هذه الأساليب إلى هذه النتيجة المنطقية والواقعية ، ولهذا فإن المؤلف قد وفق في تمهيده المنطقي لسقوطه، بعد أن أحاطه بعوامل اليأس والإحباط التي مزقته ودمرته .

وإضافة إلى الشخصيات المصرية السابقة التي مثلت بعض شرائح المجتمع المصري ،فقد حاول المؤلف تركيز الضوء على الشخصية اليهودية ،إلا أنه لم يعطها حقها من الرعاية والاهتمام، فجاءت ضعيفة وباهتة ، وقد مثل هذه الشخصية بعض الجنود الإسرائيليين الذين تم أسرهم من قبل القوات المصرية، أو من خلال التحقيق الذي أجراه عدد من ضباط العدو مع أحمد عند أسره في حرب رمضان . وقد كشفت مواقف هؤلاء جميعا مدى التعجرف والغرور والوحشية التي تسيطر عليهم (١)، كما أزاح المؤلف الستار عن معاناة بعض جنود العدو الذين انهاروا في هذه الحرب ، وندمهم على ما فعلوه وكشفهم زيف ادعاءات قادتهم وأحلامهم التوسعية ، التي قادتهم إلى هذه الحرب المدمرة (٢) .

وحظي الواقع السياسي في مصر بعد ثورة ١٩٥٢م بنصيب لا بأس به من روايات نجيب الكيلاني ،إذ عالج هذا الواقع في ثلاث روايات وهي : (ليل العبيد)، و(رحلة إلى الله)، و (حكاية جار الله) . وقد تميزت هذه الروايات بنقدها اللاذع والشديد للممارسات السلبية لهذه الثورة ، التي انعكست سلبيا على المواطن المصري ، مما سبب تفككا وانهيارا في بنية المجتمع المصري ،وكان ذلك نذيرا بأن كارثة ما ستحل بمصر وبشعبها في المستقبل القريب ،وقد تحقق ذلك فعلا في هزيمة حزيران سنة١٩٦٧م .

---

(١) انظر : رمضان حبيبي ص١٠٨ - ١١٠ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ص٧٢ - ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرواية (ليل العبيد) انتقدت الوضع السياسي في مصر من خلال استعمال الرمز الذي انتظم الأحداث والشخصيات معا ، مع أن القارئ العادي قد يظن أن الرواية تحمل مضمونا اجتماعيا بحتا ، لكن التحليل الدقيق لشخصيات الرواية وأحداثهـــا ، يكشف مدى عمق الفكرة السياسية التي تتضمنها .

محوران أساسيان قامت عليهما أحداث الرواية ، المحور الاول تضمن عطية رصد واسعة وعميقة لبيئة المعتقلات ، عرفتنا على أوضاع السجناء المأساوية ، حيث العذاب والشقاء والذل ، وقد استطاع المؤلف تتبع ذلك من خلال الوقوف على الصراعات النفسية الحادة التي كانت تعيشها الشخصيات . وقد مهد نجيب للدخول إلى هذا العالم المغلق بتفصيل دقيق وموح لبيئة السجن ولعل تجربته في السجون المصريـــة قد تركت بصمات واضحة وقوية على روايته ، لما تضمنته من من وصف واقعي ومؤثر ، ينم عن إحاطة كبيرة بما يجري داخل هذه البيئة ، إذ يقول : " وفي داخل السجـــن بدا كل شيء كئيبا . . البنايات الصفراء ذات النوافذ الصغيرة . المطبخ البدائي ذو المدخنة ، التي تتقيأ دخانا أسود كالحقد ، حتى حوض الأزهار الصغير خلف مكتب المدير تقف زهيراته في جمود يثير الأسى ، والخضراء المنبعثة من ورشة النسيج والنجارة والسمكرة ، خضراء قاتلة وكأنها أجراس مجروحة في سوق الرقيق . . . " (١)

وقد تنوعت التهم الموجهة لعدد من المعتقلين في هذا السجن ، ففارس سجن لارتكابه جريمة قتل ثأرا لأبيه ، وعبد الحميد اتهم بأنه يتاجر بالمخدرات ، أما تهمة الشيخ سلامة فكانت إقدامه على قتل أخيه للحصول على الميراث حسب ادعاء زوجة أخيه المغـــدور .

أما المحور الثاني ، فعرض فيه المؤلف أحداثا وقعت خارج بيئة السجـــن ، وبالتحديد في منزل مدير السجن عبد الهادي بك ، ومن خلالها تقف على الوضـــع المضطرب الذي تعيشه هذه الأسرة والذي أدى أخيرا إلى تقويض أركانها .

ويمكن القول إن أحداث هذين المحورين كانت على قدر كبير من الضآلة ، فلم

---

(١) ليل العبيد ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكن كثيفة ومتنوعة ، وإنما استعان المؤلف بها على قلتها للكشف عما يدور في أعماق الشخصيات من صراعات مختلفة ، وقد وفق المؤلف في عرضه للأحداث التي بدت متطورة ونامية وواقعية إلى حد كبير ، دون أن يشعر القارئ بتحكم المؤلف في سيرها الطبيعي لتخدم أغراضا مسبقة لديه .

وإذا كانت مهمة القاص تنحصر في نقل القارئ إلى حياة القصة ، بحيث يتيح له الاندماج التام في حوادثها ، ويحمله على الاعتراف بصدق التفاعل الذي يحدث بين الشخصيات والحوادث ، وهذا أمر متيسر له إذا استطاع أن يصور الشخصيات في حياتها الطبيعية الخاصة . "(١) فإن نجيبا قد عرض شخصيات رواية (ليل العبيد) عرضا واقعيا بعيدا عن المبالغة والتهويل ، فبدت متفاعلة إلى حد كبير مع الأحداث ، وساهمت في تطويرها وتعقيدها ، فلم تكن مجرد مطية للحوادث تتلقاها وهي في حالة جمود وسكون . وأهم شخصيات الرواية هي : عبد الهادي بك ، وزوجته عنايات هانم ، والسجين فارس .

أما عبد الهادي بك ، الذي كان يطلق عليه (وحش السجون المصرية) ، فقد صوره المؤلف تصويرا دقيقا ، واعتنى بأبعاده الثلاثة : الجسمية والنفسية والاجتماعية من خلال الحوار الممتد على صفحات الرواية ، ومن خلال مواقفه النابضة بالحيوية والصدق ، ولم يطلق المؤلف عليه صفات مثالية في كل شيء ، كأن يكون قادرا على حل كل الصعاب والمشكلات ، وإنما عرضه في أوضاعه المختلفة في قوته وضعفه وشجاعته وخوفه إذ أن البطل في القصة الفنية الحديثة يعرض في تقلباته ، وفق الظروف المختلفة التي يمر بها ، ليدل على أي إنسان في تعرضه للانهزام والانتصار والشك واليقين (٢) من خلال تفاعله المستمر مع الأحداث ، واحتكاكه المتواصل مع الشخصيات ، فقد كان عبد الهادي يتمتع بنفوذ واسع وقوي لدى السلطة ، وله من السمعة والرهبة

---

(١) محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص ١٠ .

(٢) انظر : محمود السمرة ، في النقد الأدبي ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيء الكثير ، إلا أنه كان يعاني من مشكلات حادة في علاقته مع زوجته ، جعلته ذليلا وضعيفا أمامها ، وهو الذى بث الرعب في نفوس الكثيرين من المعتقلين وموظفي السجن ، وقد كان سبب هذه المشكلات عدم توافر الانسجام أصلا بين عبد الهادي وزوجته عنايات هانم ، التي تزوجته بشيء من الإكراه ، ولما استقر الأمر بها على هذا الحال بدأت تواجه صعوبات عديدة في تعاملها مع زوجها ، إذ أنها حرمت من إنجاب الاطفال لكون عبد الهادى عاجزا جنسيا ، لاصابته بعدة أمراض خطيرة ساعدت على ذلك ، ومنها ارتفاع الضغط والسكري واضطرابات القلب ، فرأت عنايات هانم نفسها مجرد ممرضة وخادمة لزوجها دون أن تمارس حياتها الطبيعية معه ، ونتيجة لذلك ارتكبت الخيانة الزوجية مرارا مع السجين فارس ، الذي كان يتردد على منزلها بحجة أنها تريده لإصلاح عطل بالكهرباء ، وقد عللت عنايات لجوءها إلى هذه الخيانة من خلال الحديث النفسي الذي يطلعنا مباشرة على خفاياها النفسية دون حواجز أو عوائق ، فتقول : " والعمر قصير يا عنايات . . وزوجك قال لك بالأمس إن أخصائي القلب منعه من ممارسة نشاطه الجنسي لفترة طويلة وأنت تكرهينه . . وأنت يا عنايات أتستطيعين أن تقضي حياتك وأنت تحنين . تحنين دائما ونادرا ما تأخذين شيئا يرضي أشواقك الجائعة . . أشواق روحك وجسمك ."(١) وقد انتهت هذه الحياة الزوجية إلى الفشل الذريع ، إذ أقدم عبد الهادي بك على تطليقها ، بعد أن وصل إلى أسماعه خبر خيانتها له مع فارس عن طريق بعض حراس السجن .

إن نجيبا في عرضه لتطورات الأحداث التي مرت بها عنايات هانم استطاع تحليل الأحداث بعمق وتقديم التعليل المناسب لها ، فبدت نتائجها منطقية لمقدمات منطقية ومعقولة ، إذ هيأ الظروف النفسية المناسبة لعنايات لتسقط هذا السقوط المروع ، الذي أدى إلى تحطيم حياتها الزوجية ، لأن " الروائي يجب أن يعنى بالدوافع ، وأن يقدم تفاصيل مرضية عن أسباب الحوادث المتفرقة ، وأن يقنع الروائي

---

(١) ليل العبيد ، ص ٧٥ - ٧٦ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأن أشخاص روايته يتصرفون تصرفا طبيعيا ملائما للوقائع الناتجة ، وأنهم يتخذون اتجاها معينا في التصرف مناسبا لشخصياتهم." (١)

أما السجين فارس ، فهو أكثر شخصيات الرواية فعالية وامتدادا ، قدمه المؤلف بعيدا عن التقارير المباشرة، فوضعه أمامنا وجها لوجه من خلال الفعل والحوار والحديث النفسي ، الذي كشف مساناة هذه الشخصية في تعاملها مع الشخصيات والأحداث ، فوفق المؤلف كثيرا في عرضه الفني له، إذ أن تصوير " فعل الشخصيات وحديثها أمامنا هو أقرب وسيلة إلى طبيعة الفن لأنه يدع استخلاص ملامح الشخصية للقارئ . "(٢) ، فقد عرفنا من خلال الأساليب المتنوعة التي عرض بها فارس أنه دخل السجن بتهمة قتل ارتكبها ثأرا لأبيه ، وقد كان لأمه الفضل الأكبر في تحريضه على ارتكابها ، ونتيجة لانهيار عالمه النفسي في السجن انقلب حاقدا وناقما على أمه وأقاربه وحتى على نفسه ، فأحاط به اليأس من كل جانب ، ولما استدعى لإصلاح كهرباء مدير السجن عبد الهادي ظن أن الدنيا قد أقبلت عليه عندما رأى عنايات هانم تراوده عن نفسه ، فوقع في الرذيلة ، ولما أفاق إلى نفسه أحس بعذاب ضميره لجريمته ، إلا أن تكرار الفعل أنساه ذلك ، فأصبح الأمر عاديا بالنسبة إليه حتى كشف أمره ، وعندئذ تخلص منه عبد الهادي بالسم ، فكانت نهايته مأساوية وهذه النهاية لم تهبط عليه من الخارج ولكن كانت نتيجة واقعية، وهو مسؤول عنها بالدرجة الأولى منذ بداية الأحداث .

إن المتتبع الدقيق لأحداث الرواية ومواقف شخصياتها ، يكشف أن هدف المؤلف الأساسي لم يكن عرض قضايا اجتماعية محددة من خلال رصد واقع السجناء والحديث عن الخيانة الزوجية ؛ لإننا اذا وقفنا عند هذا الحد من التفسير والتحليل ، فإن المؤلف لم يقدم شيئا مثيرا يجعل روايته متميزة ذات ملامح خاصة ، وإنما أراد تحميل الرواية مضمونا سياسيا فيه انتقاد خفي لحكومة الثورة المصرية ، ولأنه متخوف من ردة الفعل ، اثر اللجوء إلى الرمز للتعبير عن ذلك ؛ لكونه قد عانى مرارا من الإرهاب

---

(١) أحمد أمين ، النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١/١٢٥ .

(٢) عبد المحسن طه بدر ، نجيب محفوظ : الرؤية والأداة ، ص ٤١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسي إبان الصراع الذي دار بين الثورة والإخوان المسلمين ، ولعل بعض مواقف الشخصيات تؤيد ما ذهبنا إليه ، ومن ذلك قول عبد الحميد لفارس عن حياة السجون الكئيبة : " ـ العالم خارج الأسوار سجن كبير . لكننا هنا نعتبر مركزا معتقلا." (١) كما ظهر ذلك أيضا في نقد عنايات الشديد للأوضاع المتردية سياسيا وفكريا واقتصاديا التي تسود مصر (٢) .

ولعل رواية (ليل العبيد) هي الوحيدة من بين روايات نجيب التي لجأ فيها المؤلف للرمز الكلي للتعبير عن مضمونها السياسي (٣) إذ استطاعت هذه الرمزية أن تتحكم في خطوط الرواية بشكل كامل ، وهذا النوع من الروايات يطلق عليه الرواية ذات الرمزية الخالصة ، وهي " التي توصلت بأسلوب رمزي خالص للتعبير عن مضمونها وهذا الرمز يحكم بناء الرواية ويسيطر على خطوطها العامة من أولها الى آخرها . ونستطيع أن نفهم دلالات الرمز في هذا النوع من الروايات من تفاصيل الرواية." (٤) .

---

(١) ليل العبيد ، ص ٤٣ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٠٦ . وانظر أيضا : ص ٢٤ .

(٣) توهم الباحث عبد المنعم عواد في معرض دراسته للرواية في قوله إن بيئة السجن والسجناء يمكن أن تكون رمزا لحياة المصريين قبل الثورة ، انظر تعليقه هذا بعد نهاية أحداث الرواية نفسها ، ص ١٧٥ . وقد تبعه في هذا التوهم باحث آخر ، هو صبري حافظ ، انظر : اتجاهات الرواية المصرية بعد الثورة ، المجلة ، السنة ٩ ، العدد ١٠٣ ، تموز ١٩٦٥م ، ص ١١٠ . وقد فطن ابراهيم سعفان إلى أن أحداث الرواية قد صورت بعض الفترات المظلمة في مصر دون أن يشير صراحة إلى الثورة المصرية ، انظر : نجيب الكيلاني ، رحلتي مع الأدب الاسلامي مخطوط ص ٢٠ منقولا عن كتاب لإبراهيم نفسه بعنوان : دراسات في الأدب العربي المعاصر . والباحث يرى أنه ليس معقولا أن يلجأ نجيب إلى الرمز في نقده لنظام الملك فاروق قبل الثورة ، لأنه نظام بائد ، كما أن الثورة نفسها تشجع على نقده صراحة ، فلا داعي إذن لوجود هذا الرمز .

(٤) صالح أبو إصبع : فلسطين في الرواية العربية ، ص ١٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن للباحث حصر الدلالات الرمزية في الرواية فيما يلي :

أ- يمثل عبد الهادى بك ، مدير السجن رمزا للحاكم المستبد القوي أمام الناس، بينما هو في الحقيقة من أضعف الناس، حتى أنه لا يستطيع أن يدير شؤون منزله ولا أن يكبح تهكمات زوجته اللاذعة . هذا إذا أضفنا الامراض الخطيرة التي نخرت جسده وأثقلته، وجعلته طريح الفراش في معظم الأوقات . وحاكم تجسدت فيه هذه الصفات، حاكم ضعيف لا يصلح لأن يحكم أمة ويصرف أمورها ، ولهذا ليس غريبا أن يسقط سقوطا مروعا في أول مواجهة حقيقية مع العدو الخارجي سنة ١٩٦٧م، لأنه أصلا لم يستند إلى قوة حقيقية تعصمه من هذا السقوط. فزوجته التي من المفروض أن تشعره بالأمان في بيته ، تتمنى موته كل لحظة ، كما أن أمراضه تحاصره ، والسجناء يحقدون عليه ، ويتمردون أحيانا على أوامره ، مما جعله محاصرا من جميع الجهات .

ب - يمثل الشلقامي وغيره من موظفي السجن دور الأدوات الصغيرة التي تحركها السلطة في قمع الشعب ، وكان الشلقامي هذا مكروها من طرفين : فالسجناء ينظرون إليه باشمئزاز وعدم رضى ، لما يبديه من وحشية في معاملتهم ، وعبد الهادي يرى فيه مجرد أداة طيعة لتنفيذ أوامره ، فلا قيمة حقيقية له عنده ، فإذا ما بدر من الشلقامي تصرف - ولو كان تافها - صب عليه عبد الهادي العذاب الشديد .

ج - يمثل السجن رمزا للسجن الكبير الذي تعيشه مصر في ظل الاستبداد السياسي ، والسجناء يمثلون رمزا للشعب نفسه بفئاته المختلفة ، وقد أبرزت الرواية هؤلاء السجناء كانوا يعيشون حالة من القلق والاضطراب ، لافتقادهم الأمن والطمأنينة في ظل مجتمع يسوده الإرهاب ، حتى أن قتل أحدهم لا يعني شيئا ذا قيمة في رأي مدير السجن .

إن نجيبا في روايته (ليل العبيد) لم يقحم نفسه إقحاما للإشادة بفكرة أو للتغني بدعوة ، فقد عبرت أفكار روايته عن نفسها في تعرية وفضح الواقع السياسي الفاسد الذى مرت به مصر - أحيانا - بعد قيام ثورة ١٩٥٢م دون اللجوء إلى التقارير المباشرة والدعاية السياسية ، إذ أن نجاح العمل الفني " يرتبط ارتباطا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كبيرا بأن يفضي إلى القارئ ما يريد الكاتب أن يقوله أو يدعو اليه بطريق غير مباشر ، أما الحديث المباشر ، والدعوة الصريحة ، والفكرة المستقلة في العمل الفني ، فإنها لا تنجح ولا تعمل عملها في نفس القارئ ..."(١) ولعل القيمة الحقيقية لهذه الرواية تكمن في أنها استطاعت استشراف هزيمة ١٩٦٧م قبل وقوعها بسنوات عديدة، مما يدل على امتلاك المؤلف لرؤية عميقة في تحليله للواقع السياسي في مصر، وهذا لا يتأتى لكثير من الروائيين .

وإذا كانت رواية (ليل العبيد) قد انتقدت الواقع السياسي للثورة المصرية من خلال التعبير الرمزي ، فإن رواية (رحلة إلى الله) قد اتخذت الموضوع نفسه مدارا لها ، ولكن دون اللجوء إلى الرمز ، فجاءت مواقف الشخصيات والأحداث المختلفة لتكشف بمنتهى الصراحة والوضوح فساد هذا الواقع ، لما تمتع به المؤلف من بعض الحرية بعد رحيله لأمارة (دبي) سنة ١٩٦٨م ، فاستعرض حملة الاعتقالات الواسعة لأفراد الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤م وبعد الصدام مع الثورة .

خطان متوازيان سارت فيهما أحداث الرواية ، خط شكل العمود الفقري لها، وهو الحديث المفصل الشامل عن أحوال المعتقلين في السجن الحربي تناول فيه الأنواع القاسية الأليمة التي عاشها بعض أعضاء الإخوان ، حيث العذاب الشديد من أجل الحصول على معلومات عن تنظيمات الجماعة السرية، التي اتهم أعضاؤها بمحاولة اغتيال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وأبرزت الرواية أيضا اتساع الاعتقالات لتضم من كانوا مقربين من أركان النظام نفسه ، مما يدل على عشوائية هذه الاعتقالات وضياع هيبة القانون ، ومن ذلك اعتقال شقيق ضابط كبير كان يعمل في مكتب عبد الحكيم عامر (٢) ، كما اعتقلت إحدى النساء لكون زوجها منتميا للإخوان المسلمين ، ويدرس خارج مصر في محاولة لابتزازه وإجباره على الرجوع لبلده لاعتقاله ، وقد مورس مع هذه الفتاة أشد أنواع الارهاب النفسي والجسدي إلى أن انهارت أعصابها ، وأدخلت مستشفى للأمراض العقلية (٣) .

---

(١) عز الدين إسماعيل ، فنون الأدب : دراسة ونقد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط٣، ١٩٦٥ ، ص١٨٨ .
(٢) انظر : رحلة إلى الله ، ص ٩٥ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص٢١٩ - ٢٢٢ ، ٢٨٠ ، ٤١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرضت الرواية المهازل المضحكة المبكية في آن واحد التي كان يغص بها السجن الحربي ، ومنها الحفل الكبير الذي أقيم على شرف الكلبة (توسكا) بمناسبة شفائها من مرض ألمّ بها ، وقد ألقي الشعر والأغاني الشعبية - جبرا - من قبل المعتقلين (١) .

ومن خلال حوارات المعتقلين تعرفنا على أفكارهم السياسية والفكرية التي تعبر عن رأى الإخوان المسلمين في بعض القضايا السياسية المطروحة ، ومن أهمها قضية فلسطين ، وكان رأيهم أن هذه القضية لن تحل حلا جذريا إلا بالرجوع إلى الإسلام ، وتطبيق مبادئه ، وبعدها يكون التحرير (٢) ، كذلك عكست الحوارات آراء الجماعة فيما يتعلق بالنظامين ، الشيوعي والرأسمالي ، وموقف الإسلام منهما (٣) .

وقد دفع اهتمام المؤلف الكبير بقضايا المعتقلين السياسيين في السجون ، وما يتعرضون له من قهر وتعذيب أحد الدارسين إلى القول بأن التعذيب والارهاب هو البطل الحقيقي للرواية ، ممثلا بشخصية عطوة الملواني وممن وقعت تحت يده من الساجين (٤) .

أما الخط الثاني في الرواية ، فيتمثل بحكاية المدرسة نبيلة مع خطيبها عطوة قائد السجن الحربي ، خارج بيئة السجن ، وقد حرص عطوة أن تكون نبيلة مطيعة له دون معارضة ، وكأنها سجينة من سجنائه ، فحاول أن يغتصبها أكثر من مرة ، على الرغم من عدم عقد القران بينهما ، إذ كان معروفا عنه أنه مهووس جنسيا ، ولهذا لم يكن ينظر لخطيبته إلا من هذه الزاوية ، ولما رفضت كل أساليبه البشعة ، وفرضت نفسها عليه ، حاول تحطيمها بأن أوعز إلى رجال مخابراته باعتقالها

---

(١) انظر : رحلة إلى الله ، ص ١٢٢ - ١٢٦ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .
(٤) انظر : عبد العزيز الدسوقي في تحليله للرواية في كتاب نجيب الكيلاني ، رحلتي مع الأدب الاسلامي مخطوط ، ص ١٤٠ ، نقلا عن مجلة الثقافة المصرية ، عدد مارس آذار ١٩٧٩ ، وقد حاولت الرجوع إلى المجلة نفسها فلم أعثر على أعدادها لسنة ١٩٧٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون أن تعلم أن الأمر صادر عنه ، وقد وجهت إليها تهمة مناهضة الثورة ، وفي فترة اعتقالها ، تعرفت نبيلة على أوضاع بعض المعتقلات التي تثير الاستياء ، فصدمت لذلك ، إذ لم تكن من قبل ذلك تصدق أن حكومة الثورة تلجأ فعلا إلى الأساليب الإرهابية لمواجهة بعض الأحزاب السياسية في مصر ، ولما جاء عطوة ليفرج عن نبيلة أنكسر معرفته بأمر اعتقالها ، إلا أن الأمر انكشف لنبيلة ، فأصبحت حاقدة وناقمة عليه ، وقررت الرحيل نهائيا عن مصر إلى الكويت ، فالتقت هناك بأعداد كبيرة من المهجرين المصريين المنتمين للإخوان المسلمين ، وقررت فضح الوضع السياسي في مصر ، فتعرضت للمضايقة من المؤيدين للثورة المصرية ، حتى وصل الأمر بهم إلى محاولة اغتيالها ، إلا أنهم فشلوا في ذلك .

إن نجيبا في روايته (رحلة إلى الله) لم يعتمد كثيرا على سرد أحداث تاريخية بحد ذاتها ، وإنما جعل هذه الأحداث كإطار عام للرواية ، فجاء اهتمامه منصبا على العناصر الروائية الأخرى ، كتحليل الشخصيات وإبراز مواقفها من خلال الأساليب السردية المختلفة .

ويمكن القول إن أحداث الرواية قد أخضعت لمنطق فني دقيق ، إذ أن المؤلف قد تخلص إلى حد كبير من الدعاية السياسية المباشرة ، والنبرة الحماسية المفتعلة ، وترك أحداث الرواية ومواقفها توحي للقارئ بأفكارها من خلال مواقف نابضة وحية ، وفيها من الواقعية الشيء الكثير ، دون تشتيت لانتباه القارئ بحكايات جانبية لا قيمة لها . إلا أن عبد العزيز الدسوقي اتهم نجيبا بأنه بالغ أحيانا في وصف عمليات التعذيب والإرهاب (١) ، والذي يبدو أن تجربة نجيب المعتقلية في عدد من المعتقلات في مصر جعلته يفصل كثيرا في هذا الأمر ، جريا منه وراء الواقعية ، فانعكست تجربته هذه على أحداث الرواية التي استندت إلى التفاصيل الكثيرة ، وليس هذا بمستهجن

---

(١) انظر : نجيب الكيلاني ، رحلتي مع الأدب الإسلامي ، مخطوط ، ص ١٤٢ ، نقلا عن مجلة الثقافة المصرية ، عدد مارس (آذار) ، ١٩٧٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ " أن أي أدب سواء أكان ذاتيا أم موضوعيا لا يمكن أن يخلو من شخصية الأديب ، ومن طابعه الخاص ، الذي تتميز به عبقريته . " (١)

وتقع شخصيات الرواية ضمن ثلاثة أقسام وهي :

القسم الأول : ويشمل شخصيات ملتزمة بمنهج سياسي محدد في انتمائها للإخوان المسلمين ، ويمثل ذلك كل من : محمود صقر ، وعبد الحميد النجار ، ورزق إبراهيم ، .

القسم الثاني : ويتضمن شخصيات معجبة بالفكر الإسلامي ، دون الانتماء لجماعة سياسية معينة . ويمثله المدرسة نبيلة .

القسم الثالث : ويضم أدوات القمع والإرهاب ، ويمثله قائد السجن الحربي ، عطوة الملواني .

أما القسم الأول : فقد تميزت شخصياته بسمات محددة ، أهمها : أنها على قدر عال من الوعي السياسي ، ومدركة للامور السياسية المختلفة التي تعج بها الساحة المصرية ، كما أنها مثقفة ثقافة عالية ، ومنتمية إلى طبقة الطلاب الجامعيين ، ثم إن هذه الشخصيات لم تكن مصرية جميعها ، فلم يجمعها العنصر الوطني بحد ذاته ، وإنما اجتمعت عقائديا وفكريا ، ضمن إطار الإخوان المسلمين ، فعبد الحميد النجار فلسطيني ، ورزق إبراهيم سوداني ، وهذا لا يعني عدم اعتزازهم بالولاء الوطني ، وإنما اعتبر هذا الولاء بالدرجة الثانية بعد الولاء العقائدي الإسلامي ، الذي يعتبر الوطن خاضعا للعقيدة ، فإن لم يكن كذلك تراجعت أهميته .

يعتبر محمود صقر من أكثر شخصيات القسم الأول التي حظيت باهتمام المؤلف ، فقد عني بابراز ملامحه بدقة ، فعرفنا عنه صلابة الموقف في الدفاع عن مبادئه ، وتحمل نتيجة لذلك التنكيل والتعذيب ، الذي فاق ما تلقاه الآخرون من أصحابه ، وقد وجهت إليه تهمة خطيرة ، وهي الانتماء للجهاز السري للإخوان المسلمين (٢) ، الذي كانت

---

(١) محمد مندور ، الأدب ومذاهبه ، ص ١٦ .

(٢) انظر : رحلة إلى الله ، ص ٢٢ - ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مهمته قلب نظام الحكم ، إلا أن محمودا نفي التهمة بشدة ،وإن لم ينف كونه عضوا في الإخوان ،إذ كان يرى أن حكومة الثورة سمحت لأفراد الجماعة بالدعوة إلى الإسلام في المساجد والاحتفالات بشكل علني (١) . ولما اشتد عليه العذاب ،أصبح يهذي كالمجنون ، فنقل للمستشفى وعولج هناك ،وشفي ثم أرجع الى السجن للعذاب من جديد ،إذ أن عطوة الحلواني أصر على أن ينفذ أوامر السلطة في مواصلة التحقيق مع محمود إلى أن يعترف بوجود السلاح معه ،وإن كان في الواقع لا يملكه ،حتى مات أخيرا تحت التعذيب ، وأعلنت السلطة وفاته ،بترويج إشاعة ،مفادها أنه حاول الفرار (٢) . وقد قدم المؤلف محمودا من خلال السرد المباشر والحوار والمواقف الحية ،فأعطى صورة متكاملة ودقيقة عنه .

أما القسم الثاني من شخصيات الرواية فتمثله نبيلة ، التي تمثل شريحة واسعة من المجتمع المصري ، الذي لم يكن كثير من أبنائه ينتمون إلى حزب سياسي ما ، وقد سلّط المؤلف عليها الأضواء ، وقدمها لنا على دفعات متتالية ، فتكشفت مواقفها لنا تدريجيا نتيجة تفاعلها المستمر مع الشخصيات والأحداث ،فهي مدرسة للتاريخ الإسلامي ،ولم تكن تهتم كثيرا بالتيارات السياسية المتصارعة في فترة وجودها في الجامعة ،وكانت من أشد المخلصين للثورة ومبادئها ،حتى أنها عينت ضمن التنظيم الشعبي لحمايتها ، ولكنها فوجئت عند اعتقالها بالإرهاب والقمع ،اللذين يسيطران على الساحة المصرية ، ومن رموزهما خطيبها عطوة الملواني ،قائد السجن الحربي ، فتغيرت نظراتها تجاه النظام ، وبدأت تهاجم تصرفاته السلبية ،وكتبته للحربات ، وقد كان هذا التغير الذي طرأ على شخصية نبيلة متوقعا ومنطقيا ،دون أن يكون فيه مبالغة أو افتعال وقد جوبهت نبيلة نتيجة مواقفها من النظام بمقاومة عنيفة من خطيبها ،ومن مناصري الثورة المصرية ،واتهمت بأكثر من تهمة ،إلى أن انتهى الأمر بها إلى الرحيل عن مصر إلى الكويت ،وهنا أيضا لاقت من المصاعب والمضايقات الشيء الكثير ،بسبب

---

(١) انظر : رحلة إلى الله ص ٢٩ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ،ص ٢٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استمرارها في خطها المعارض على الرغم من التحذيرات المختلفة ، التي وجهت اليها من أصدقائها ، ومن وزارة الداخلية الكويتية . وإن نجح المؤلف في تصويره لمواقف هذه الشخصية بدقة ، ووقوفه على مراحل تطورها مرحلة مرحلة ، إلا أنه وقع في بعض المزالق التي لم يستطع التخلص منها لشدة تعاطفه معها ، ولعل من أهمها الدور المضخم الذي منحه إياها المؤلف ، لأن ما قامت به من أعمال وتصرفات قد لا تقوم به جماعة بأكملها ، إذ استطاعت الاتصال بعناصر من الإخوان المسلمين في مصر ، دون إثارة انتباه رجال الأمن ، وهم عيون دائمة على هذه العناصر ، ثم قامت بأعمال الدعاية ونشر الأخبار المكثفة عن ممارسات حكومة الثورة ، ولما أخرجت إلى تركيا بأمر من الحكومة الكويتية ، ومنها إلى لبنان ، ظلت الانظار كلها متجهة اليها ، وكأنها محور المعارضة ومركزها الرئيسي ، وما هي كذلك ، ولا إخال أن تقوم فتاة بهذا الدور الواسع من المعارضة السياسية سنة ١٩٥٤ .

أما عطوة الملواني ، الذي مثّل بحق دور القهر والإرهاب ، فقد كان من أكثر شخصيات الرواية أهمية وامتدادا على مدار الرواية ، فبدت شخصية نابضة بالحياة وواقعية إلى حد بعيد دون تزيد ، ولأن المؤلف قصد من روايته تصوير الإرهاب السياسي وقضايا التعذيب في المستقلات ، فإنه ابتدأ أحداث روايته (رحلة إلى الله) بتفصيل شديد ودقيق لشخصية الملواني (١) ، وقد اهتم المؤلف بعطوة هذا داخليا وخارجيا ، وحلل بعمق ما يدور في عالمه النفسي ؛ للوقوف على دوافع سلوكه وتصرفاته من خلال تداخل الزمنين الماضي والحاضر اللذين شكلا تصورا شاملا لحياته ، الماضي المتمثل بالذكريات ، التي لها ارتباط وثيق بما يجري له في الواقع الذي يعيشه ، فقد كان عطوة تلميذا في الكلية الحربية ، واعتاد في هذه الفترة شرب الخمرة ومعاشرة النساء (٢) ، ولما اشتعلت حرب ١٩٤٨م في فلسطين ، كان أحد المشاركين

---

(١) انظر : رحلة إلى الله ، ص ٥ - ١٠ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها من القوات المصرية ، فشعر أنه حرم من بعض شهواته التي اعتادها ، والتي أصبحت تشكل جزءا مهما من حياته لا يستغني عنه ، فنقم على السياسة وعلى أصحابها ، وحقد على الأحزاب السياسية دون استثناء ، لأنه يرى فيها سبب المصائب ، وبعد قيام ثورة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢م ، تسلق للمناصب كما تسلق غيره ، فاحتل مكانة بارزة لدى الحكومة ؛ (١) لنجاحة الكبير في سرعة تحطيم المعارضين السياسيين نتيجة وسائل التعذيب التي تفنن في استخدامها . وقد صور المؤلف ـ ووفق في ذلك ـ عطوة الحلواني في أقبح الصور وأبشعها ، فترك انطباعا حادا لدى القارئ بالحقد والكراهية تجاهه ، فهو أداة طيعة لأوامر أسياده ، ومن أكثر الناس كراهية للمثقفين ، إذ كان يرى أن سبب مصائب الشباب تعود إلى قراءتهم للكتب الثقافية المختلفة ، فوجد ضالته في إذلالهم ، وكان ذلك في إشرافه على تعذيبهم والتنكيل بهم في السجن الحربي (٢) .

وقبل أن أنهي الحديث عن رواية (رحلة إلى الله) ، لا بد من التعرض لما أورده محمد بريغش عليها من مآخذ في معرض المفاضلة التي أقامها بين هذه الرواية وبين رواية (التائهون على الجمر) لمؤلف مصري اسمه محمد أنور رياض ، إذ يرى بريغش أن شخصيات رواية (رحلة إلى الله) لم تكن ملتزمة بالإسلام في الواقعين النظري والعملي ، وإنما كانت ـ كغيرها ـ معجبة به كوسيلة تغيير للأفضل ، ففلبت عليها النزعة الوطنية التي كانت العامل الأقوى في تجمعهم . كما ينتقد أيضا الإعجاب الذي أبدته نبيلة للتقدم الكبير في مجال حرية التعبير في تركيا ولبنان ويرى ذلك مخالفا للواقع (٣).

---

(١) انظر : رحلة إلى الله ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) يذكر عبد العزيز الدسوقي أن عطوة الحلواني هو شخصية حقيقية مشهورة ، ولكن نجيب الكيلاني غير اسمها ، انظر : نجيب الكيلاني ، رحلتي مع الأدب الإسلامي ص ١٤٠ ، نقلا عن مجلة الثقافة المصرية عدد مارس (آذار) ١٩٧٩م .

(٣) انظر : محمد بريغش ، في الأدب الإسلامي المعاصر : دراسة وتطبيق ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي معرض ردنا على مقولة محمد بريغش لا بد من القول بداية إن نقده للرواية انصب أساسا على ما حملته من مضمون ، أما الشكل الفني لها فلم يتعرض له إلا تعرضا هامشيا لم يأت بشيء ذي قيمة كبيرة ، وهذا التوجه في معالجة الرواية ينأى عنه النقد الأدبي السليم المتكامل ، الذي يولي اهتمامه المضمون والشكل معا .

أما بخصوص حديثه عن عدم التزام شخصيات رواية (رحلة إلى الله) بالإسلام فكرا وسلوكا ، فيدحضه بقوة واقع شخصيات الرواية ، إذ أن هذه الشخصيات ملتزمة التزاما شديدا بمبادىء الاسلام على المستويين النظري والعملي ، فلم نجد من هذه الشخصيات أي تصرفات تناقض هذه المبادىء ، فقد لقي محمود صقر حتفه من شدة التعذيب الذي تعرض له ، وثبت أمام محاولات الترغيب والترهيب التي قامت بها مخابرات الدولة ، ومن خلال محاورات الشخصيات في الرواية نجدها تلتزم خط جماعة الإخوان المسلمين في أفكارها وتوجهاتها . أما اتهام بريغش لهذه الشخصيات بأن الرابطة الوطنية هي التي جمعتهم ، فهو اتهام متهافت وضعيف ، لا يثبت أمام الواقع ، لأن بعض هذه الشخصيات لم يكن مصريا أصلا ، فعبد الحميد فلسطيني ، ورزق إبراهيم سوداني ، وكان هذان ينظران لمصر ولغيرها من المناطق العربية على أنها بلاد إسلامية بالدرجة الأولى ، لا تخص إنسانا دون آخر ، فكانت مصر بمثابة وطن حقيقي لهما من هذا المنطلق ، وليس شرعا ما يمنع هذا ، بل إن الاسلام يفرض على كل مسلم أن يشارك المسلمين آمالهم وآلامهم بغض النظر عن اختلاف مواطنهم ، لأن الرابطة التي تجمعهم هي رابطة العقيدة ، فكل بقعة إسلامية هي وطن للمسلم أيا كان جنسه ، وهذا ما فهمه الأجداد قديما ، وكان واقعا عمليا حين كان المسلم يتنقل شرقا وغربا دون وضع العراقيل أمامه .

أما مهاجمة بريغش الشديدة لتصرفات نبيله غير الإسلامية ، وإعجابها الشديد بالحرية الممنوحة للمواطن في تركيا ولبنان ، فمن الصعب القول إنه منهج سليم في النقد ، فنبيلة تمثل شريحة واسعة من المجتمع الإسلامي ليس في مصر وحدها ، بل في أكثر من بلد إسلامي ، فهي فتاة معجبة بالإسلام ، وهذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس غريبا ، إنها مسلمة أصلا وإن لم تنتم لجماعة إسلامية ، ولهذا كان نجيب صادقا في تصويره لفكرها وسلوكها ، وصادقا فنيا وموضوعيا في نقل الحقيقة ، أما إذا أراد بريغش من نجيب أن يجعل كل شخصياته ملتزمة حرفيا بالإسلام ضمن جماعة محددة ، فإن هذا المطلب مجاف ومناقض للواقع ، لسبب واضح ومنطقي وهو أن كثيرا من المسلمين لا ينتمون لجماعة إسلامية سياسية ، فنجيب في تنويعه للشخصيات في اتجاهاتها الفكرية المختلفة ، كان واقعيا بعيدا عن التزييف ، كما أنه أصلا ليس مفروضا عليه أن يأتي بشخصيات كلها ملتزمة بالإتجاه الاسلامي . أما كون نبيلة معجبة بتركيا ولبنان في بعض القضايا ، خاصة وجود الحرية للفرد فهذا أمر قد تكون لمسته بصوره أفضل من مصر وغيرها كالكويت في فترة من الفترات التي عاشتها نبيلة وعانت فيها من القهر وكبت الحريات .

إن أكبر عيب وقع فيه الدارس محمد بريغش أنه انطلق في نقده لمضمون رواية (رحلة إلى الله) من تصورات فكرية مسبقة ، جعلت كثيرا من أحكامه بعيدة عن الواقعية والنزاهة ، وفيها من التشنج والافتعال الشيء الكثير .

وعلى النقيض تماما من آراء بريغش ، نجد عبد العزيز الدسوقي الذي يرى أن نجيبا قد " خدم دعوة الإخوان المسلمين بهذه الرواية أكثر مما يخدمها هؤلاء الذين يكتبون تلك الدراسات المتشنجة التي تثير الضجيج حول الأحداث دون جدوى . "(١) فقد جاءت روايته (رحلة إلى الله) متسمة بالواقعية والصدق ، واستطاع نجيب أن يجسد الوقائع والأحداث في عمل فني مرهف أعمق من الواقع نفسه (٢) .

أما رواية نجيب الأخيرة التي انتقدت الاوضاع السياسية السائدة في مصر إبان حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، فقد كانت روايته (حكاية جاد الله) التي تميزت

---

(١) نجيب الكيلاني رحلتي مع الأدب الإسلامي مخطوط ص ١٤٣ ، نقلا عن مجلة الثقافة المصرية عدد مارس (آذار) سنة ١٩٧٨م .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكثافة الأحداث وتماسك في الحبكة الروائية، دون أن يتسرب إليها خلل فني ذو شأن كبير، فقد تكاملت في هذه الرواية عناصر العمل الفني كأروع ما يكون، فالدارس لها سيدهش لكثافة التركيز في المضمون، وللمستوى الفني الرفيع الذي بلغته .

إن مضمون رواية (حكاية جاد الله) كما يتبدى للوهلة الأولى يتناول بعض العيوب الاجتماعية التي تغلغلت في الساحة المصرية قبل هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م، إلا أن المدقق لأحداث الرواية وشخصياتها سيجد وراءها دلالات ورموزا موحية تدين النظام وتهاجمه بعنف، وتكشف عن كثير من الانهيار الذي وصل إليه، حتى أن القارئ يخرج بنتيجة مفادها أن الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد حكومة الثورة لم تتغير ذلك التغير الحقيقي والجوهري كما كان قبل الثورة، مع أن الشعب المصري كان يتوقع الكثير من التغييرات الجذرية التي تنعكس إيجابيا عليه، فخاب ظنه إلى حد ما، وحتى لا نضيع في متاهات أحداث الرواية ودلالاتها الرمزية التي شقت طريقها بين سطور الرواية، لا بد من تحليل لأهم القضايا المطروحة، منها :

أولا : تكشف الرواية دون غموض أو لبس مدى التفكك والخلل الاجتماعي والاقتصادي الذي كان يعيشه كثير من المصريين قبل هزيمة حزيران ١٩٦٧م، مما أوجد تفسخا كبيرا داخل المجتمع المصري، انعكست آثاره على حياة المواطن بشكل حاد، فقد أجبر الفقر بعض الشخصيات على ارتكاب أعمال غير مشروعة، في محاولة لرفع مستواها المادي، فجاد الله السجان أصبح شغله الشاغل، العمل مع عصابة لتزييف العملة، كما أن الفقر دفع انتصار إلى العمل نفسه، وتطور الأمر بها إلى أن أصبحت تبيع جسدها لمن يريد من أفراد العصابة . ولم تكن هذه الأعمال غير المشروعة مقتصرة على المواطن العادي بل شملت أركان النظام نفسه، ومنها انتشار الرشاوى في الجمعيات التعاونية التي تديرها الحكومة، وكانت هذه الجمعيات على صلة وثيقة بالاتحاد الاشتراكي الذي كان يضم عددا من ذوي المناصب المهمة في الدولة (١) .

---

(١) انظر : حكاية جاد الله، ص ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : إن المؤلف تحاشى نقد سياسة حكومة الثورة قبل هزيمة حزيران ١٩٦٧م، ولكن كل الدلائل والإشارات في الرواية توحي بذلك من خلال رصد مواقف الشخصيات وتفاعلها مع الأحداث ،إذ بينت صورا من الفساد السياسي، كعدم نزاهة الانتخابات(١)، وافتقاد البلاد لسياسة ذات ملامح محددة (٢) ،مما جعلها تتخبط في إدارة البلاد داخليا وخارجيا ،ولهذا فإن رواية (حكاية جاد الله) لم تكن رمزية خالصة مثل رواية (ليل العبيد)،ولكنها رمزية جزئية برزت من خلال تداخل وتشابك في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ،مما أعطى صورة واضحة لهذا الوضع السياسي المتدهور ، فالشعارات الاشتراكية المطروحة لم تكن إلا وسيلة لكسب التأييد الشعبي فلم تتحقق في الواقع العملي إلا في النادر، ومطالبة مسؤولي النظام بتحقيق المساواة والعدل في القضايا الاجتماعية والاقتصادية لإبقاء الشعب دون تميز،كانت تتناقض مع واقع هؤلاء المسؤولين الذين كانوا يعيشون في ترف وإسراف كبيرين ، مما جعل مناداتهم بذلك مجرد خطب رنانة لا قيمة لها ،هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أبرزت الرواية مدى التعسف الذي ألحقته المخابرات المصرية بالمواطنين كالاعتقال العشوائي ، حتى أصبح المواطن لا يأمن على نفسه ،فعاش في رعب دائم ،وقد شملت أوامر الاعتقال أعضاء الأحزاب السياسية المختلفة ،من شيوعيين ووفديين وإخوان مسلمين ،وكانت التهمة الموجهة لهؤلاء معارضة الثورة والعمل على الإطاحة بها،بالتعاون مع إسرائيل والدول الإمبريالية والرجعية العربية (٣) ،فغابت مظاهر الحرية،حتى امتد الأمر إلى خطبة الجمعة الدينية ،فصدر أمر حكومي بأن تكون خاضعة لإشراف الدولة (٤)، أما حديث المؤلف عن أوضاع السجون والمعتقلين،فلم يفصل كثيرا في حديثه عنها كما رأينا في روايتي (ليل العبيد) ،و (حكاية جاد الله) .

---

(١) انظر : حكاية جاد الله ،ص ١٤٢ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ،ص ١٣٤ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ،ص ٢٦ - ٢٧ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ،ص ١٥١ - ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : إن مجتمعا بهذه الصفات التي ذكرناها يحمل في داخله بذور الهزيمة والدمار ، فهو مفكك داخليا ، ولا يقوى على الوقوف على قدمين ثابتتين ، فلا بد إذن من أن ينهار ، وكان ذلك بالفعل في هزيمة حزيران ١٩٦٧م ، التي أظهرت مدى الانهيار الذي كان يعاني منه المجتمع المصري في الأصعدة المختلفة فهذه الحرب كانت كالقشة التي قصمت ظهر البعير ، فباتت الحقائق ، وتعرت كل الشعارات الفارغة وسقطت . ولهذا فإن رواية (حكاية جاد الله) نبهت الأذهان إلى أن هزيمة حزيران لم تكن في الحقيقة إلا تعبيرا واضحا عن تآكل المجتمع من الداخل وتفككه ، وهذا هو سر البلاء ، ولتفادي تكرار ذلك لا بد من تغييرات جذرية وشاملة لجميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . إلا أنه لا بد من التنبيه إلى نقطة مهمة ، وهي أن رواية (حكاية جاد الله) لا تضاهي قيمتها رواية (ليل العبيد) ؛ لأنها قدمت تحليلا واقعيا لسبب الهزيمة بعد مضي سبعة عشر عاما ، ولكن رواية (ليل العبيد) استطاعت أن تتنبأ بهذه الهزيمة في فترة مبكرة حين صدرت في بداية الستينات ، ومن هنا تكمن قيمتها .

وإذا كانت الشخصية الروائية تعتبر من أهم عناصر العمل الروائي (٢) ، فإن رواية (حكاية جاد الله) قد اهتمت اهتماما بالغا ودقيقا بإبراز هذا العنصر ، وإحاطته بالعناية الكاملة ، حتى غدا مسيطرا على جو الرواية ، وجاءت الأحداث لتقدم كل جديد ومدهش عن شخصيات هذه الرواية .

وقد انعكس تأثير الفساد الكبير الذي أحاط بالمجتمع المصري قبل هزيمة حزيران ١٩٦٧م على نفسيات الشخصيات ، فبدت في معظمها قلقة ومأزومة تعيش صراعات داخلية وخارجية حادة ، ولعلنا لا نبالغ كثيرا إذا ذهبنا إلى القول بأن شخصيات هذه الرواية ـ خاصة جاد الله ـ من أروع ما قدمته روايات نجيب الكيلاني بشكل عام ،

---

(١) انظر : لين اولتبنير فد وليزلي لويس ، الوجيز في دراسة القصص ، ص١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ أنه قدّم تحليلا عميقا ودقيقا لهذه الشخصيات فلا تكاد تمر صفحة من صفحات الرواية حتى تظهر لنا حقائق جديدة عنها، فقد هشمنا وتبهرنا دون أن تفقد أشياء من واقعيتها ، وقد مهّد المؤلف لها كل الدوافع والمبررات المنطقية لسلوكها العملي دون تناقض والتواء ، فعاشت حياتها بصدق دون تكلف ، مما يدفع بالقارئ إلى متابعة كل تحركات هذه الشخصيات في مواقفها المختلفة فالروائي الماهر " من تغلبت أشخاصه واستولت عليه ، وجعل القارئين والناظرين يعرفونهم ويتعاطفون معهم أو يكرهونهم ،كما لو كانوا ينتمون إلى عالم اللحم والدم ."(١)

ولعل أكثر الشخصيات حيوية كانت شخصية جاد الله ، التي شكلت قطب الرحى في الرواية ،فما من حدث أو موقف إلا وله انعكاس عليها ، فلم تكن جامدة في تعاملها مع الشخصيات والأحداث ،وقد لجأ المؤلف إلى أكثر من أسلوب في عرضه لها ،فتارة كان يعود بنا القهقرى للإحاطة ببعض الذي مرت به هذه الشخصية ،لما لذلك من أثر على واقعها الذي تعيشه ، مما يكشف دوافع سلوكها وتصرفاتها ، كما تعرفنا عليها من خلال الشخصيات الأخرى التي لها صلة وثيقة بها ،ولكن أهم الأساليب التي اتكأ عليها المؤلف في الكشف عنها استخدامه لأسلوبي حديث النفس والتذكر ، فقد وضعنا أمام الشخصية وجها لوجه دون حواجز أو تعليقات من المؤلف مما يشعرنا بصدقها وواقعيتها دون مبالغة .

وإذا كان على المؤلف القصصي أن يغوص في أعماق شخصياته ليكشف لنا الدوافع الحقيقية وراء سلوكها وتصرفاتها (٢) ،فإن نجيباً قد نجح في ذلك نجاحا كبيرا ، فقد استطاع أن يتتبع أفعال جاد الله وتصرفاته من خلال كشفه عن ماضيه المتصل اتصالا وثيقا وقويا بحاضره ، ولم يقف المؤلف عند ذلك ، وإنما أحاط القارئ علما من خلال التحليل العميق بالأهداف الكامنة وراء سلوك جاد الله ، فقد عرفنا

---

(١) أحمد أمين ،النقد الأدبي ،ص ١٢٢ .

(٢) انظر : محمود السمرة ،في النقد الأدبي ،ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن ماضي جاد الله ،أنه كان معدما ماديا إلى درجة كبيرة دفعته للعمل سائسا للخيل عند أحد الأثرياء قبل قيام ثورة ١٩٥٢ ،وتعرض خلال عمله هذا إلى الإذلال والإهانة التي فرضها عليه هذا الثري وزوجته اللذان وصل بهما الحقد إلى كي رأس جاد الله بالنار،عندما ضبطه وهو يقبل حفيدتهما الصغيرة (١) ، كما كشف لنا ماضيه أيضا أن أمه مشبوهة في أخلاقها وسمعتها، وقد ولّد هذا كله لديه الإحساس بالمرارة واليأس والحقد ، فما أن قامت ثورة ١٩٥٢ م حتى وجد ضالته في الثأر والحقد ممن حوله من البشر دون تحديد ،فالتحق بالجيش ،وعين في السجن الحربي ،ولقدرته الكبيرة على انتزاع اعترافات المعتقلين السياسيين من الشيوعيين والوفديين والإخوان المسلمين وأركان النظام البائد (٢) ،فقد منح لقب (وحش السجون المصرية) ،ولما نقل إلى سجن ليمان طره المدني لم تتغير نظرته تجاه السجناء ،إذ كان ينظر اليهم بعين الحقد والكراهية،ويرى فيهم حيوانات يجب التخلص منها ،وكان يبرر كل تصرفاته وأفعاله في تعذيب السجناء بأنه منفذ أمين لأوامر السلطة (٣) ، وأن كثيرا غيره يفعل ذلك ؛ ومع أن خدمات جاد الله للسلطة لا تقدر بثمن،إلا أنه لم يكن يتقاضى راتبا يكافئ جهوده في تحطيم المعارضين للدولة ،ولشعوره أصلا بالحرمان والفقر اندفع بلا وعي إلى العمل مع عصابة لتزييف العملة،فدر عليه ذلك مبالغ طائلة،فانهمك في شراء الأراضي والأثاث القيم لمنزله ، دون أن يشعر بأي ارتباك أو خوف من أن يكشف أمره ،فنراه يقول لصاحبه حسنين ، الذي نصحه بضرورة الابتعاد عن هذه الأعمال المشبوهة :" لم أنط بالذات ؟ الملايين تجرى أنهارا . . وناطحات السحاب تعانق النجوم . . والسيارات التي طولها ستة أمتار تزحم الشوارع . . وهناك آلاف القصور والفيلات أفخم من قصور صاحب الجلالة . . ثم لا تثور الشكوك إلا حول المسكين . . العريان . . جاد الله "(٤)

واضافة إلى عمله في تزييف العملة ، وممارسته للجنس مع إحدى اعضاء العصابة وهي انتصار ومعاقرته الخمر معها ، فإنه كان يأخذ الرشاوى من المعتقلين للتخفيف

---

(١) انظر: حكاية جاد الله ،ص ٩٣.
(٢) انظر : المصدر نفسه ،ص ٢٦ - ٢٧ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ،ص ٢٧ - ٣٠ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ،ص ١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من عذابهم ، كما كان يهرب المخدرات لبعض السجناء ، مقابل مبلغ من المال (١)، وقد علل لجوءه إلى هذه الوسائل غير المشروعة بأن راتبه لا يكفي لسد حاجاته الضرورية ، كما أن كثيرا من الوزراء والموظفين يفعلون الشيء نفسه (٢) .

وبعد أن ازداد نهم جاد الله وطمعه في امتلاك الأموال الطائلة في أقصر مدة ممكنة ليعوض حياة الفقر والنكد التي عاشها ، فقد أغرق السوق بكميات هائلة من العملة المزيفة ، فأثار ذلك شكوك رجال الجمارك ، الذين استطاعوا أخيرا إلقاء القبض عليه متلبسا بهذه الجريمة ، وأودعوه السجن ذليلا لا يقدر على شيء ، ثم انتهى الأمر به إلى الانتحار ، بعد أن كشفت أسراره وخفاياه أمام الجميع ، وقد توافقت عملية انتحاره مع الوقت الذي هزم فيه الجيش المصري سنة ١٩٦٧م ، والمؤلف في اختياره لهذا الوقت بالذات لإنهاء حياة جاد الله ، كان يرمي إلى التأكيد على أن هزيمة هذا المواطن المصري وتمزقه وانهياره سيؤدي حتما دون شك إلى انهيار سريع وحاد على صعيد المجتمع ككل في شؤونه المختلفة ، خاصة السياسية منها والتي لها تأثيرات مباشرة وقوية على القضايا الاجتماعية والفكرية والاقتصادية . ولهذا كانت هزيمة حزيران ١٩٦٧ نتيجة منطقية وواقعية لكل هذه السلبيات على الساحة المصرية .

ويمكن القول في نهاية الحديث عن شخصية جاد الله ، إن المؤلف وفق بشكل كبير في تصويره له وتتبعه لمواقفه المختلفة ، دون تدخل منه أو اقحام لآرائه وأفكاره ، إذ نحى نفسه جانبا ليتيح له حرية التعبير عما يجيش في صدره ، وليكشف عن جوهر وسماته من خلال تصرفاته وأحاديثه ، فبدا لنا ناميا ومتطورا يفاجئنا بتصرفاته التي اتصفت بالواقعية والصدق ، إذ أن محك هذه الشخصية الثانية المتطورة يكمن في قدرتها الدائمة على مفاجأتنا ، وإدهاشنا بطريقة واقعية ومقنعة بعيدة عن الافتعال (٣)

وهذا ما لمحناه في تصوير المؤلف لجاد الله على مدار صفحات الرواية .

---

(١) انظر : حكاية جاد الله ، ص٣٠ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص٤٧ .
(٣) انظر: أ.م فورستر ، أركان القصة ، ص٩٥ ، وانظر أيضا : محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولتثبيت صورة شخصيات الرواية في مواقفها المتناقضة تناقضا حادا ، لجأ المؤلف إلى المقابلة بينها ، إذ نجد على النقيض من جاد الله القلق والمأزوم ، شخصية حسنين الواثق من نفسه ، الذي عاش واقعه دون انحراف ، محاولا إقامة نوع من التوازن بين حياته ، المادية والروحية ، فعاش بعيدا عن عوامل القلق والاضطراب ، مطمئنا إلى قدرته على تخطي المشكلات التي انصبت عليه من رجال المخابرات ، الذين اتهموه بأنه مناوئ لحكومة الثورة ، ولما لم تثبت إدانته ، واصل استماعه للدروس الدينية من الشيخ البحيري ، التي كانت تحمل في طياتها نقدا لاذعا وشديدا للسلطة وأساليبها الإرهابية .

ج ـ محور القضية الفلسطينية :

لم يعن نجيبا اهتمامه بالقضايا السياسية المختلفة التي عاشتها مصر من أن تمتد به الآفاق بشكل أرحب وأوسع ، فطرح موضوع القضية الفلسطينية ، متخلصا بذلك من التقوقع والانكماش اللذين وقع بهما بعض الروائيين المصريين المعروفين ، كنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوي ويوسف إدريس وغيرهم . وقد صدرت لنجيب الكيلاني في هذا المجال روايتان وهما : (أرض الأنبياء) ، و (عمر يظهر في القدس) .

أما رواية (أرض الأنبياء) ، فقد عرضت بعض وجوه المأساة الفلسطينية ، والمقاومة الشديدة التي قادها بعض الفدائيين في مواجهة العدو ، كما أبرزت تواطؤ الإنجليز مع اليهود ، والضعف الشديد الذي أصاب الأنظمة العربية ، حتى عجزت عن التصدي للعدو ، الذي كان يبتلع الأراضي الفلسطينية شيئا فشيئا ، وهي تنظر إليه دون أن تقوى على فعل شيء يغير من مجرى الأحداث . وإن نجحت الرواية في إلقاء الأضواء على هذه النواحي السابقة الذكر ، فإنها لم تخل من بعض العيوب في الشكل والمضمون ، إذ أن وقع الأحداث ، وضخامة المأساة ، وانفعال الكاتب ، ومعالجة للموضوع معالجة عاطفية ، قد أوقعه في الخطابية والمباشرة ، والنقد المباشر ، وابتعد عن دقة المعلومات التاريخية والجغرافية ، لعدم التصاقه المباشر بالقضية وقربه منها ، ويمكن حصر هذه العيوب في النقاط الرئيسية التالية :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ. الأحداث : أخفق المؤلف في محاولته أن يجعل أحداث رواية (أرض الأنبياء) متماسكة مترابطة ، وذلك في اعتماده كثيرا على الصدف ، لعجزه عن الربط الفني الدقيق لمجرى الأحداث ، لتبدو طبيعية ومعقولة . ومن ذلك ، أن نجلاء التي هربت من معتقلها في حيفا ، التقت صدفة مع المجموعة الفدائية في صور باهر بالقرب من القدس ، وكان أحد اعضائها جارا لها في حيفا ، فلم يرض المؤلف لها أن تهاجر إلى أي منطقة قريبة من حيفا ، وأصر أن تتطوع المسافة الطويلة بين حيفا والقدس لتلتقي بهذه المجموعة الفدائية ، وتشارك بالقتال ضد اليهود ، ثم اتبع المؤلف ذلك بصدفة أخرى مفتعلة ، عندما جعل نجلاء أيضا تقابل في نهاية الأحداث الجندي اليهودي الذي اغتصبها في حيفا عند سقوطها ، إذ أن المؤلف لم يعجبه أن يقع هذا الجندي أسيرا إلا بيد هذه المجموعة ، ليبين لنا الأخلاق الحميدة التي اتصفت بها ، عندما رفضت قتل هذا الجندي لما اقترفه من جرائم كثيرة بحق الأبرياء من سكان حيفا ، وقد شكلت هاتان الصدفتان وغيرهما خطوطا مهمة في سير أحداث الرواية منذ البداية وحتى النهاية ، ولو لم يؤت بهما لاتخذت هذه الأحداث مسارا آخر غير الذي رأيناه .

إن الأديب قد يستعين في أحيان ـ نادرة جدا ـ بالمصادفة لإمكانية وقوعها في الحياة ، إلا أن أكثر من باحث (١) قد نبه إلى ضرورة الابتعاد عن افتعال المصادفات في الرواية لربط أجزائها المختلفة ، لما في ذلك من خروج عن المعقول وفقدان الأحداث صدقها وعفويتها ، نتيجة تحكم المؤلف في سير أحداث روايته إذ أننا " نطالب كاتب القصة بأن يترك في نفوسنا بقصته أثرا نحس معه واقعية الحياة . . . " (٢) .

وبدت بعض أحداث الرواية الجانبية كتورمات زائدة ، كان على المؤلف أن يتخلص منها ، لأنها سببت للرواية ترهلا وتضخما دون حاجة مبررة ، مما جعل سير الأحداث مشوها ومضطربا ، ومن ذلك حكاية علاج ضحى لأحد الأطفال في أحد مخيمات اللاجئين (٣)

---

(١) انظر : محمود السمرة ، في النقد الأدبي ، ص ١٨ ، ومحمد نجم ، فن القصة ، ص ٤٩ ، ٧٤ ـ ٧٥ ، ومحمد زغلول سلام ، دراسات في القصة العربية الحديثة منشأة المعارف ، ١٩٧٩ ، ص ١٢ .

(٢) محمد زغلول سلام ، المرجع نفسه ، ص ١٢ .

(٣) انظر : أرض الانبياء ، ص ١٥٣ ـ ١٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تظهر فيها وكأنها طبيعية ذات خبرة طويلة وليست ممرضة ، وهي التي لم تتعلم هذه المهنة إلا في فترة وجيزة جدا وعلى عجل ،ولعل ثقافة نجيب الطبية قد فرضت نفسها في تصويره لهذه الشخصية ، فظهرت على أنها مقحمة عليها إقحاما ،ومنهـا أينما الشجار الذي حدث بين طفلين ،وتطور الى نزاع بين أسرتين لأسباب تافهـة (١) ، ولا ندري ماذا أراد نجيب الكيلاني من هذه الحكاية التي لم تضف شيئا جديدا ؟!

ونتيجة لحماسة المؤلف للموضوع الذي يعالجه ،ولسيطرة النزعة العاطفية عليه ، فإن بعض المبالغات قد سيطرت على بعض الأحداث ،مما أفقدها الصدق والموضوعيـة ، ومن ذلك هروب نجلاء من المعتقل في حيفا ،إذ قامت دون مساعدة أحد بقتل الحارس بحجر ،ثم أخذت سلاحه ،وتجولت في حيفا ،التي كانت تغص باليهود ،ثم واصلت سيرها حتى وصلت منطقة القدس دون أن يعترضها أحد (٢) ،وكأنها انتقلت عبر الفضاء ، ولم تسر على الأرض أبدا . ومن ذلك أيضا ،أن المجموعة الفدائية التي كانت تتكون من سبعة أشخاص ،قد استطاعت أن تحتل موقعا مهما لليهود دون صعوبة كبيرة ، ووجدت فيـه خمسة من اليهود فقط ،مع أن هذا الموقع ، كان يشرف على عدة طرق مهمة للمواصـلات إضافة إلى كونه مركزا للتموين (٣) ،وهذا يعني ـ منطقيا ـ أن يكون لليهود فيه تواجـد كثيف وقوي لحمايته .

كما أبرزت أحداث الرواية ومواقف الشخصيات تعصبا شديدا لدور المصريين فـي مواجهة اليهود سنة ١٩٤٨م ،حتى أن القارئ العادي يخرج بانطباع عام ،بأن المصريين هم القوة الوحيدة المحركة للأحداث في حرب فلسطين ،ولا ندري كيف باعت فلسطيـن إذا كان دور المصريين يمتاز بهذا التفوق والدقة في التصدي للأحداث!ويظهر هـذا هذا التعصب للدور المصري في عدة أمور، منها :

أولا : أوكل المؤلف قيادة المجموعة الفدائية لأحد المصريين ،إضافة إلى عنصر آخر ،وهو صلاح بدران ،الطالب في كلية الآداب الذي أظهر براعة في القتال في مواجهـة العـدو .

---

(١) انظر : أرض الأنبياء ، ٢٢٣ ـ ٢٣٠ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ،ص٤٦ - ٤٧ ، ٨١ - ٨٢ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ،ص١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : اقترح أحد أفراد هذه المجموعة وهو خميس ، على بعض اللاجئين أن يرحلوا عن القدس ؛ لكونهم قد سببوا مضايقات للسكان ، ولم يذكر دولة عربية بالتحديد ليرحلوا إليها إلا مصر (١) ؛ لإنهم سيجدون الرعاية والعمل فيها ، وكأن مصر تقع على بعد خطوات قليلة من القدس ، وفيها من فرص العمل الشيء الكثير !!.

ثالثا : دعا أحد الأطباء الذي كان يعالج جرحى الحرب في فلسطين إلى ضرورة نقل المصابين بجروح خطيرة إلى مستشفى القاهرة العسكري (٢) ، وكأن هؤلاء سيتمكنون من الوصول إليه سالمين لبعد المسافة ، وقد كشف المؤلف ميله الشديد في تمجيد المصريين بصراحة ووضوح ، عندما قال صلاح بدران المصري لنجلاء الفلسطينية عندما طلب منها الزواج : " ومن القاهرة يا حبيبتي ستنطلق الثورة .. وترفع شعارات الحرية والخلاص والوحدة ، ومنها ستزحف الجنود .. " (٣)

ب ـ ولأن نجيب الكيلاني تخطى حدود تجربته في عرضه لأحداث روايته (أرض الانبياء) ، فقد وقع في أخطاء فاحشة في تتبعه ووصفه لبيئة الأحداث ، فأظهر ذلك مدى ضحالة معلوماته الجغرافية عن هذه البيئة ، ومن ذلك نصيحة خميس لإسماعيل بعدم السير على الطريق الرئيسي الساحلي عند خروجه من حيفا ، لسيطرة اليهود عليه ، واقترح عليه بأن يشق طريقه عبر الصحراء (٤) ، ولا ندري أي صحراء يقصدها المؤلف بالقرب من حيفا ، التي تقع ضمن منطقة ساحلية خصبة ؟ وكذلك زعم المؤلف بأن قرية صور باهر التي تقع بالقرب من القدس هي منطقة صحراوية (٥) ، والواقع أن هذا تصور غريب من المؤلف لا نعرف كيف اهتدى إليه ؟ ولهذا فإن تخبط المؤلف في وصفه لهذه البيئة قد أفقد الرواية : الصدق والأمانة في محاولته

---

(١) انظر : أرض الأنبياء ، ص ٥٦ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٦ .
(٥) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقل تجربته . وقد نبّه أكثر من دارس إلى خطورة إقدام الأديب على الحديث عن أشياء يجهلها ، ويعجز عن الإحاطة بها إحاطة دقيقة وشاملة (١) .

كما وقع المؤلف أيضا في غلط تاريخي عندما أخبرنا أن قائد المجموعة الفدائية شارك في معارك القناة ضد الإنجليز ، وفيها أتقن حرب العصابات ، ولهذا قاد العمليات العسكرية ضد اليهود سنة ١٩٤٨م ، علما بأن القتال في القناة كان سنة ١٩٥١م (٢) ولا نعلم كيف وقع المؤلف في هذه المغالطة الكبيرة ، مع أنه كان معاصرا لهذه الأحداث ، بل وأكثر من ذلك تدربه على السلاح في الجامعة استعدادا للمشاركة في هذه الحرب .

ج ـ إضافة إلى كل ما سبق من ثغرات وعيوب ، فإن العيب الأكبر الذي وقعت فيه رواية (أرض الانبياء) ، هو تلك التقارير السياسية التي بثها حتى أصبحت منبرا لهذه التقارير الصريحة في عباراتها ، فسيطر عليها جو الدعاية السياسية المباشرة والنبرة الخطابية الحادة ، فبدا كل ذلك مزعجا ومنفرا إلى حد بعيد ، مما أضعف من تأثيرها على وجدان القارئ ومشاعره . فقد هاجم المؤلف بعض الأنظمة العربية بعنف (٣) ، وانتقد أيضا موقف الدول الغربية من القضية الفلسطينية (٤) ، ثم صب جام غضبه على اليهود وتصرفاتهم بأسلوب حماسي مفضوح ، إذ يقول : " ومع الصباح فاحت رائحة الغدر ، وتطاول الأقزام ، واستأسد الذئاب . . . " (٥) ولعل

---

(١) انظر : محمود السمرة في النقد الأدبي ، ص ١٩ ، وعز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه ، ص ١٤٥ ، ومحمد يوسف نجم ، **فن القصة** ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) انظر : صلاح الدين البستاني ، معركة القنال كما شاهدتها ، (١٩٥١ - ١٩٥٢م) مكتبة العرب ، ط ١ ، ١٩٥٦ ، ص ١٨ - ٤١ ، وحسن دوح ، كفاح الشباب الجامعي على القناة ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٨ ومحمود حلمي ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٩٧٠ ، ص ١٥٨ - ١٦٥ .

(٣) انظر : أرض الأنبياء ، ص ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ .

(٥) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٩ ، وانظر : ص ٦٠ - ٦٣ ، ١٥٩ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الأسلوب في التعامل مع الرواية السياسية من أخطر المزالق والعيوب التي تتعرض لها ، وقد تطيح بها مشكلات ومضمونا ، فتفقد تأثيرها إذ أن " التعامل مع السياسة في العمل الروائي مسألة ليست سهلة ، ونحن نرى بعض الروائيين وقد دفع بهم حماسهم لفكرهم السياسي أو للاحزاب التي ينتمون اليها أن يجعلوا من أعمالهم مجرد شعارات لا تمتلك القدرة على النفاذ إلى العقل والقلب أو على البقاء والتجدد ."(١)

ونتيجة لاهتمام نجيب الكيلاني بإبراز سلسلة الأحداث العسكرية والسياسية على الساحة الفلسطينية سنة ١٩٤٨م، فإن ملامح شخصيات رواية (أرض الأنبياء) كانت غير محددة بدقة ، ولا نبالغ إذا قلنا إنها تتشابه جميعا في معظم صفاتها ، فهي شخصيات لا تتمتع بالتفرد والتميز ، وأما تغيراتها على مدار صفحات الرواية فلم تكن ذات شأن كبير، إذ احتفظت بسماتها وصفاتها منذ البداية . وإذا كان القاص الناجح " هو الذى يجعل شخصيته خالدة لا تنسى ، بل تظل حية في الأذهان مهما طال عليها الزمن ."(٢) فإن هذه الرواية أخفقت في إبراز هذه الشخصية ؛ لأنها عجزت أصلا عن تقديم أي شخصية من شخصياتها ، إذ بدت لنا جميعها وكأنها نسخ مكررة بعضها عن بعض ، فلم تتميز بتفرد أو خصوصية .

وإذا كان على الروائي أن يقنعنا بصدق الحوار الذي يديره بين شخصيات روايته، بأن يكون مناسبا لمستواها الاجتماعي والثقافي ، فإن نجيبا لم يتقيد بذلك في بعض المواضع، لمحاولته إسقاط بعض آرائه السياسية على القضية الفلسطينية ، ومن ذلك حوار خميس مع ضحى الذي دار حول الحرب والسلم والحرية والاستقلال ، فقد أبلغها خميس بأنه سيترك السلاح عندما تعود فلسطين عربية ، فترد عليه ضحى قائلة : " لو تحقق حلمك ، فلن يكون على هذه الصورة المغرقة في المثالية ، ستجد نفسك مضطرا لأن تحمل السلاح حفاظا على ما نلته من نصر ، أجل .. لا بد من

---

(١) عبد الرحمن مجيد الربيعي ، أصوات وخطوات ، مقالات في القصة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص ٢٢ .

(٢) عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن تحمي حريتك واستقلالك ومستقبل أجيالك . . ." (١) مع أن ضحى هذه لم تكن تتمتع إلا بمستوى ثقافي متواضع جدا ، فحمّلها المؤلف من أفكاره مالا تطيق حمله؛ وذلك للتبشير بأفكاره بطريقة دعائية مباشرة،بطريقة تجعل من المشكوك فيه أن يصدق القارىء أن ذلك صادر عن هذه الشخصية .

وأشار دارسان إلى هذه الرواية إشارات عابرة ،فقد وصفها صبري حافظ في معرض تحليله لبعض الروايات التي عالجت القضية الفلسطينية ـ فقال عنها : " وقعت في متاهات المباشرة والمعالجة الجلدية والتسطح الأجوف . "(٢) أما صالح أبو إصبع فقد أشار إليها في حديثه عن الرواية التقليدية التي عرضت للمأساة الفلسطينية (٣) دون أن يتعرض لها بالتحليل الفني .

ويمكن القول في ختام الحديث عن رواية (أرض الأنبياء) بأنها افتقدت العمق والتحليل الدقيق لأحداث القضية الفلسطينية ،فبدت متناقضة ومبالغا فيها ، مع سيادة الشعارات والمقالات السياسية عليها . ولا أبالغ إذا قلت إن هذه الرواية من أضعف روايات نجيب الكيلاني السياسية في أدائها الفني والموضوعي لهذه القضية المهمة .

ولئن كانت رواية (أرض الأنبياء) قد طرحت موضوع القضية الفلسطينية من منطلق عاطفي حماسي ،انعكس سلبا على الرواية في شخوصها وأحداثها ، فبدت الرواية مفككة وضعيفة في كثير من النواحي ،فإن رواية (عمر يظهر في القدس) التي تناولت الموضوع نفسه قد استطاعت إلى حد ما التخلص من أكثر السلبيات التي وقعت فيها رواية (أرض الأنبياء) .

---

(١) أرض الأنبياء ،ص ١٧١ - ١٧٢ .
(٢) انظر : نكبة فلسطين في الرواية العربية المعاصرة ، مجلة الآداب ، السنة ٢٢ ، العدد ٤ ،نيسان ،١٩٦٤م ،ص ٢٤ - ٢٥ .
(٣) انظر : فلسطين في الرواية العربية ،ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طرحت الرواية التصور الإسلامي للمشكلة الفلسطينية من خلال تشريحها للعوامل المختلفة التي أدت الى نكبة حزيران ١٩٦٧م ،التي جعلت اليأس والضياع يسيطران على كثير من الناس ،فأخذوا يتخبطون يمينا وشمالا،لا يدرون سبل النجاة من هذه الكارثة ،فحاولت الرواية أن تضع يدها على الأسباب الحقيقية الكامنة التي قادت إلى الهزيمة،في محاولة منها لاستشراف عوامل التغيير لواقع أفضل ،تتمكن فيه الأمة من تجميع صفوفها لاستعادة فلسطين السليبة ، وغيرها من الأراضي العربية .

وللتعبير عن قضايا الرواية المختلفة ،خلق المؤلف في جو خيالي باستحضاره شخصية إسلامية تاريخية ،لها من الشهرة وذيوع الصيت الشيء الكثير ،وهي شخصية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -فقد ظهرت هذه الشخصية فجأة في مدينة القدس بعد سقوطها سنة ١٩٦٧م . وربما كان لاختيار المؤلف لهذه الشخصية بالذات لتظهر في هذه المدينة المقدسة أكثر من سبب وجيه ، لعل من أهمها ،ذلك الارتباط التاريخي المعروف بين عمر بن الخطاب والقدس ،إذ تسلم بنفسه مفاتيح المدينة من صفرونيوس ،كما عرف عن هذه الشخصية الحزم والشدة في التعامل مع أعداء الأمة الاسلامية ،وبالرحمة واللين مع أبنائها ،فكان لها حضور مميز ومهم في نفوس المسلمين ،قلما حازته شخصية إسلامية أخرى بعد الرسول - عليه السلام - .

إن أهم مابحثته الرواية هو مدى الانعكاسات التي ظهرت عند ظهور عمر بن الخطاب في القدس في الوسطين اليهودي والعربي الإسلامي على السواء ، وقد شكلت هذه الانعكاسات المحور الأساسي في الرواية ،ومن خلالها تعرفنا على كثير من القضايا الحيوية السياسية والفكرية والدينية والأخلاقية السائدة في تلك الفترة التي أعقبت هزيمة حزيران ١٩٦٧م . ونستطيع أن نتبين أهم هذه الانعكاسات في النقاط التالية :

أ- لقد أحدث ظهور عمر المفاجيء في القدس دويا هائلا في المجتمع اليهودي ، فاختلفت الآراء حول ظهوره ،فالمخابرات الاسرائيلية رأت أن الهزيمة أفقدت العرب أعصابهم،وجعلتهم يحلقون في الخيال من خلال العودة إلى التاريخ الماضي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يهيمون فيه ،ومن هؤلاء العرب خرج رجل يزعم أنه عمر بن الخطاب (١) ، وهذا هو سر الحكاية ، ومع ذلك اتخذت اجراءات احتياطية لمراقبة تحركاته فعينت اليهودية راشيل لهذه المهمة ،فكانت في بداية لقاءاتها مع عمر توجه إليه تهم الجهل والرجعية والتعصب ،إلا أن عمر استطاع بمرور الزمن أن يؤثر في أفكارها وتصرفاتها ،لتتحول إلى التجاوب مع تصوراته المختلفة حول القضايا الاجتماعية والدينية والأخلاقية ،وتطور الأمر حين أصبحت داعية لمبادئه في الوسط اليهودي مما سبب إرباكا وقلقا شديدين لدى السلطات ،فلجأت هذه السلطات - بعد تفاقم خطر عمر - إلى أساليب كثيرة لتحطيمه والقضاء عليه . ومن ذلك محاولة تشويه سمعته الأخلاقية باتهامه بأن له علاقة غرامية مع راشيل ،ولما فشلت هذه المحاولة ،لجأت الصحافة اليهودية - بأمر من المخابرات - إلى وسيلة أخرى فادعت بأنه عميل للصهيونية (١) ،ويشجب العمل الفدائي بشدة (٢) ،ولما أخفقت هذه المحاولات أيضا ،اتبعت السلطات الاسرائيلية آخر الوسائل في جعبتها ، فقام أحد اليهود المتعصبين بمحاولة لاغتياله واغتيال راشيل معه . ولعل المؤلف يريد من كل ذلك إثبات أن الرجل المسلم الملتزم قد ينجح في تغيير أفكار من حوله ، حتى لو كانوا من ألد أعداء الإسلام ،وهذا يعني ضرورة الثبات على الحق ،واتباع كل الوسائل المتاحة لنشر المبادئ الإسلامية على الرغم من جميع الصعوبات والعراقيل المبثوثة في الطريق .

ب - أما الانعكاسات المترتبة على ظهور عمر في المدينة المقدسة فكانت متباينة ومتناقضة بين التكذيب والتصديق ،ويمكن حصر هذه الانعكاسات فيما يلي :

١ - بعضهم رأى في ظهور عمر خدعة وخرافة ،وعلى رأس هؤلاء الدكتور وهيب عبدالله ،الذي اتهم عمر بأنه رجل أغرق في الصوفية وفي حب عمر ، فتقمص شخصيته ،

---

(١) انظر : عمر يظهر في القدس ،ص ٦٥ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ،ص ١٦٧ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ،ص ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما رأى ازدياد إعجاب الناس بالأفكار التي يطرحها عمر ، بدأ يغير من نظرته عنه بما يتفق وفكره اليساري ، فزعم أن عمر يعتبر أحد عمالقة اليسار الإسلامي ، ورفيق أبي ذر الغفاري في نصرة الضعفاء والكادحين ضد البرجوازية العربية الإسلامية (١) ، ولما تكررت حواراته مع عمر حول القضايا المختلفة ، غيّر أفكاره ليعلن إيمانه الكامل بما يحمله عمر بن الخطاب من أفكار ومبادىء إسلامية .

٢ـ ومن الناس من آمن بوجود عمر وبالأفكار التي يحملها من أول لحظة ، فوقف يدافع عنه بقوة أمام المنكرين لوجوده ، وكان الدكتور عبد الوهاب السمداوي ممثلا لهؤلاء الناس ، وهذا يعني بوضوح أن الدكتور عبد الوهاب قد مثل الإنسان المسلم الملتزم التزاما ثابتا وحقيقيا بمبادىء الإسلام ، لأنه كان يؤمن أن هذه المبادىء حية وثابتة في نفوس المسلمين مهما تغيرت الأزمنة ، فكون عمر بن الخطاب قد توفي ، فإن أفكاره وتصوراته المختلفة ما زالت موجودة حتى الآن (٢) .

٣ـ إن بعض المسلمين قد فتن بما أحرزه العلم المادي من تقدم واسع على مختلف الأصعدة ، وظنوا أنهم ملكوا كل شيء ، ولم يؤمنوا إلا بما جاء به العلم المادي ، فانكروا وجود عمر وما يدعو إليه ، ظنا منهم أن ذلك قد عفا عليه الزمن ، ومن المستحيل إعادته ، ومثل هؤلاء الدكتور محمود عناني (٣) ، وهذا يعني أن شريحة من شرائح المجتمع العربي الإسلامي متشككة ، وقد تكون رافضة لإمكانية وجود الأفكار الإسلامية في الساحة ، إيمانا منها أن العلم هو الحل الوحيد لحل مشكلات الأمة ، بغض النظر عن طبيعة الأفكار السياسية والدينية الموجودة في المجتمع ، ولهذا فإن هذه الشخصية لم تكن محددة المعالم بالشكل الكافي ، إذ لم يكن لها تصور سياسي أو فكري محدد .

٤ـ أما موقف علماء الدين الرسميين ، فقد كان سلبيا إلى حد كبير في أفكارهم لفكرة ظهور عمر من جديد ، وهذا يعني رفضهم الشديد لكل ما يحمله عمر في جعبته

---

(١) انظر : عمر يظهر في القدس ، ص ١١٢ - ١١٣ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٠٦ ، ١١٣ .
(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من وسائل لتفسير الواقع السياسي للأمة العربية والإسلامية لمواجهة العدو اليهودي، فرضوا أن يكونوا في آخر الركب وفي ذيل القافلة ، وجعلوا من أنفسهم خدما للحكام والسلاطين ، يصدرون لهم - الفتاوى الجاهزة - ، ولو كان ذلك على حساب دينهم ومصالح أمتهم ، فحكموا على أنفسهم بالذل والخسران المبين ، وقد اتفقت آراء هؤلاء النفر من العلماء مع آراء اليهود ، حين رأوا أن ظهور عمر مجرد خزعبلات لا قيمة لها ، وهؤلاء - في الحقيقة - من أكثر الناس تثبيطا للعزائم وتحطيما للنفوس ، وهم أشد خطرا على المسلمين من الأعداء أنفسهم ، إذ ركنوا إلى بعض الآيات والأحاديث التي حفظوها ، فعاشوا بعيدا عن واقع المسلمين وقضاياهم المصيرية ، وكأنهم في برج عاجي ، مدّعين أن السياسة شيء ، والدين شيء آخر ، وأنهم يخافون على مستقبلهم ووظائفهم ، فلا بد لهم إذن من مسايرة الحكام ، والسير تحت مظلتهم (١) ، فأورثوا قومهم دار البوار .

وعندما واجه عمر هذه النماذج السلبية للإنسان المسلم ، أدرك فورا أن سبب الهزائم والنكبات التي حلّت بالأمة لم تكن في كثرة العدو ، وقوة عتاده وسلاحه ، وإنما تكمن في نفسيات المسلمين أنفسهم ، فقد أصبح الدين عندهم مجرد عبادات جامدة ، وشعارات ترفع ، دون أن يكون لها رصيد من الواقع ، إضافة الى سيطرة الخوف والهلع على نفوسهم ، فأصبحوا مجرد دمى بأيدي حكامهم ، لا يقدرون على عمل شيء . وفي حوار عمر مع مرافقه الفدائي يظهر ذلك جليا إذ يقول عمر له :

" انحراف الراعي من صنع الرعية . . "

" الرعية لا حول لها ولا قوة . . "

" عجيب . . إنه بدونها لا يساوي شيئا ما ولن يحقق نصرا "

" الرعية يا أمير المؤمنين تؤمر وتطيع " (٢)

" والحاكم ؟؟ أهو من طينة أخرى غير طينة الناس . . "

---

(١) انظر : أمثال هؤلاء : عمر يظهر في القدس ، ص ١١١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان ظهور عمر بن الخطاب في القدس بمبادئه وتصوراته الإسلامية كان محاكمة صريحة وعنيفة لكل عوامل الهزيمة التي حلت بهذه الأمة، وعلى رأس هذه العوامل تخاذل الحكام، وفساد العلماء، وتخبط المفكرين، فقد قادت هذه العوامل الأمة إلى الحضيض، فليس عجيبا إذن أن تتمرغ في الوحل حتى الذقون، وهذا ما اطلع عليه عمر وشاهده عن قرب، فولد لديه الإحساس بالمرارة والأسى من هذه الأوضاع الشاذة التي تعيشها الأمة. ولكن هل سيطر اليأس عليه؟ لا نظن ذلك فحينما سمع انفجارا يدمر أحد المراكز اليهودية في القدس استبشر خيرا، وبدت الفرحة على وجهه، ورأى أن الأمل معقود على الكفاح المسلح الذي يقوده الفدائيون فيقول لمرافقه: "هم بقية الخير في دنياكم.. قد يكون هؤلاء المسلمون الذين لم أجد لهم ريحا في الشوارع والمساجد" (١).

وإضافة إلى الانعكاسات التي أحدثها ظهور عمر المفاجئ في القدس، فإن الرواية رصدت كثيرا من المواقف السياسية **المهمة** التي جاء بها، من أهمها أن الحل السلمي مع اليهود مرفوض على الإطلاق، مهما كانت مبررات المستسلمين المتخاذلين، وقد برز ذلك بجلاء في مقابلة صحفية أجريت مع عمر(٢). أما الحل الوحيد لحسم الصراع مع هؤلاء اليهود، فهو القتال المستمر الذي لا هوادة فيه، وقد ظهر هذا الموقف من عمر في أكثر من صورة، فمرافقه أولا، منتم لإحدى المنظمات الفدائية، وثانيا، استبشاره خيرا بما يقوم به الفدائيون من عمليات عسكرية ضد العدو، وثالثا، في اختفائه عن الأنظار في نهاية الرواية ولجوئه إلى أحد معسكرات الفدائيين خارج الأرض المحتلة، فلم يكن ذلك إلا رمزا واضحا لطبيعة الحل الذي يؤمن به عمر بن الخطاب لانهاء الصراع مع اليهود.

فاستحضار نجيب الكيلاني لشخصية عمر بن الخطاب في هذه الفترة العصيبة التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية لم يكن إلا تجسيدا حيا للفكرة الإسلامية

---

(١) عمر يظهر في القدس، ص ٤٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه ص ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنواحيها المختلفة ، وعلى رأسها الناحية السياسية ،لما لها من تأثيرات مباشرة وقوية في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ،والمؤلف يريد أن يقول : إن الحل السليم والجذري للقضية الفلسطينية ينبع من اختيار الأمة الإسلام منهجا وسبيلا ، ففيه تكمن عوامل المنعة والقوة ،وبه تكون الغلبة والنصر .

سؤال مهم ونضروري يمكن أن يطرح حول رواية (عمر يظهر في القدس) ، هو هل استطاع المؤلف في روايته هذه أن يطرح تصوره الإسلامي لحل القضية الفلسطينية من خلال الحركة الطبيعية للشخصيات في تفاعلها مع الأحداث ؟ أم أنه أقحم نفسه في الرواية للتبشير بآرائه وأفكاره ،فجاءت الشخصيات لا تعبر عن واقعها بقدر ما كانت انعكاسا مباشرا لشخصية المؤلف وفكره ؟

إن المتتبع لمواقف الرواية يلاحظ أن المؤلف قد تحكم وتجبر في خط سير بعض أحداث الرواية ومواقف شخصياتها لتخدم غرضا مسبقا لديه ، ولعل مقابلة عمر بن الخطاب لراشيل اليهودية ،ودخوله المستشفى ليتلقى بشخصيات ذات اتجاهات فكرية متباينة ،من أوضح الأدلة على ذلك . فمن خلال مقابلة عمر لراشيل تعرفنا على كثير من القضايا الاجتماعية والأخلاقية لليهود التي تختلف وتتناقض مع ما يطرحه الإسلام من تصورات حول هذه القضايا . كما أن كثيرا من المواقف الروائية التي عرضت لقاءات راشيل مع عمر يبدو عليها التكلف والافتعال ،وكثير منها استند استنادا كبيرا إلى الصدفة والمبالغة . أما دخول عمر المستشفى للمعالجة والتقاؤه صدفة بكل من الأطباء محمود العناني ،ووهيب عبد الله،وعبد الوهاب السعداوي ، وهم على اختلاف حاد في نظرتهم للقضايا الدينية والاجتماعية والاقتصادية ،فمحمود عناني أقرب إلى الفكر العلماني ،بينما يعتنق كل من وهيب الفكر الماركسي،وعبد الوهاب الفكر الإسلامي ،فمرد هذا اللقاء المفتعل من جانب المؤلف كان ليبرز من خلاله مقارنة الأفكار الاسلامية بالأفكار العلمانية الغربية والماركسية ،ليخرج بنتيجة مفادها أن الاسلام هو العقيدة الوحيدة التي تتضمن تصورا شاملا للإنسان والحياة ، وأنه الحل الوحيد والحاسم لحل المشكلة الفلسطينية ، ولهذا لا أبالغ إذا قلت إن هذه الشخصيات في أفكارها ومواقفها تجاه الأحداث كانت تنبثق وتعبر عن رؤية الكاتب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسية والفكرية ، والمؤلف لم يأت بهذه الشخصيات إلا لإلقاء مزيد من الأضواء على شخصية عمر بما تحمله من تصورات إسلامية في نظرتها للأمور المختلفة . ولهذا ليس غريبا أن يتدخل المؤلف تدخلا مباشرا وقويا في كثير من المواقف على لسان عمر بن الخطاب ورفيقه الغدائي ، الذي كان ملازما له منذ بداية أحداث الرواية دون أن يعرف عنه أنه منتم لحركة فتح إلا في فترة متأخرة ، ومن أمثلة ذلك قول هذا الغدائي لعمر : " لك الله ياعمر !! لقد أبطلت الحدود ، والخمر تباع في كل مكان والحكام يشربونها في الحفلات العامة وفي بيوتهم ، يتساقونها علانية ، وكأنهم يتساقون أقداحا من القهوة . . وبيوت الدعارة تأخذ تراخيص من الحكومة ، ويحميها القانون ، لقد أصبح للفساد قوانين تنظمه وترعاه . . " (١)

ولأن الشخصيات في رواية (عمر يظهر في القدس) جاءت فقط لتعبر عن القضايا الفكرية والسياسية المختلفة التي أراد المؤلف تثبيتها في ذهن القارئ ، فإن المؤلف لم يعتن بهذه الشخصيات في سواء أكان ذلك في ملامحها الخارجية أم الداخلية ، وما يعتمل فيها من صراعات نفسية مختلفة ، فجاءت هذه الشخصيات تنقصها الحيوية والإثارة ، وكأنها قوالب جامدة جاءت لخدمة أفكار المؤلف نفسه ، فقد " يمجد الفنان أبطاله ليجعلهم رموزا لأفكار ، ويناقش هذه الأفكار من خلالهم بحيث تختفي حقيقتهم الإنسانية أمام الرمز أو الفكرة التي يمثلونها . . . " (٢) ولهذا يمكن القول إن الفكرة هي التي تقوم بدور البطولة ، أما الشخصيات والأحداث فقد ذابت في الرواية ، فليس لها تفرد حقيقي إذ أن هذه الشخصيات بمجموعها ما هي إلا انعكاس مباشر لأفكار المؤلف ، ولا نبالغ إذا قلنا إن عصارة آراء نجيب وتصوراته الفكرية ، قد تجسدت في هذه الرواية أكثر من أي رواية سياسية أخرى . ويرى محمد نجم أن هذا النوع من القصص التي تكون فيها السيطرة والسيادة للفكرة غالبا ما تكون الغاية منها " إصلاح المجتمع ، أو السخرية من بعض النقائص الاجتماعية ، أو استهجان

---

(١) عمر يظهر في القدس ، ص ٢٢ ـ ٢٣ وانظر أيضا : ص ١٦ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٨٠ .
(٢) عبد المحسن طه بدر ، حول الأدب والواقع ، ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض الأفكار الطارئة ."(١) وإذا كان اهتمام المؤلف قد انصب بشكل رئيسي على إبراز بعض الأفكار في رواية عمر (يظهر في القدس) دون الاهتمام الموازي لذلك بالشخصيات والأحداث، فإن ذلك قد انعكس بصورة سلبية إلى حد بعيد على الحوار الذي بدا في معظمه خاليا من السلاسة والعفوية وسيطر عليه الافتعال والجمود، لأنه أصلا كان وسيلة لطرح أفكار الشخصيات التي تتميز بشيء من التجريد ، ولهذا ابتعد الحوار كثيرا عن أهدافه الحقيقية واستخدامه في الرواية ، لأن الغاية الأساسية منه هي " رفع الحجب عن الشخصية ، وأحاسيسها المختلفة ، وشعورها الباطن تجاه الحوادث والشخصيات الأخرى . "(٢) وهذا ما نأى عنه حوار هذه الرواية بشكل عام .

أما التفصيلات الشديدة واللقطات الكثيرة التي تبرز مواقف الشخصيات الفكرية فقد سبب للرواية ترهلا وتضخما دون مبرر لذلك ، ومن ذلك استجواب عمر في مقر المخابرات الاسرائيلية ، والمقابلة الصحفية التي أجريت معه حول السلام بين العرب وإسرائيل ، ومحاولة أحد اليهود المتعصبين اغتياله ، وغيرها من المشاهد واللوحات ، التي قد تدل على براعة واقتدار وجهد المؤلف ، إلا أنها لم تخدم الخط الرئيسي في الرواية ولم تنمه ، ويرى عبد الجبار عباس أن لجوء الأديب إلى الإكثار من التفاصيل واللقطات الكثيرة في روايته ، أكثر ما يكون في رواية الفكرة ، إذ يقول : " وهذا يتضح في قصة الفكرة أكثر ما يكون ، التي تهدف الى ابراز وتأكيد فكرة معينة ، الأمر الذي يلزم الفنان بمسؤولية اختيار اكثر الجزئيات قدرة على الخدمة المباشرة واللا مباشرة للفكرة ، ولكنه سرعان ما ينسى هدفه ويستسلم لإغراء منهجه التحليلي، فيقدم تتبعا دقيقا وموفقا لحدث القصة دون أن يكون في هذا التتبع إبراز فني للفكرة . "(٣)

وعلى الرغم من إقحام المؤلف وتدخله المباشر في سير أحداث الرواية ، ومواقف شخصياتها ، حتى بدت آراؤه وأفكاره مفروضة على جو الرواية ، فإن أهمية هذه الرواية تكمن في طرحها الجديد للقضية الفلسطينية ، إذ تعتبر هذا المنطلق من الروايات النادرة ، إن لم تكن الوحيدة

---

(١) محمد يوسف نجم ، فن القصة ص ٢٦ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١١٨ وانظر أيضا: عزيزة مريدن، القصة والرواية ص ٥٠ .
(٣) في النقد القصصي ، ص ١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حدود علمي - التي طرحت هذه القضية من خلال رؤية إسلامية شاملة ، ومن هنا تكمن قيمتها الحقيقية ، وإن جاءت في ثوب روائي متواضع .

وقد أشاد محمد بريفش برواية (عمر يظهر في القدس) ، إذ رأى فيها أنها وثيقة العصر في معالجة القضية الفلسطينية من خلال طرحها للتصور الإسلامي لحركة الصراع مع أعداء المسلمين أينما كانوا (١) . كما رأى فيها الدارس فوزي صالح أنها جاءت والأمة الإسلامية بمسيس الحاجة إلى من يبصرها بنفسها وبواقعها المرير ، الناجم عن صراعها الواسع مع أعداء هذه الأمة في عصرنا الحاضر (٢) .

ج - محور قضايا العالم الاسلامي :

شكل هذا المحور القسم الأخير من روايات نجيب الكيلاني السياسية ، وقد عرض المؤلف فيه بعض القضايا العقائدية والسياسية المهمة التي واجهها المسلمون في بعض الدول الإسلامية خارج حدود الوطن العربي ، والمؤلف باهتمامه الشمولي بأوضاع المسلمين أينما كانوا ، يعتبر من الروائيين القليلين جدا الذين استطاعوا فك طوق الانعزال والتقوقع الذي سيطر على بعض الروائيين العصريين ، ممن قصروا اهتماماتهم على قضايا سياسية مصرية بحته . وقد صور لنجيب حتى الآن أربع روايات في هذا المجال وهي : (عذراء جاكرتا) ، و(ليالي تركستان) ، و (عالقة الشمال) ، و(الظل الأسود) .

وقد تناول نجيب في روايتين من هذه الروايات الصراع العقائدي الشامل بين النظامين الإسلامي والشيوعي ، وهاتان الروايتان هما : (عذراء جاكرتا) ، و (ليالي تركستان) . أما رواية (عذراء جاكرتا) فقد رصدت بدقة مراحل هذا الصراع ، الذي دارت أحداثه في أندونيسيا سنه ١٩٦٥م ، حين انقض الحزب الشيوعي - بعد

---

(١) انظر : الأدب الإسلامي المعاصر ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) انظر : حول الرواية الإسلامية ، مجلة الأمة ، السنة ٤ ، العدد ٤٦ ، تموز ، ١٩٨٤م ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد دقيق ـ على الحكم لفترة وجيزة ثم انهار بعدها سريعا أمام ضربات وحدات الجيش والجماعات الإسلامية ، وعلى رأسها حزب ماشومي . وحتى لا نضيع في متاهات تفاصيل الرواية ، آثرنا أن نحدد أهم قضيتين دار حولهما هذا الصراع العقائدي الذي تطور إلى صراع دموي مسلح في شوارع المدن الأندونيسية . وهاتان القضيتان هما : قضية الألوهية وعلاقتها بالحياة ، وقضية الوجود الانساني ، ونظرة النظامين الإسلامي والشيوعي لهما .

أثمة تناقض حاد بين الإسلام والشيوعية حول قضية الالوهية ، فالشيوعية لا تؤمن بها أصلا ، ولهذا لا بد أن تكون في نظرها مجرد خرافات وأوهام لا رصيد لها من الواقع ، لأن الانسان في نظرها يجب عليه أن لا يؤمن بشيء ، إلا اذ كان ماديا محسوسا . أما عالم الغيبيات غير المرئي فلا وجود له . ومن هنا ليس غريبا أن ترى أحد الشيوعيين يتهجم على الذات الالهية ، إذ زعم في حديثه لأحد المعتقلين المسلمين بأنه سيسجن الله معه . (١) أما في النظام الإسلامي فنرى الأمر مختلفا عن هذا التصور للألوهية إذ أن هذا النظام يستند أساسا إلى وجود الله الذي ترجع إليه الأمور وقد انعكس هذا التصور للألوهية عند كلا النظامين على القيم والسلوك والتصرفات الشيوعية والاسلامية على السواء ، فقد انطلق عدد من الشخصيات الشيوعية وراء شهواتها وغرائزها المادية ، متبعة الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، دون رادع ديني أو أخلاقي ، وقد أورث ذلك هذه الشخصيات القلق والاضطراب المستمرين ، نتيجة سعيها المتواصل وراء لذاتها بنهم شديد لتحقيق المزيد منها في هذه الحياة القصيرة ، ضاربة عرض الحائط بكل القيم والأخلاق للشعب الأندونيسي المسلم ، أما الشخصيات الإسلامية ، فقد كانت متوازنة في سعيها لإشباع غرائزها المادية ، وفق منهج محدد جاء به الإسلام ، ولهذا لم نجدها لاهية وراء هذه الشهوات والغرائز دون حدود ، إيمانا منها بضرورة عدم الانقياد لها ، واتخاذها معبودا فعاشت هذه الشخصيات مطمئنة وراضية بما يجري الله من مقادير ، وأخذه على

---

(١) انظر : عذراء جاكرتا ، ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاتقها العمل لتحقيق أهدافها الإسلامية معتمدة في ذلك على قوة من الله وزعم منه ، فلم تتراجع عن مبادئها حتى وإن وضعت في ظل ظروف قاسية بصعب تحملها، ولهذا رأينا الاطمئنان الكبير لدى هذه الشخصيات ، فحاجي محمد مثلا ، كان متفائلا بالنصر والغلبة في وقت كان يعاني فيه من الإرهاب والتعذيب في معتقل الشيوعيين (١) ، فلم يعرف اليأس إليه طريقا ، وتكرر الموقف نفسه مع ابنته فاطمة، التي صممت على المضي في طريق نشر مبادئ حزبها الإسلامي ، رغم مالسته من سيطرة الشيوعيين على أكثر المراكز الرئيسية في أندونيسيا (٢) .

ب ـ أما تصور النظامين ، الشيوعي والإسلامي حول الإنسان ودوره في هذه الحياة فكان على طرفي نقيض ، وقد اهتمت الرواية بإبراز هذا التناقض بصورة كبيرة ، لأن الإنسان هو المحور المهم في الرواية العقائدية وفيه تتجسد الأفكار والقيم والسلوك . فالشيوعي يرى أن الإنسان إما أن يكون شيوعيا وبذلك يستحق الحياة بكل ما فيها ، وإما غير شيوعي وعندئذ يستحق السحق والتدمير ، لأنه رجعي متخلف يعادي القوى التقدمية ، وهذه النظرة تنقصها الشمولية في تعاملها مع الإنسان ، وقد ينتج عنها صراع دموي ومستمر ، يكون من نتائجه ، إهدار كرامة الإنسان بل حتى حياته ، لكونه مخالفا للأفكار والتصورات الشيوعية ، وفي حوار زعيم الحزب الشيوعي الأندونيسي عيديد مع أحد اتباعه مايبين هذا النهج الدموي، يقول عيديد : " وتذكر أن الموت هو الحل النهائي لأي خلاف سياسي . . "

ـ " بالتأكيد ياسيدي الزعيم . . "

ـ " الرحمة عند الثورة حماقة . . "

ـ " أجل . . "

ـ " ليس لدينا شخص نصف نصف . . إما أن يكون معنا أو علينا . . المستدلون أو المستقلون عبء على الجميع بل لعل خطرهم مزدوج . . هم أعداء . . " (٣)

---

(١) انظر : عذراء جاكرتا ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد طبق هذا في أكثر من موقف في الرواية ، ومنها المجزرة الرهيبة التي قام بها الشيوعيون ضد المعتقلين المخالفين للمنهج الشيوعي ، وذلك بعد قيام الثورة الشيوعية في أندونيسيا (١) .

وعلى النقيض من هذا التصور الشيوعي للإنسان وجدنا النظرة الشمولية والواقعية التي يلتزم بها الإسلام تجاه الإنسان أيا كانت عقيدته ولونه وجنسه ، إذ أن مبدأ الأخوة الإنسانية من أهم ما يلتزم به ويسعى لتحقيقه على أرض الواقع ، لأن البشر متساوون أمام الشرع في الحقوق الأساسية في هذه الحياة ، ولهذا لم ينظر الإسلام للإنسان من خلال طبقية ضيقة كما آمن الشيوعيون ، وقد طبق ذلك حاجي محمد حين حاول مساعدة عدوه السجان أنانج الشيوعي ، الذي خرّ صريعا برصاص صديقه قائد السجن (٢) ، كما برز ذلك أيضا في شخصية إسلامية أخرى وهي شخصية أبي الحسن ، الذي كان يصر على ضرورة تكريم الإنسان والعناية به والمحافظة على حياته مهما كانت عقيدته الدينية (٣) .

وقد شكلت القضيتان السابقتان محور الصراع الفكري بين الإسلام والشيوعية ، ثم تطور هذا الصراع ونما تدريجيا ، حين استغل الشيوعيون ضعف الرئيس الأندونيسي سوكارنو ، وسيطروا على المراكز المهمة كالإعلام والمخابرات وغيرهما ، ثم انقضوا على السلطة بعد أن فتكوا بالكثيرين من أبناء الشعب الاندونيسي ، واستطاعوا أن يحققوا انتصارات مهمة في البداية ، ثم تغير الوضع حين قام الجيش بسانده حزب ماشومي وغيره من الأحزاب الإسلامية بالسيطرة على الموقف سيطرة كاملة ، وتمت تصفية معاقل الشيوعيين ، وألقي القبض على زعيم الحزب عيديد الذي تم إعدامه .

وقد جاءت حبكة أحداث رواية (عذراء جاكرتا) متماسكة إلى حد بعيد ، فقد خلت من المصادفات والغرائب والأحداث غير الواقعية ، فوفقت في نقل أبعاد الصراع

---

(١) انظر: عذراء جاكرتا ، ص ١٥٢ - ١٥٤ ، وانظر أيضا: ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ص ١٢٨ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٦٢ ، ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقائدي والسياسي بين الإسلام والشيوعية بصورة واقعية ، بعيدة عن الغوغائية والدعاية المباشرة ، وذلك من خلال الحوارات الفكرية المكثفة التي جاءت تطبيقا واقعيا لها ، مما رسخ في الأذهان الصورة المتكاملة لهذا الصراع في بعديه النظري والعملي دون تشويه أو مسخ .

وفرض موضوع رواية (عذراء جاكرتا) ذو الصبغة العقائدية السياسية نفسه على طبيعة تكوين الشخصيات ، التي كانت في معظمها شخصيات على مستوى عال من الفكر والثقافة ، وهذا أمر منطقي وطبيعي، إذ لا يعقل أن تتولى شخصيات ذات مستوى فكري هابط الحوارات الفكرية الدقيقة التي احتشدت في هذه الرواية ، وقد نجح نجيب نجاحا كبيرا في قدرته على إدارة هذه الحوارات على لسان الشخصيات من غير إقحام أو تدخل مباشر ومفروض لآرائه ، فأعطت صورة موحية ومتكاملة لأفكار الرواية ، إذ أن الكاتب الفنان " هو الذي يستطيع أن يرسم الصورة كاملة ويتركها وحدها تتكلم . . فهذا أوقع وأبعد أثرا . . . "(١)

وقد مثل التصور الإسلامي في الصراع مع الشيوعية ، فاطمة حاجي محمد ، وهي فتاة جامعية على قدر كبير من الوعي الفكري والسياسي ، فقد كانت منتمية لحزب ماشومي الإسلامي ، وملتزمة بخطه السياسي ، ولم تكن فاطمة كشأن كثير من المسلمات متقوقعة على نفسها ، وراهبة في طرح فكرها ومنهجها في معالجة القضايا المختلفة ، إذ خاضت صراعا عنيفا وحادا ، ضد الشيوعيين على المستويين النظري والعملي ، دون خوف أو تردد ، متسلحة بزاد ثقافي عال من الثقافة الإسلامية والشيوعية على السواء (٢) ، فمكنها ذلك من مواجهة عيديد زعيم الحزب الشيوعي الأندونيسي في محاضرة عامة ، ودحض أفكاره ومبادئه من خلال منهج فكري وعلمي دقيق ، وقد تضمنت هذه المواجهة نقاشا حادا حول عدد من القضايا البارزة التي طرحها

---

(١) رشاد رشدي ، مقالات في النقد الأدبي ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ط٢ ، ص ٢٩ .

(٢) انظر : عذراء جاكرتا ، ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عديد مثل : الصراع الطبقي ، ومقولة إن الدين أفيون الشعوب ، وغير ذلك من القضايا ، ففرضت احترامها على زملائها في الجامعة ، حتى ممن كانوا منتمين للحزب الشيوعي . ولم يقف الشيوعيون مكتوفي الأيدي أمام هذا التحدي الذي واجهتهم به فاطمة ، فلجأوا إلى وسائل عديدة لتحطيمها ، فاتهموها في أخلاقها وشرفها ، وبدأوا يعلنون أن أباها عميل للمخابرات الأمريكية ، وأنه يقبض الأموال منها . ولكونها إنسانة من لحم ودم ضعفت ، وناقت نفسها بما أشيع عنها ، فمرضت ذات مرة على والدتها الرحيل عن أندونيسيا ، فرفضت والدتها بحزم ، فتراجعت عن ذلك ، وثبتت أمام التحديات ، بقوة وحزم ، وتصدت لهذه الإشاعات التي حاولت النيل منها .

لم يقف الأمر بفاطمة على الصدامات الفكرية مع الشيوعيين ، بل امتد إلى الواقع العملي في مشاركتها ـ على قدر طاقتها ـ بمقاومة الثورة الشيوعية سنة ١٩٦٥م ، ولما أجهضت الثورة وقضي عليها ، عادت فاطمة إلى بيتها ولكن في كفن ، وقد لفها ثوب أبيض ، بعد أن اغتيلت غدرا على يد إحدى الشيوعيات ، وقد كانت نهايتها المأساوية الفاجعة أمرا طبيعيا بالنسبة لها ، لأنها كانت تتوقع ذلك في كل لحظه ، ولهذا فإن سقوطها بهذا الشكل المروع لم يكن بسبب السقطة العظيمة التي يطلق عليها (الهاماريتيا) ـ والتي تعني نقطة ضعف تكمن في البطل تجعله غير كامل الفضيلة وتؤدي به إلى الفاجعة فتجعلنا نعطف عليه ـ (١) ، وإنما كان سقوطها متوقعا في أي وقت ، لأن فاطمة ظلت رافضة لواقعها السيء حتى آخر لحظة في عمرها ، وكانت مستعدة لتقبل أمر موتها بشيء من الشجاعة ، لأنها تشعر في أعماقها بأنها ستظل حية في ضمير الأمة التي تنتمي إليها ، كما أنها كانت على استعداد دائم لتقديم التضحيات الجسيمة للوصول إلى الأهداف الإسلامية التي سعت لتحقيقها مهما كانت الظروف والنتائج ، لأن نتيجة الصراع مع العدو لا تخرج عن احتمالين وهما : إما نصر وإما شهادة ، فكان لها الأمرين معا .

---

(١) انظر : شكري محمد عياد ، البطل في الأدب والأساطير ، دار المعرفة ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجح المؤلف إلى حد كبير في رسمه لشخصية فاطمة ، فقد ابتعد بشكل واضح عن المبالغة في تصوير مواقفها المختلفة ، فجاءت صورتها واقعية تنبض بالحيوية والصدق ، وقد استطاع المؤلف الكشف عنها بملامحها الدقيقة المتميزة بأكثر من أسلوب فني ، فقد تعرفنا على بعض سماتها من خلال حديث الشخصيات الأخرى عنها ، ومرة أخرى من خلال مواقفها العملية ، التي جاءت متطابقة مع واقعها الفكري دون تناقض ، إلا أن الحوار كان من أهم هذه الوسائل التي اتكأ عليها المؤلف في تصويره لها ، إذ استطعنا من خلاله التعرف على كثير من خصائصها النفسية والفكرية . ويحمد للمؤلف ابتعاده كثيرا عن التقارير المباشرة في وصف أبعادها المختلفة وعلى دفعة واحدة . ولهذا نجح في تصويره لفاطمة ، فبدت نامية ومتطورة تكشفت لنا تدريجيا ، فلم تكتمل صورتها إلا بعد انتهاء أحداث الرواية ، فكان المؤلف في تقديمه لها واقعيا ومنطقيا بشكل كبير ، بعيدا عن الافتعال والمزايدة ، لأن من أهم شروط نجاح الشخصية أن تكون حيوية ومتفاعلة ، مع الأحداث وغير جامدة تجاهها ليشعر القارئ بصدقها وواقعيتها (١) .

وإذا كانت فاطمة قد مثلت المسلم الملتزم فكرا وسلوكا ، فإن عبيد رئيس الحزب الشيوعي قد مثل قمة الالتزام بالمبادئ الشيوعية ، وقد أهله للتربع على هذا المنصب ماضيه الحزبي العريق الممتد لسنوات طويلة خلت ، ولتمتعه بثقافة عالية ، وقدرة متميزة على الجدل والمناظرة في ترويجه لأفكار الحزب ، وقد قدم المؤلف عبيد على دفعات متتالية ، فتعرفنا على أهم ما يمتاز به من الخصائص والسمات التي حددت ملامحه ، وذلك عن طريق مواقفه المختلفة ، سواء أكان ذلك نظريا من خلال مناظراته ومحاضراته التي كان يلقيها على مدرج جامعة جاكرتا ، أم من خلال مواقفه العملية في إدارته ومشاركته في الثورة الشيوعية سنة ١٩٦٥م . وقد كشفت الأحداث أساليبه الميكافيلية في سعيه لتحقيق أهدافه ، غير آبه بالقيم والأعراف الإنسانية ، كما أن واقعه العملي يدل على أنه كان متناقضا تماما مع الذي كان يدعو إليه من مبادئ ونظريات

---

(١) انظر : عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيوعية ، ففي الوقت الذي كان يهاجم بعنف الأغنياء والمترفين ويعطف على أحوال العمال الكادحين ، كان غارقا في الترف حتى أذنيه ، متفوقا على الذين كان ينتقدهم ليل نهار . كما عرفنا عن عبيد يد ـ على لسان زوجته ـ مدى حبه للخمر ومعاشرة النساء ، إلا أنه لا بد من القول بأن المؤلف قد جانب الحياد في تصويره لعيد يد رئيس الحزب الشيوعي الأندونيسي ، وذلك عندما وسمه بكثير من الصفات السلبية ، دون أن يذكر له ما يوازيها من الخصال الحميدة ، إذ أن عيد يد إنسان كأي إنسان آخر في هذا العالم ، له عيوبه ونقائصه ، وله فضائله ومحاسنه ، ومن غير العدل أن يغمط حقه بطمس فضائله وإبراز مساوئه ، إذ أن الكاتب مطالب بأن يكون متوازنا في تقديمه للشخصيات التي يتبدو أمامنا صادقة وواقعية ، وبعيدة عن التزييف .

ولأن المؤلف قد اهتم بشكل كبير بمهاجمة تصرفات الشيوعيين ، وذلك بإبراز خيانة الحزب الشيوعي ـ ممثلة برئيسه عيد يد . في محاولته تحطيم وحدة أندونيسيا ، والقضاء على كيانها المستقل بربطها بفلك الدول الخارجية كالإتحاد السوفيتي والصين ، وقد غطت هذه الخيانة صفحات الرواية تغطية كاملة ، فإنه حجب أي دور إيجابي قام به الحزب الشيوعي في يوم ما من التاريخ الأندونيسي الحديث ، مع أن هذا الحزب لعب دورا بارزا إلى جانب الحركات الدينية والوطنية في مقاومة المستعمر الهولندي على مدى سنوات عديدة . ويذكر أحد المؤرخين أنه كان للحزب الشيوعي نشاط قوي ومهم في التصدي للهولنديين ، خاصة اشتراكه الفعال في ثورة ١٩٢٩م(١) .

وعلى الرغم من صلات سوكارنو الوثيقة بالشيوعيين واتهامه بالتآمر معهم لجعل أندونيسيا أكبر دوله شيوعية في جنوب شرق آسيا ، حتى أنه صرح في إحدى خطبه أمام حشد من الشيوعيين " أنه لو شق صدره لوجدوا فيه كلمة واحدة فقط مسطورة وهي كلمة الماركسية " (٢) فإن المؤلف لم يترك نقيصة إلا ووصمه بها ، متجاهلا أن سوكارنو

---

(١) انظر : أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ٨/ ٥٢٤ .
(٢) محمد أسد شهاب ، صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة ، ص ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا كان من قادة الثورة في مواجهة الهولنديين ، وكان أحد الزعماء الأندونيسيين السبعة الذين شكلوا الحزب الوطني ، الذي قاد هذه المواجهة للحصول على الاستقلال (١) ، وقد اعتقل مرتين لنشاطه السياسي المعادي للمستعمر (٢) .

ويمكن القول إن نجيبا لم يكن ملتزما كل الالتزام في روايته ببعض الحقائق التاريخية ، التي تؤكدها الخلفية التاريخية للأحداث السياسية التي مرت بها أندونيسيا في تاريخها المعاصر ، وقد أضر ذلك بفنية الرواية وصدقها في بعض المواقع ، إمعانا منه في دعم فكرته المسبقة عن الصراع الإسلامي الشيوعي في أندونيسيا .

وإذا كنا قد عرضنا للشخصيات الإسلامية والشيوعية المتناقضة فكرا وسلوكا ، فإن ثمة شخصيات أخرى لم تتخذ لها منهجا فكريا وسياسيا محددا تجاه الأحداث ، فبدت ضبابية غائمة ليست لها ملامح معينة ، وتمثل هذه الشخصيات شريحة مهمة من المجتمع الإسلامي ، سواء أكان ذلك في اندونيسيا أم في غيرها من البلدان الإسلامية الأخرى ومن هذه الشخصيات ، محررا زاويتي الفن والرياضة في إحدى الصحف الأندونيسية ، فقد اقتصرت مهمة المحرر الفني على نقل أحدث حفلات الرقص والغناء وأخبار المطربين والمطربات . بينما انصبت جهود المحرر الرياضي على متابعة أخبار المباريات الرياضية ، ولما حوصرت الجريدة التي كانا يعملان فيها من قبل الشيوعيين إبان الثورة أجهش المحرر الفني بالبكاء وانهار ، فلم يستطع حمل السلاح ليدافع به عن نفسه ، حتى لقي حتفه حرقا داخل المبنى ، بعد أن فشل في الخروج منه . ولم يشأ المؤلف - قاصدا - أن يطلعنا على أسماء محددة لمن يمثلون هذا الاتجاه ، لكون أعداد كبيرة من المسلمين ينضمون تحت لوائه .

ويرى الدارس علاء الدين وحيد ، أن اهمية رواية (عذراء جاكرتا) ، تكمن في قدرتها الفائقة على تناول الفكر الماركسي وتحليله وإدانته ، وجاء هذا التناول في صلب أحداث الرواية ، ولم يكن مفروضا عليها ، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه (٣) .

---

(١) انظر : محمد أسد شهاب ، صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة ص ١٧٢ ، وأحمد شلبي ، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ٤٥٥/٨ .

(٢) انظر : محمد أسد ، صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة ، ص ٧٦ .

(٣) انظر : أجيال ضد الماركسية ، منشورات دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض ، ط١ ، ١٩٨٤م ، ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أشار محمد بريغش بنجيب الكيلاني في معرض حديثه عن بعض رواياته، ومنها رواية (عذراء جاكرتا) واعتبره في طليعة الأدباء المسلمين ، الذين ترجموا أحداث الواقع إلى أدبهم في صور رائعة . (١)

وفي رواية (ليالي تركستان) سيطر الصراع المادي العسكري بين المسلمين والشيوعيين الصينيين في تركستان الشرقية من بداية الرواية حتى نهايتها ، وقد أتخمت الرواية بالتفصيلات الجزئية في تصويرها لهذا الصراع ، الذي امتد حوالي عشرين سنة (١٩٣٠ - ١٩٥٠م) ، وانتهى بسيطرة الصين على هذه المنطقة . ولئن نجح المؤلف في إعطاء القارئ صورة دقيقة للأحداث السياسية التي أظهرت حركة الجهاد ضد الشيوعيين ، فإن المؤلف تناسى وتجاهل بعض الحقائق التاريخية التي تؤكدها الوقائع التاريخية التي تتعلق بهذا الصراع ، فالمؤلف يرجع سبب الهزيمة التي مني بها المسلمون إلى قلة امكاناتهم في مواجهة العدو ، مع أن النزاع الذي احتدم بين بعض قادة المسلمين كان هو أيضا سببا رئيسيا في إضعاف قوتهم ، وقد أدى ذلك إلى سقوط الجمهورية الإسلامية في منطقة كاشغر سنة ١٩٣٤م ، وكان سبب هذا النزاع هو الاختلاف والتنافس على إدارة هذه الجمهورية ، فقد كان رئيس الدولة خوجة نيازي يرى في القائد العسكري ماتشونج أكبر منافس له ، فاستخدم السلاح لإضعاف مركزه وتحطيمه ، مما سبب تفككا شديدا في صفوف المسلمين (٢) ، فاستغل الصينيون ذلك في تحطيم القوات الإسلامية ، وإخضاع تركستان حتى اليوم للنفوذ الصيني . ويمكن إرجاع تغاضي المؤلف عن هذه الحقيقة التاريخية إلى كونه متعاطفا إلى حد كبير مع الشخصيات الإسلامية ، فحاول إضفاء جو من الاحترام والقداسة عليها ، محاولا عدم إبراز أي تناقضات على الساحة الإسلامية ، وإن كان ذلك لا يتفق والواقع التاريخي كما رأينا .

---

(١) انظر : في الأدب الإسلامي المعاصر ، ص ٢١٨ .

(٢) انظر : بدر الدين و.ل.هي ، تاريخ المسلمين في الصين ، ص ١٢٦ - ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن للباحث أن يسجل بعض الملاحظات المهمة التي تتعلق بهذه الرواية، من أبرزها :

أ ـ أحداث الرواية : تتميزت أحداث الرواية بغزارتها وتشعبها بشكل ملفت للنظر ، وقد شكل ذلك عبئا حقيقيا على قدرة القارئ في متابعته لها ، فلا يستطيع حصرها لكثرتها ، مما يؤدي حتما إلى تشتيت ذهنه وإرباكه ، وقد كان للفترة الزمنية الطويلة التي عالجتها الرواية أثر على هذه الغزارة والتشعب ، إذ أن المؤلف اهتم بعرض جزئيات كثيرة ، سعيا منه وراء التسجيل الحرفي لحركة الجهاد ضد الشيوعيين ، إلا أنه لم يوفق كثيرا في اختياره لهذه الأحداث ، إذ لا يكاد القارئ يخرج من متابعته لتفاصيل معركة ما ، إلا ويفاجئه المؤلف بتفاصيل معركة أخرى وهكذا ، كما تنقل به تبعا لذلك من منطقة إلى أخرى ، فقد طفت الرواية بأسماء كثيرة من المقاطعات والمدن ، دون إعطاء القارئ خلفية محددة للبيئة التي دارت فيها الأحداث ، فبدت أوصافها عامة وغامضة تنطبق على غيرها من البيئات .

ولأن المؤلف ـ أساسا ـ كان يهدف إلى سرد أحداث كثيرة ومتسلسلة ، فقد استعان أكثر من مرة بالصدف والمغامرات لسد الثغرات التي واجهته ، في محاولة منه لإعطاء صورة متكاملة لهذه الأحداث ، ومن هذه الصدف ، التقاء نجمة الليل بحبيبها مصطفى صدفة في مدينة أورومي ، حين كان يعمل حمّالا لنقل الخضار والفواكه ، واستدعته إلى منزل زوجها الضابط الصيني ليعمل خادما فيه (١) ، ولم يلفت ذلك انتباه هذا الضابط ، فبدا غير مبال لوجوده ، مع العلم أنه وغيره من الضباط كانوا من أكثر الناس حذرا في تحركاتهم خوفا من الاغتيال ، ثم قام مصطفى بالتعاون معها بقتل عدد كبير من الضباط في حفلة أقامتها نجمة الليل ، وقد تم ذلك بعد فترة وجيزة من قتلها لزوجها خارج المنزل (٢) ، كل هذه الأفعال والتصرفات المريبة التي قامت بها نجمة الليل لم تثر شكوكا حولها ، وهذا ما يدفع بالقارئ إلى الشك في مدى صحة هذه الأحداث

---

(١) انظر : ليالي تركستان ، ص ٧٥ ـ ٨٨ ، وانظر أيضا : لقاء مصطفى مع نجمة الليل في كشمير ، ص ١٧٢ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٠٨ ـ ١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن "على القاص أن يقنعنا بامكان حدوث مثل هذه الحوادث ، ووجود مثل هذه الشخصيات في الحياة التي نحياها ونعرفها." (١)

كما إستعان المؤلف بعدة حكايات جانبية زائدة أثقلت كاهل الرواية ، وأضعفت من بنائها الفني ، ومن ذلك حكاية الفتاة الأسيرة مع الحاكم الصيني لتركستان شين سي تساي (٢) ، وحكاية منصور مع زوجته التي احترقت البغاء بعد أن اغتصبها أحد الصينيين (٣) .

ب ـ ونتيجة لاهتمام المؤلف بالأحداث بالدرجة الأولى ، فإن شخصيات الرواية لم تحظ كثيرا بالعناية اللازمة ، فظهرت وكأنها شخصيات غير متميزة ذات ملامح محددة ، فقد عرض عددا كبيرا منها دون وقفة متأنية دقيقة للإحاطة بها داخليا وخارجيا ، مما أدى إلى تشابه معظمها في مواقفها وتصرفاتها ، وقد شمل ذلك الشخصيات الإسلامية والصينية على السواء ، إذ أن هذه الشخصيات قد اكتملت صورتها من بداية أحداث الرواية فلم تفاجئنا بشيء جديد ذي قيمة ، يجعلها تتفرد وتتميز بسمات محددة تعرف بها ، ولأن هدف المؤلف قد انصب على إبراز التناقض الشديد بين الشخصيات الإسلامية والصينية ، فقد أبدى اهتماما كبيرا بعرض مواقف كثيرة تبرز هذا التناقض وتوضحه ، مع أن هذه المواقف جاءت في معظمها متشابهة ، دون أن تضيف شيئا ذا شأن كبير ، يساهم تطوير الأحداث وتعقيدها . ومهما يكن من أمر شخصيات هذه الرواية ، فإنه يمكن القول عنها إنها من النوع البسيط ، لأنه من السهل على القارئ أن يتعرف عليها من بدايتها حتى نهايتها ، ولهذا افتقدت عنصري التشويق والإثارة ، اللذين يشكلان الشخصية الحية والمثيرة في العمل الروائي بشكل عام .

من أهم الشخصيات الإسلامية التي عرضتها الرواية ، مصطفى حضرت ، الذي قام بسرد أحداث الرواية ، وقد تجسدت فيه مزايا وصفات المسلم الحقيقي الملتزم عقائديا بالإسلام ، وهي شخصية مثقفة ، وواعية لطبيعة الصراع بين الإسلام والشيوعية

---

(١) انظر: محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص ١٠ .
(٢) انظر: ليالي تركستان ، ص ١٢٧ ـ ١٣٣ .
(٣) انظر: المصدر نفسه ، ص ١٥٣ ـ ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وفق المؤلف إلى حد ما في الوقوف على تناقضاتها النفسية الناجمة عن الصراع ما بين الواجب الذي دعي اليه وهو الجهاد ، وبين حبه لنجمة الليل ، إلى أن استطاع الجمع بينهما ، وتمكن كلاهما من المشاركة الفعالة في التصدي للعدو ، أما الشخصيات الشيوعية فقد مثلها كل من صن لي وشين سي تساي وباودين وغيرهم . وقد مر المؤلف على هذه الشخصيات مرورا عاما في أغلب الأحيان في عرضه لأفكارها ومواقفها ، وفعل الشيء نفسه في عرضه لبعض المسلمين الذين انسلخوا عن دينهم ، وتخلو عن أمتهم ، والتحقوا بالشيوعيين ، وتفننوا في وسائل إبادة أهلهم واخوانهم ، حتى تفوقوا على الشيوعيين أنفسهم في هذا المجال . ومن هؤلاء : هاشم هاجي والبرهان شهيدي وأحمد خان .

ج - إن أكبر عيب وقعت فيه رواية (ليالي تركستان) يكمن في لجوء المؤلف إلى الأسلوب الخطابي في مهاجمة تصرفات الشيوعيين ، وفي مدحه لجهاد المسلمين ، فيقول مثلا على لسان نجمة الليل : " ماذا يريد هؤلاء الثورة العالمية ، لو كان ستالين نبيا يبشر بجنة حقيقية لما آمنت به .. كيف يرجى خير من وراء قوم فعلوا هذا الفعل البشع .. "(١) والذي يبدو من هذا الكلام ومن غيره مما ورد على الطريقة نفسها ، أن بعض الشخصيات كانت انعكاسا مباشرا للمؤلف في أفكاره مع أنه يجب على القاص أن يتجنب فرض آرائه على الشخصيات حتى لا تكون بوقا لأفكاره وتصوراته المسبقة (٢) .

وبعد أن رصد نجيب الكيلاني حركة الصراع الفكري المادي بين الإسلام والشيوعية في أندونيسيا وتركستان الشرقية ، انتقل بنا إلى أفريقيا للوقوف على بعض القضايا السياسية البارزة التي واجهت المسلمين فيها ، فاستعرض المؤامرات الواسعة التي تعرض لها الوجود الإسلامي في كل من نيجيريا والحبشة ، وكان ذلك في روايتي (عالقة الشمال) ، و (الظل الأسود) ، وقد اختلفت وجوه المتآمرين هنا عما وجدناه في روايتي (عذراء جاكرتا) ، و (ليالي تركستان) ، فقد قاد التآمر هذه المرة بعض الدول الغربية ، متمثلا

---

(١) ليالي تركستان ، ص١١٩ ، وانظر : ص٤٥ - ٤٦ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١١٩ ، ١٧١ - ١٧٢ ، ١٧٥ .
(٢) انظر : محمود تيمور ، دراسات في القصة والمسرح ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنفوذها السياسي والاقتصادي والفكري ، واستعانت هذه الدول بالحركة التبشيرية لتثبيت هذه النفوذ وتقويته من خلال استغلال بشع للدين .

فرواية (عاصفة الشمال) تناولت الصراع الدامي بين المسلمين والقوى المضادة الأخرى ، التي حاولت زعزعة الوجود الإسلامي في نيجيريا وتحطيمه ، وقد التزم المؤلف التزاما دقيقا في عرضه للحقائق التاريخية ، لهذا الصراع بخلفياته وأسبابه ومن هذه الحقائق المهمة أولا : إن قيام المستعمر البريطاني بتقسيم نيجيريا إلى عدة مناطق عرقية ومذهبية قد فتح المجال لصراعات دامية بين الطوائف المختلفة ، وهذا ما أكده أكثر من باحث من الذين يرون أن التمزق الحاسي والحروب الأهلية كانت من نتائج هذا التقسيم الاستعماري . (١) وثانيا : إن لإسرائيل دورا بارزا في إثارة المشكلات في نيجيريا ، من خلال نفوذها القوي الذي تغلغل في هذه البلاد بشكل واضح من خلال إرسال المدربين والخبراء وإنشاء الشركات خاصة الزراعية منها ، (٢) كما لعبت اسرائيل دورا بارزا في مساعدة الانفصاليين في إقليم بيافرا ما بين سنتي ١٩٦٥ - ١٩٧٠ م (٣) وثالثا : تأكيد المؤلف على الارتباط المشبوه بين المبشرين

---

(١) انظر : عبد الملك عودة ، سنوات الحسم في أفريقيا ١٩٦٠ - ١٩٦٩ ص ١٩٣ - ٢٠٠ ، وأحمد شلبي ، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ٥/ ١٩٥ - ٥٩٦ .

(٢) انظر : عواطف عبد الرحمن ، إسرائيل وأفريقيا ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٧٣ ، وشحادة موسى ، علاقات إسرائيل مع دول العالم ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ١٩٧١م ، ص ٤٥٩

(٣) انظر : شحادة موسى ، علاقات إسرائيل مع دول العالم ، ص ٤٦٠ - ٤٦١ . وأحمد شلبي ، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ٥/ ٥٩٩ - ٦٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمستعمر الغربي غير مبالغ فيه ، إذ ساهم هؤلاء في تثبيت وتقوية نفوذه في نيجيريا ، وقد تركزت جهودهم في المنطقة الشرقية من نيجيريا ، التي حدث فيها الانفصال عن الوطن الأم (١) ، ولهذا كله يمكن القول إن نجيبا كان أمينا إلى درجة كبيرة في نقله لحقائق الصراع في نيجيريا أكثر من روايته السابقتين (عذراء جاكرتا) ، و (ليالي تركستان) ، اللتين أخلتا ببعض حقائقهما التاريخية لتأييد وجهة نظره في تفسير الأحداث .

خطان رئيسيان ساوت فيهما أحداث الرواية ، خط سياسي تمثل بالمشاركة الفعلية التي قام بها عثمان أمينو في مواجهة حركة الانفصال في إقليم بيافرا ، ومقاومته للثورة الدموية التي تزعمها إيرونسي في شمال نيجيريا ضد قبيلة الهوسا المسلمة ، ولم يمنعه الانخراط في العمل السياسي من القيام بالدعوة إلى الإسلام بين القبائل الوثنية والمسيحية على السواء ، وبخاصه في جذبه لأعداد كبيرة منها إلى الإسلام ، مما ساهم إلى حد كبير في توحيد أبناء الشعب النيجيري في مواجهة المخططات الاستعمارية التي كانت تسعى لتحطيم هذه الوحدة . أما الخط الثاني في الرواية ، فتضمن العلاقة العاطفية التي جمعت بين عثمان المسلم وجاماكا المسيحية ، وقد عبر المؤلف من خلالها عن الوحدة الوطنية للشعب النيجيري رغم الاختلاف العقائدي السائد ، وقد تداخلت أحداث هذه العلاقة تداخلا كبيرا مع أحداث الخط السابق ، فشكلا وحدة متكاملة دون انفصال بينهما .

وكان للجوء المؤلف إلى أسلوب السرد بضمير المتكلم على لسان عثمان الذي تولى سرد أحداث الرواية وتحليل مواقف شخصياتها ، أثر في خلق جو حقيقي وواقعي مؤثر في نفس القارىء ، لما يتمتع به هذا في قدرته على الإيهام بحقيقة الأحداث والمواقف المختلفة في الرواية (٢)

---

(١) انظر : سعود متولي ، أفريقيا والسيطرة الغربية ، دراسة تحليلية للاستعمار البريطاني في نيجيريا حتى سنة ١٩٤٥م ، مكتبة المعارف الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص٧٧ .

(٢) انظر: جورج سالم ، المغامرة الروائية ، ص٤٩ . ولين اولتينيرند وليزلي لويس ، الوجيز في دراسة القصص ، ص ١٥٠ - ١٥١ . وميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٦٥-٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحمد للمؤلف في روايته (عالقة الشمال) نجاحه الكبير في التخلص من التقارير المباشرة في سرده للأحداث ، وتحليله لمواقف الشخصيات ، إذ لجأ إلى استخدام الحوار القصير والمكثف للتعبير عن ذلك ، وإن وقع - أحيانا - في بعض الاستطراد ، ومن ذلك عملية البحث الطويلة التي قام بها عثمان للعثور على جاماكا بعد خروجه من السجن ، واصطناعه المغامرات للوصول إليها (١) ، مما جعل الأحداث تسير ببطء شديد وملل ، لافتقادها التدفق الطبيعي وحرية الحركة .

أما وصف المؤلف لبيئة الأحداث ، فقد كان دقيقا ومفصلا مما يجعل القارئ يعيش جو الرواية عن كثب ، دون شعوره بالغموض تجاهها ، فقد أطلعنا على المناطق المختلفة في نيجيريا ، من حيث سكانها وعاداتها وقيمها ، وأحوالها الفكرية والسياسية والاقتصادية (٢) ، وهذا ما افتقدته رواية (ليالي تركستان) السابقة .

أما شخصيات الرواية فتقع ضمن ثلاثة أقسام رئيسية وهي :

القسم الاول : ومثله عثمان أمينو المسلم الملتزم بخط سياسي وفكري محدد .

القسم الثاني : ومثله نور ، وهو صديق حميم لعثمان ، ويعبر عن المسلم اللامبالي تجاه الأحداث .

القسم الثالث : ومثله الأب توم ، الذي وقف موقفا مضادا في مواجهة عثمان فكرا وسلوكا .

أما فيما يتعلق بعثمان أمينو ، فإن المؤلف قد أولاه كبير عنايته ، لأنه يمثل الشخصية الأولى في الرواية ، والأكثر امتدادا على صفحاتها ، وقد عرّفنا عثمان على نفسه بشيء من التفصيل في بداية الرواية ، فهو على حظ كبير من الثقافة والوعي ، يتقن العربية والإنجليزية ، إضافة إلى لهجات القبائل النيجيرية ، لكونه

---

(١) انظر : عالقة الشمال ، ص ١٦٩ - ١٨٤ .

(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص ٥ - ٦ ، ٨ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٦ - ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثير التنقل فيها بحكم عمله كتاجر للماشية ، وفي الوقت نفسه كان داعية للإسلام ، وقد انتمى سياسيا إلى حزب (السلاما) الذى كان برأسه أحمد بيللو، وهو شخصية نيجيرية مشهورة . ولم يمنع عثمان كونه ملتزما بالاسلام على المستويين النظري والعملي أن يخفق قلبه للحب ، حين رأى جاماكا التي اعتنقت المسيحية على يد المبشرين الأوربيين ؛ وذلك لأنه كان يشعر بحاجة شديدة إلى إمرأة يكمل معها مسيرة حياته ، فهو قبل كل شيء إنسان له غرائزه وحاجاته العضوية، وتلك حقيقة لا مراء فيها ، على العكس مما يظنه بعض الناس من أن الداعية المسلم يجب عليه أن يكون مترفعا عن هذه الغرائز والحاجات الضرورية ، ولهذا تعانقت لدى عثمان القضية العامة التي تتعلق بدعوته الإسلامية وعمله السياسي ، والقضية الخاصة المتعلقة بحبه لجاماكا دون تنافر أو تناقض . إن عثمان أمينو مثل المسلم الواقعي الذى لم يحلق في الخيال والعوالم الوهمية ، وإنما كان يعيش واقعه دون تزييف أو تكلف ، وقد كانت نظرته للإسلام نظرة شمولية متكاملة للإنسان والكون والحياة ، فالعبادة مثلا في رأيه كما يقول لجاماكا : " ليست العبادة صوما وصلاة وذكر فحسب . . ولكن المساهمة في تخليص المظلومين عبادة . . والانتصار لكلمات الله عبادة . . ونشر العدل والحرية عبادة . . . " (١) وقد أخذ على عاتقه السير في دعوته حتى النهاية ، على الرغم من المشكلات التي تواجهه والتي كان من أبرزها محاولة اغتياله ، إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة الطريق ، فاشترك في قتال الانفصاليين في بيافرا حتى تم القضاء عليهم . وإذا كانت الشخصية الايجابية تتميز بقدرتها على انتهاز الفرص وتؤثر فيمن حولها في محاولتها تغيير الواقع تجاه الأفضل وتترجم عواطفها إلى ممارسة عملية (٢) ، فإن المؤلف وفق في تصويره لعثمان أمينو في جعله متفاعلا مع الأحداث والشخصيات المختلفة ، فلم يعش على هامش الأحداث

---

(١) عالقة الشمال ، ص ١٠٢ .

(٢) انظر : عبد القادر القط ، في الأدب العصري ، ص ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متلقيا لها دون أن يتأثر بها أو يؤثر فيها ، كما نجح المؤلف أيضا في الوقوف على صراعات عثمان الداخلية والخارجية ، التي انعكست انعكاسا مباشرا على تصرفاته وأفعاله المختلفة .

قدم المؤلف عثمان بوسائل مختلفة ، فقد تعرفنا عليه من خلال تصويره في المواقف الحية وتفاعله مع الأحداث والشخصيات ، وتارة أخرى عن طريق حواره المستمر مع الشخصيات الأخرى على امتداد صفحات الرواية ، فكشف لنا هذا الحوار حقيقة مواقفه وأفكاره ، وما يضطرب في داخله من أحاسيس مختلفة . كما استطاع المؤلف أيضا إبراز صورة عثمان بشكل قوي وفعال من خلال إظهار التناقض الحاد بينه وبين كل من صاحبه نور والمبشر توم ، إذ أنه كان يختلف عنهما جذريا في نظرته للأمور السياسية والدينية ، مما أدى إلى اختلافه أيضا عنهما في سلوكه وتصرفاته العملية .

ولأن المؤلف اعتمد في سرد أحداث الرواية على عثمان فإن بعض آرائه وأفكاره قد تسللت عبر هذه الشخصية ، فأنطقها فوق ما تحتمل ، فكانت تعبر عن مواقف المؤلف أكثر من تعبيرها عن نفسها وواقعها ، ومن ذلك : حديث عثمان عن بعض القضايا السياسية المختلفة التي تناولت أوضاع السجون والمعتقلات ، ومفهوم الحرية ، والدعوة إلى وحدة الأمة ، وغيرها من القضايا (١) . وربما كان هذا التدخل من المؤلف عبر هذه الشخصية قد أتاحه استخدامه لأسلوب السرد بضمير المتكلم الذي يغري بهذا التدخل ، فيشكل بذلك تهديدا لفنية الرواية وقيمتها (٢) .

أما نور الذي مثل القسم الثاني ، فقد اقتصرت اهتماماته على مطاردة النساء وشرب الخمر وارتياد أماكن اللهو الأخرى ، حتى أصبح عبدا مطيعا لشهواته ، التي أفقدته شعور الانتماء لعقيدته ولأمته ولوطنه ، فعاش على هامش الأحداث ، دون أن يشارك فيها ، ولو مشاركة متواضعة ، إلا أن بعده عن المشاركة لم يمنعه من الوقوع في المحنة التي وقع فيها غيره من مسلمي نيجيريا ، إذ اعتقله الجيش باعتباره مسلما ولو بالهوية ، وأنزل به عذابا مهينا ، ولما لم تكن له قوة للثبات تحفظه من السقوط والضياع

---

(١) انظر : عالقة الشمال ، ص ٨٩ - ٩٠ ، ١٠٦ - ١٠٧ ، ١٥٢ ، ١٨٠ .

(٢) انظر : محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انهار أمام الاغراءات التي انهالت عليه من سجّانيه ، مقابل عمله جاسوسا على أخوانه وأصدقائه ، ومنهم صديقه عثمان أمينو . ولما تغيرت الأحوال ، وتبدلت الأوضاع ، وفشلت ثورة إيرونسي في مواجهة المسلمين ، دبس نور هذا بالأقدام ، فكان عبرة لغيره من المسلمين المتخاذلين . وقد كان حضور نور أقل امتدادا وأهمية من عثمان ، إذ صوره المؤلف في مواقف محددة ، ليظهر مدى اللامبالاة التي وصل إليها في تعامله مع الأحداث .

ويرى عماد الدين خليل ، أن صراع عثمان الملتزم بإسلامه مع صديقه نور المنحل ، لم يكن في الحقيقة صراعا بين رجلين ، وإنما هو امتداد بشكل غير مباشر لصراع عثمان مع نفسه ، الذي تولد عن تنازعها حول قيامه بواجبه تجاه دينه وأمته ، أو الركون للترف والملذات كصاحبه ، ولكن هذا الصراع كما يقول الدارس اتخذ على المستوى الفني ـ نمطا آخر تجسد في نور نفسه (١) .

أما المبشر الأب توم ، الذي مثل القسم الثالث والأخير من شخصيات هذه الرواية ، فإنه رمز للمطامع الاستعمارية الضاربة الجذور في أفريقيا ، وفي كثير من بقاع القارة السوداء ، إذ أن دخول المبشرين في بعثات تبشيرية مكثفة إلى نيجيريا قد ارتبط بالتوسع الأوروبي في التجارة ، والعمل على تسهيل مهمة الاستعمار وتنفيذ خططه وأهدافه ، وقد تركزت جهود المبشرين في وسط وجنوب نيجيريا ، وحرمت عليهم المنطقة الشمالية ، لأن المسلمين كانوا يحكمون السيطرة عليها (٢) . وقد بدا من بعض تصرفات الأب توم وكأنه رجل سياسي ذو خبرة واسعة في تنفيذ الأهداف السياسية من خلال اتباع الوسائل الميكافيلية الخبيثة ، فسعى لتحطيم وحدة نيجيريا شعبا وأرضا ، بإثارة النعرات المذهبية والقبلية فيها ، خدمة للمستعمرين وأهدافهم ، ولما رأى أن عثمان أمينو يقف بحزم في مواجهة خططه ، حاول اغتياله على يد أحد عملائه ، بعد أن فشلت جهوده في تشويه سمعته أمام القبائل

---

(١) انظر : محاولات جديدة في النقد الإسلامي المعاصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) انظر : محمود متولي ، أفريقيا والسيطرة الغربية ـ دراسة تحليلية للاستعمار البريطاني في نيجيريا حتى سنة ١٩٤٥م ، ص ٧٧ ، ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوثنية والمسيحية على السواء ، وقد ظهر تناقض الأب توم في وسائله وغاياته في الحوار الذى دار بينهما ، إذ يقول توم لعثمان : " لتكن الهوسا وحدها في الشمال .. والإيبو وحدها في الشرق .. واليوربا في الغرب .. "

ـ " كفى يا مستر توم "

ـ " أنا الأب توم .. "

ـ " إنك تسيء إلى أبناء الوطن الواحد .. وتذكر أنك أتيت تنشر دينك لا لتخطط لتمزيق الدولة إلى دويلات .. " (١)

ويلاحظ على المؤلف في تقديمه لتوم وتصويره له ، أنه يركز على بعض المواقف القليلة التي تظهره حقيقة انتمائه وطبيعة أهدافه على الساحة النيجيرية ، ولهذا كان حضور الأب توم أقل امتدادا من الشخصيات الأخرى كعثمان ونور ، إذ أنه اختفى عن الانظار في الوقت الذى تم فيه القضاء على الانفصاليين ، وتمكن عثمان من العثور على جاماكا واتفاقهما على الزواج ، للتدليل على أنه في حالة تحقق الوحدة الوطنية في نيجيريا بين الطوائف المختلفة ، فإن الدور الاستعماري فيها سيتراجع ويتقهقر ، كما اختفى الأب توم الذي كان يمثل إحدى الركائز الاستعمارية في هذه المنطقة .

وقد أشاد الدارس سعد أبو الرضا برواية (عالقة الشمال) لما طرحته من أفكار إسلامية في معالجتها لواقع المسلمين ، المأساوي (٢) ، دون أن يتعرض البتة إلى القنايا الفنية المختلفة ، التي استعان بها نجيب في طرحه لهذا الموضوع .

وإذا كانت رواية (عالقة الشمال) قد عالجت معاناة المسلمين في نيجيريا ، فإن رواية (الظل الأسود) ، قد طرحت الموضوع نفسه ، ولكن في الحبشة ، إذ حاول المؤلف في تناوله لهذا الموضوع أن يفضح الدور الذى لعبه الاستعمار الغربي ـ خاصة البريطاني والفرنسي ـ في الحبشة الذي دعم نفسه عن طريق تقديم المساعدات

---

(١) عالقة الشمال ، ص ٧٧ .

(٢) انظر : الأدب الإسلامي ، قضية وبناء ، ص ١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخبرات للقائد تفري (الذى عرف فيما بعد بهيلاسلاسي) لتحطيم معارضيه على الحكم ، كما كشف مدى اعتماد الدول الغربية على المبشرين في تحقيق ذلك ، وكان على رأس هؤلاء المبشرين القسيس ميثاوس ، الذي كان على اتصال وثيق مع بريطانيا للعمل على الإطاحة بالامبراطور المسلم إياسو . (١)

وقد تحركت بعض الدول الغربية بالتعاون مع عدد من رجال الكنيسة الأثيوبية للإطاحة بإياسو ، بحجة أنه مد يد المساعدة للأتراك في الحرب العالمية الأولى وساعد على تقليص نفوذ المسيحيين في الحبشة ، (٢) مع أن إياسو هذا قد لقي تأييدا كبيرا من شعبه مسلمين ومسيحيين ، حين تولى الحكم لما عرف عن عدله ورحمته لأبناء أمته بغض النظر عن عقائدهم ، فاستمر التآمر عليه حتى تمت الإطاحة به . وجيء بالقائد تفري (هيلا سلاسي) ليحل محله أخيرا ، وقد لقي هذا العمل معارضة شديدة من فئات الشعب المختلفة ، مما دفع بهيلاسلاسي لاستعمال العنف لقمع الانتفاضة الشعبية ، تدعمه بعض الدول الأوروبية ، حتى تمت له السيطرة الكاملة على البلاد ، ثم قام بإلقاء إياسو في المعتقل ، وفي سنة ١٩٣٥ دقت جحافل الايطاليين أبواب الحبشة ، فاستعد هيلاسلاسي للرحيل ، وقبل أن يفعل ذلك تخلص من إياسو نهائيا ، لما كان يعرفه عن التأييد الكبير الذي يلقاه من الشعب في حالة خروجه من معتقله سالما .

وقد استطاع المؤلف أن يحقق نوعا من التوازن بين الأحداث والشخصيات وإن ظلت الأحداث هي المسيطرة بشكل عام ، كما امتازت حبكة الرواية بتماسك معقول ، إذ قلّ اعتماد المؤلف على المصادفات والأفعال غير الواقعية للشخصيات ، كما تخلص من التحكم القسري في سير الأحداث ، فبدا تدفقها طبيعيا ومنطقيا .

---

(١) انظر : فتحي غيث ، الإسلام والبحشة عبر التاريخ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ وانظر أيضا : ياسين الحموي وداوود التكريتي ، الحبشة ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحمد للمؤلف تخلصه من الاستطرادات والحكايات الجانبية ، وتجاهله في جمع شتات الجزئيات المختلفة لتصب في المجرى الرئيسي للرواية ، الا أن ذلك لم يمنع وقوع الرواية في بعض العيوب الفنية ، ومن أهمها : المغالطة التاريخية التي وقع فيها المؤلف عندما ذكر أن بعض الدول العربية والإسلامية قد ساعدت الحلفاء في مواجهة تركيا خلال الحرب العالمية الأولى (١) ، مع أننا نعلم أنه في هذه الفترة لم تظهر بعد دول عربية أو إسلامية قائمة بحد ذاتها ككيان سياسي مستقل ، كما أن المؤلف لم يعمق لدينا الإحساس بالبيئة التي دارت فيها الأحداث ، فلولا ذكر المؤلف لاسم الحبشة لما عرفنا أن هذه الأحداث تجرى فيها . ولعل أكبر عيب فني وقعت فيه الرواية ، هو تلك القفزات الزمنية التي لجأ إليها المؤلف والممتدة من سنة ١٩٢١ حتى ١٩٣٠ ، فقد تكلم عن هذه الفترة بكلمات موجزة جدا (٢) ، وكان الأولى به الإحاطة بها حتى تكتمل الصورة بملامحها العامة في ذهن القارئ .

واقتصر اهتمام المؤلف في هذه الرواية على شخصيتين لهما وجود تاريخي وسياسي على أرض الواقع ، وهاتان الشخصيتان هما : الامبراطور إياسو ، وعدوه اللدود هيلاسلاسي ، الذي استطاع التخلص من إياسو وخلعه عن الحكم . أما الشخصيات الثانوية الأخرى ، فلم تكن لها أدوار مميزة وبارزة بشكل كبير ، إذ أنها كانت عوامل كشف وإضاءة لهاتين الشخصيتين ، لإننا تعرفنا على كثير من سماتهما من خلال هذه الشخصيات الثانوية . ومن هذه الشخصيات : ميكائيل ، وزوديتا ، والفن .

وقد نجح المؤلف في الوقوف على شخصية إياسو التي تجسدت فيها مبادئ الإسلام ، وإن كان هذا التجسد أقل حظا وعمقا مما رأينا ، في شخصيتي فاطمة في (عذراء جاكرتا) ، وعثمان في (عالقة الشمال) . وقد كان اهتمام المؤلف منصبا على إبراز الصراعات المختلفة التي تدور في أعماقه ، فلم يعر مظهره الخارجي أي اهتمام ، ومن أهم هذه الصراعات ، تلك المعاناة النفسية الحادة التي عاشها والناجمة

---

(١) انظر : الظل الأسود ، ص ١٠٥

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن إخفائه لإسلامه ، بينما كان أركان حكمه ، وأهله وأقاربه منتمين للمسيحية ، فكان لزاما عليه أن يظهر أمام نفسه في خلوته بمظهر يناقض تماما مع ما يظهره أمام كل هؤلاء ، وتطور هذا الصراع ليصبح خارجيا عندما أعلن إسلامه على الملأ فتربص به الأعداء وهم كثر ، خاصة عندما أعلن مساندته التامة لتركيا في حربها ضد الحلفاء ، وكان ذلك سوء تقدير منه ، إذ أنه لم يكن على وعي كامل بالمؤامرات التي كانت تحاك ضده في الخفاء ، وقد شجع تصرفه هذا بعض الدول الغربية على التدخل بشكل مباشر وغير مباشر في شؤون الحبشة ، مما أعطى الفرصة السانحة لأعدائه لإسقاطه بصورة مأساوية .

أما الشخصية المضادة لإياسو ، فقد مثلها القائد هيلاسلاسي ، الذي اتبع الوسائل الميكافيلية للوصول إلى الحكم ، فمرة كان يتعاون مع الكنيسة ، ومرة أخرى كان يقوم بمجازر وحشية ضد معارضيه ، ووصل الأمر به في آخر الأمر إلى طلب المساندة من فرنسا لتدعم نفوذه للسيطرة على البلاد ، فدعمته بسلاح الطيران (١) ، الذي لولاه لخسر الحكم والسلطة .

قدم المؤلف هيلاسلاسي على دفعات مختلفة من خلال أساليب عديدة ، كالسرد المباشر والحوار والمواقف العملية ، وكلها تآزرت على إعطاء صورة متكاملة عن ملامحه داخليا وخارجيا ، إلا أن المؤلف ونتيجة وقوفه موقفا مضادا له ، قد بالغ في تصوير أفعاله التي بدت كأبشع واقبح ما تكون ، وقد أدى ذلك بالمؤلف إلى مخالفته لبعض الحقائق التاريخية مخالفة صريحة ، مما جعل تصويره له يصيبه بعض التزييف مع " أن تصوير الشخصيات تصويرا صادقا هو الذي يكسبها عنصر الحياة . "(٢) ومن هذا التزييف الذي لحق بشخصية هيلاسلاسي ، زعم المؤلف أن هيلاسلاسي قام باغتيال عدد من معارضيه على الحكم ، ومنهم والد زوجته ميكائيل ، مع أن أكثر من

---

(١) انظر:: ياسين الحموي ، وداوود التكريتي ، الحبشة ، ص١٣١ - ١٣٢ .
(٢) عمر الطالب ، الفن القصصي في الأدب العراقي الحديث ، منشورات مكتبة الاندلس ١٩٧١م ، ٢١٦/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤرخ يرى أنه بعد انتصار هيلاسلاسي على ميكائيل لم يقتله ،بل رق قلبه لحاله وأكرمه ، وقام وأجلسه مكانه(١)ومنهم أيضا الامبراطورة زودينا ،التي زعم المؤلف أن هيلاسلاسي تخلص منها بالسم ، مع أنها توفيت نتيجة مرض صدري مزمن كانت تعاني منه منذ أمد طويل (٢) .

كما وقع المؤلف ـ أحيانا ـ في شرك الدعاية السياسية المكشوفة في حديثه عن هيلاسلاسي ،وذلك في مهاجمته له بعنف دون مبرر معقول ،خاصة أن مواقف هيلاسلاسي قد أوحت بشكل لا يقبل الجدل مدى القسوة التي كان يتصف بها ، ومن ذلك قول المؤلف عنه : " وهيلاسلاسي اللعين يدوس الأشلاء والجماجم والمقدسات ، ويصعد إلى الأعلى .. ورؤوس الشعب تنحني ..."(٣) . وقوله أيضا :" ولتصمت أجراس هيلاسلاسي اللعين .. ويسقط عهد الثعالب والذئاب.." (٤)

وقبل أن أختم الحديث عن روايات نجيب الكيلاني السياسية ، للانتقال الى تحديد موقعها من مسيرة الرواية السياسية في مصر ، لا بد من التعرض لملاحظة مهمة تتعلق بمدى التزام نجيب بالحقائق التاريخية السياسية التي اتكأ عليها في رواياته . ويرى الباحث من خلال دراسته لهذه الروايات أن نجيبا قد التزم التزاما كبيرا بهذه الحقائق في رواياته التي تناولت المواقع السياسي في مصر، بشكل أفضل من رواياته التي عرضت القضايا والمشكلات السياسية التي تواجه المسلمين في بعض مناطق العالم ، التي تقع خارج حدود الوطن العربي ،وهي روايات (عذراء جاكرتا) ،و (ليالي تركستان) ،و (الظل الأسود) ،و (عالقة الشمال) ،وربما كان سبب ذلك هو أن المؤلف في رواياته هذه قد أنطلق في معالجته لموضوعاتها

---

(١) انظر : لوثروب ستودارد ،حاضر العالم الإسلامي ،٣/ ٨٠ . وياسين الحموي وداوود التكريتي ،الحبشة ،ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٢٢ ،كما نفى فتحي غيث مقتل زودينا بالسم . انظر : الإسلام والحبشة عبر التاريخ ،ص ٢٦١ .

(٣) الظل الأسود ،ص ١٩٢ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من تصورات فكرية إسلامية مسبقة جعلته يحدث بعض التغييرات في تفسيره للأحداث وتعليقه على مواقف بعض الشخصيات لتتفق ووجهة نظره التي يريد طرحها ، أما رواياته التي عرضت الواقع السياسي في مصر،فإن المؤلف لم تكن لديه اتجاهات وتصورات فكرية محددة الملامح بشكل عام، وإنما جاء تصوره مزيجا من الاتجاهات المختلفة وطنية، وقومية، وإسلامية دون غلبة عنصر على آخر بصورة بارزة ،ولئن أظهرت روايتا (رمضان حبيبي) و (رحلة إلى الله) ، تغيرا كبيرا في نظرة نجيب في تعامله مع الواقع السياسي، حين اهتم إلى حد كبير بطرح الأفكار والتصورات الإسلامية في نظرته وتفسيره لهذا الواقع . كما أنه لا بد من القول إن هذه الروايات التي طرحت هذا التصور الإسلامي في معالجة الأحداث السياسية قد تفاوتت فيما بينها في مدى التزامها بالحقائق التاريخية السياسية ، فروايتا : (ليالي تركستان) و (عالقة الشمال) كانتا أكثر التزاما بعرض هذه الحقائق إلى حد ما من (الظل الأسود) و (عذراء جاكرتا) اللتين غيّر المؤلف فيهما بعض مواقف الشخصيات،لتخدم بعض تصوراته الفكرية المسبقة التي يريد طرحها .

++++++++++++++++++++++++++++++++

وإذا كانت لأساليب السرد المختلفة قيمة عالية ودورهم في بعث الحياة والحركة في شخصيات الرواية وأحداثها ، لتستطيع نقل ما يجري في الواقع إلى صورة لغوية ، فإن روايات نجيب الكيلاني السياسية قد حفلت بأكثر من أسلوب سردي في طرحها الموضوع السياسي . وقد سيطر أسلوب السرد بضمير الغائب على إحدى عشرة رواية ، بينما لجأ المؤلف إلى السرد بضمير المتكلم على لسان إحدى الشخصيات في روايات ثلاث وهي : (ليالي تركستان) ،و (عالقة الشمال) ، و (الطريق الطويل) ، أما رواية (عمر يظهر في القدس) فقد تفردت من بين رواياته السياسية بتداخل الأسلوبين معا ، فتارة يتولى المؤلف نفسه السرد واصفا أو معلقا أو مقدما للشخصية ، وتارة أخرى نرى إحدى شخصيات الرواية تتحدث بضمير المتكلم في تعليقها على الشخصيات والأحداث،وتولى ذلك الشخصية المرافقة لعمر بن الخطاب في فترة وجوده في القدس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأتاح أسلوب السرد المباشر للمؤلف حرية كبيرة في تحليل الشخصيات ، والتغلغل في أعماقها النفسية . أما السرد بضمير المتكلم ، فإنه أفاد المؤلف في جعل القارئ يزداد قربا من أحداث الرواية وشخصياتها ، لما يمتاز به هذا الأسلوب من قدرة على التأثير في النفس ، كما أنه يوهم بصدق الأحداث وواقعية الشخصيات ، مما يؤدي إلى نوع من التقمص العاطفي ، والمشاركة الوجدانية بين القارئ والشخصية الراوية للأحداث (١) .

واستعان المؤلف بالوسائل الفنية الحديثة ، لإضفاء جو من الحيوية والصدق على رواياته السياسية ، فقد احتل أسلوب الحديث النفسي مكانة بارزة في الكشف عن الشخصيات في عالمها الداخلي ، ويلاحظ على هذا الحديث النفسي النظام ، وعدم اللجوء إلى التشتت والغموض ، فبدا قريبا من الجو الواقعي للشخصيات ، لعدم انقلابه إلى فوضى وتراكمات مختلطة لا يخرج القارئ منها بشيء ، فالتداعي الجميل هو الحرية المنظمة ، أو النظام الحر ، يعانق فيه الرصد الواعي ، لاستذكار الحالم بفاعلية . . . وتأتلف فيه الحرية ، والضرورات الداخلية ، فلا شطحات خيال تستلب من القصة ملامحها وموضوعها وحدودها . . . "(٢)

وقد احتل أسلوب الحديث النفسي مكانة بارزة ومميزة في روايات : (رمضان حبيبي)(٣) و (في الظلام)(٤) و (رحلة إلى الله)(٥) ، و (حكاية جاد الله)(٦) ، و (رأس الشيطان)(٧) ، وقد مكن هذا الأسلوب المؤلف من النفاذ إلى أعماق الشخصية مباشرة دون حواجز ، للوقوف على ما يجري بداخلها من صراعات وتأملات ، إذ أن التأمل

---

(١) انظر : لين ولتبنير ند ، وليزلي لويس ، الوجيز في دراسة القصص ص ١٥٠ - ١٥١ .
وانظر أيضا : عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص ٤٥ .
(٢) عبد الجبار عباس ، في النقد القصصي ، ص ١٨٢ .
(٣) انظر : ص ٨ ، ٩ ، ١١ - ١٢ ، ٣٨ - ٣٩ ، ١١٢ .
(٤) انظر : ص (٤ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٩ - ٧٠ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٩٩ - ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٢٨ ، ١٤٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
(٥) انظر : ص ١٨ - ١٩ ، ٢١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
(٦) انظر : ص ٤ ، ٣٧ - ٣٨ ، ٤٢ - ٤٣ ، ٦١ - ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ١١١ .
(٧) انظر : ٤٠ - ٤٢ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٧٣ - ٧٤ ، ١٠٠ - ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٩٩ - ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومحادثة النفس يشغل حيزا كبيرا من حياة الانسان ، فعلى الروائي أن يولي ذلك اهتمامه الكبير ، لنقل صورة واقعية دون تزييف للشخصيات (١) .

وإضافة الى استخدام المؤلف للحديث النفسي ، فقد استعان أيضا بأساليب سردية أخرى ، ساعدت على تطوير الأحداث ، والكشف عن مواقف الشخصيات ومن هذه الأساليب التذكر (٢) ، والرسائل (٣) والمذكرات (٤) ، إلا أن ثمة ملاحظة تتعلق بأسلوب الرسائل ، وهي أن معظم المواضع التي استعان فيها المؤلف بالرسائل ، لم تؤد أغراضا ذات قيمة كبيرة ، فكانت معظم هذه الرسائل تنويعا لأساليب السرد ليس أكثر .

ولعل أهم ما تمتاز به روايات نجيب الكيلاني السياسية اعتمادها الواسع على الحوار ، الذي استطاع أن يؤدي وظائفه بدرجة كبيرة ، من أهمها : رسم أبعاد الشخصيات الخارجية والداخلية ، وتصوير صراعاتها المختلفة ، والمساعدة على تطوير الأحداث ، واستحضار الحلقات المفقودة منها (٥) . ويمكن القول - دون تزيد - إن قسما من روايات نجيب السياسية يعتبر روايات حوارية بالدرجة الأولى وهي : (ليل العبيد) ، و (رحلة إلى الله) ، و (عذراء جاكرتا) ، و (الظل الأسود) ، و (عمالقة الشمال) ، و (ليالي تركستان) ، و (عمر يظهر في القدس) ، و (رمضان حبيبي)

---

(١) انظر : محمد زغلول سلام ، دراسات في القصة العربية الحديثة ، ص ٢٦ .

(٢) انظر : رأس الشيطان ، ص ٩ - ١٠ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٩٩ .
وليل العبيد ، ص ٤١ ، ٤٥ ، ١٣٦ . ورحلة إلى الله ، ص ٤٤ - ٤٥ ، ٦٧ ، ٣٦١ ، ٤٤٥ ، وعذراء جاكرتا ، ص ١٢ ، ٢٢ ، ٥٩ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٦٤ .

(٣) انظر : الطريق الطويل ، ص ٩٥ - ١٠٠ ، ١٠٤ - ١٤٣ ، ١٨٠ - ١٨١ ، ١٩١ - ١٩٢ ، وأرض الأنبياء ، ص ١١٩ - ١٢٢ ، ١٩٩ - ٢٠٠ . والظل الأسود ، ص ٨٢ - ٨٤ . وعمالقة الشمال ، ص ١٢٠ - ١٣٢ ، وليالي تركستان ، ص ١٢ - ١٣ . والنداء الخالد ، ص ٩٤ - ٩٥ ، ١٧٣ - ١٧٤ .

(٤) انظر : في الظلام ، ص ١٧٠ - ١٨١ .

(٥) انظر : محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص ١١٨ - ١١٩ ، وعزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل طبيعة الموضوعات التي تناولها المؤلف في هذه الروايات ، قد فرضت نفسها على الأسلوب في الاعتماد الكبير على الحوار ، لأن هذه الموضوعات تضمنت قضايا فكرية محددة ، وحتى يمكن إبرازها والإفصاح عنها ، لا بد من الوقوف على الشخصيات مباشرة من خلال الحوار وليس السرد المباشر . كما أن التطور الزمني لحياة نجيب الروائية ، قد ساعده على التخلص إلى حد بعيد من التقارير السردية المباشرة والمطولة ، فاعتمد على الحوار المكثف ذي الدلالات والإيحاءات العميقة .

وقد كانت روايات (النداء الخالد) ، و (أرض الانبياء) و (رأس الشيطان) ، من أقل روايات نجيب السياسية في استنادها إلى الحوار ، إذ لم يشكل فيها العنصر الغالب والمسيطر ، مما جعل المؤلف يميل إلى التقارير المباشرة في عرضه للأحداث والشخصيات .

وجاء الحوار مناسبا لمستوى الشخصيات الفكري والاجتماعي بشكل ملحوظ ، فكان صادقا في نقل أفكارها ومشاعرها دون مبالغة ، وهذا لا ينفي أن تعبر بعض الشخصيات عن آراء وأفكار المؤلف نفسه لا عن واقعها كما هو (١) ، كما أن بعض العبارات الجاهزة قد أثقلت كاهل الحوار وأضعفته ، فبدا متهافتا في التعبير عن الشخصية (٢) .

أما فيما يتعلق بقضية لغة الحوار القصصي ، فقد أثارت جدلا عنيفا بين عدد من الأدباء والنقاد ، فقد رأى كل من طه حسين (٣) ومحمد مندور (٤) ومحمد غنيمي

---

(١) انظر : أرض الأنبياء ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، ٢٤٤ ؛ وليالي تركستان ص ٩٤ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ؛ وعمر يظهر في القدس ، ص ١١ ، ٣٥ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١١٢ .

(٢) انظر : عمالقة الشمال ، ص ٣٢ - ٣٥ . وعمر يظهر في القدس ، ص ١١ ، ٧٣ ، ١٨١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، وليالي تركستان ، ص ٣٥ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ١٣٧ ، . ورأس الشيطان ص ١٩٣ - ١٩٤ ، والنداء الخالد ، ص ٤٦ ، ٢٠١ .

(٣) انظر : مقدمة ألوان من القصة المصرية ، دراسة محمود أمين العالم ، دار النديم دون تاريخ ، ص ١٤ - ١٥ .

(٤) في الأدب والنقد ، ص ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هلال (١) ، ومحمود تيمور (٢) ومحمد شفيع الدين (٣) استخدام اللغة الفصيحة في الحوار القصصي ؛ لقدرتها على التعبير عن المواقف المختلفة للشخصيات ، بغض النظر عن مستوياتها الفكرية والاجتماعية ؛ لأن واقعية اللغة في التعبير عن الشخصيات لا تعني نقل لغتها كما هي ، بل تعني أن يحيل الأديب هذه اللغة إلى نفسه ، ثم يترجم بها عن الشخصيات ترجمة صحيحة وملائمة لمستوياتها العقلية والنفسية ، فلا يتحدث مثلا أمي حديث الفلاسفة والعلماء ؛ لأن ذلك مخالف الواقع الشخصية ، فتبدو مزيفة لتعبيرها عن آراء المؤلف أكثر من تعبيرها عن نفسها .

ومن الأدباء من استخدم العامية في الحوار لإضفاء جو من الواقعية والصدق على الشخصيات لتبدو حية ومقنعة إلى حد كبير ، ومن هؤلاء ، عبد الرحمن الشرقاوي في روايته (الأرض) ، وتوفيق الحكيم في (يوميات نائب في الأرياف) ، ويوسف إدريس في (قصة حب) .

ومن الباحثين من يرى جواز استخدام بعض الألفاظ والتعابير العامية ، إذا كان ذلك يخدم موقفا فنيا معينا ، مما يساعد على رسم دقيق لملامح الشخصية (٤) .

ومال نجيب محفوظ في الحوار إلى استعمال اللغة الفصحى المبسطة البعيدة عن التقعر والتعقيد ، وتقرب هذه اللغة من الاستعمال الدارج في الحياة اليومية ، ويطلق على هذه اللغة (اللغة الوسطى أو الثالثة) ، وهي : لغة " فصيحة في المفردات والإعراب ، عامية من ناحية تركيب الجملة ودلالة مفرداتها ، وتعبيراتها فصيحة تقترب من الاستعمال العامي إذا قرئت بتسكين أواخر كلماتها ." (٥)

---

(١) انظر : النقد الأدبي الحديث ، ص٦٧٢ - ٦٧٣ .
(٢) انظر : أدب وأدباء ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص٦٣-٦٥ .
(٣) انظر : اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧ ، ص ٢١٠ .
(٤) انظر : محمود السمرة ، في النقد الأدبي ، ص٣١ وعبد القادر القط في الأدب المصري ، ص ١٦٤ .
(٥) انظر : يوسف نوفل ، قنابل الفن القصصي ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما نجيب الكيلاني فقد لجأ إلى اللغة الفصيحة في الحوار القصصي بشكل عام في رواياته السياسية ، وهذه اللغة بعيدة عن الغموض والتكلف ، إذ أن نجيبا يؤكد على ضرورة استخدام اللغة الفصيحة ، فيقول : "إن اللغة الفصحى هي لغة الفن والكتابة والعلم أيضا ، لأنها لغة محددة الاصطلاحات والدلالات ، ولست أقصد بالفصحى لغة القواميس ذات الكلمات المهجورة التي عفا عليها الزمن ولم تعد مناسبة ، وإنما أقصد الفصحى المفهومة السلسلة ."(١)

وإلى جانب التزام نجيب بالفصحى في الحوار ، فإنه استخدم اللغة الوسطى ـ أحيانا ـ في الحوار في عدد من رواياته السياسية ، وغالبا ما يكون للتعبير عن مواقف بعض الشخصيات ذات المستويات الاجتماعية والثقافية المتدنية ، ومن هذه الروايات روايات : "رحلة إلى الله" (٢) ، و "الطريق الطويل" (٣) ، و "ليل العبيد" (٤) . ومن الملاحظ على هذه الروايات ، أنها تناولت قضايا سياسية محلية في مصر ، فاستطاع المؤلف ـ لكونه مصري الجنسية ـ استخدام بعض التعابير الخاصة بالمصريين ، بينما لم يتيسر له التعبير بهذه اللغة المبسطة الدارجة على ألسنة المسلمين في الروايات التي عالجت بعض القضايا السياسية للعالم الإسلامي ، وهي روايات : (عالقة الشمال) ، و(ليالي تركستان) ، و (الظل الأسود) ، و (وعذراء جاكرتا) ، فمال إلى استخدام اللغة الفصحى في إدارة حوار الشخصيات . ومن أمثلة استخدام المؤلف للغة الوسطى، حوار خضرة مع زوجها الشيخ حافظ ولومه على اهتمامه الشديد بالأمور السياسية حيث يقول :

" ـ أمرك عجيب ياشيخ حافظ . . الكلام في السياسة هو حشيشك وأفيونك . . يارجل استرح قليلا من وجع الدماغ ، والنبي السياسة ليس وراءها غير الفقر وخراب البيوت والصداع . .

ـ اخرسي ياخضرة وإلا سددت فمك بطريقتي الخاصة . .

ـ طول النهار لا يسكت لسانك عن الكلام في اليهود والإنجليز و . . ."(٥) .

---

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص ٧٦ .
(٢) انظر : ص ٢٠ ، ٦٩ ـ ٣٠٩ .
(٣) انظر : ص ٣٠ ، ٣٢٣ ، ١٠٧ ، ٢٤٣ .
(٤) انظر : ص ٩ ، ١٠ .
(٥) الطريق الطويل ، ص ٢٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- موقع روايات نجيب الكيلاني السياسية من مسيرة الرواية السياسية في مصر:

كان للقضايا السياسية التي عاشتها مصر قبل وبعد ثورة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢م انعكاسات مباشرة وقوية على الإنسان المصري ،تركت آثارا حادة على حياته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ،فليس غريبا إذن أن نجد لهذه القضايا صدى واسعا في أعمال الروائيين في مصر ،خاصة بعد قيام ثورة ١٩٥٢م ، فظهرت روايات النضال الوطني ، رغبة منها في تأكيد الذات الوطنية ،وإبراز روح الكفاح والنضال الكامنة في أعماقها (١) ، كما تناول بعض الأدباء أيضا بعض سلبيات حكومة الثورة ،التي تركت بصماتها على المجتمع المصري ، ومن أهم القضايا التي عالجها الأدباء في هذا المضمار ،قضية الاستبداد السياسي وكبت الحريات .

ومن الأدباء الذين اهتموا بالواقع السياسي في مصر قبل ثورة ١٩٥٢م ، يوسف ادريس في روايته (قصة حب) (٢) ،وإحسان عبد القدوس في روايته (في بيتنا رجل) (٣) وعبد الرحمن الشرقاوي في روايته (الشوارع الخلفية) .

عرضت روايتا (قصة حب) ،و (في بيتنا رجل) حركة المقاومة الوطنية في مواجهة نظام الملك فاروق ،وما لاقته الحركة الوطنية من قهر وإرهاب على يد مخابرات النظام، كما عرضت هاتان الروايتان الأساليب المختلفة التي لجأت إليها المقاومة في تصديها للنظام ، وقد سيطر أسلوب السرد المباشر والتقارير على رواية إحسان عبد القدوس ، بينما مال يوسف إدريس إلى استخدام أفضل للحوار في تطوير الأحداث ،والكشف عن الشخصيات ، وإن اعتمد لربط اجزاء روايته على المصادفة ، كما أنه أعطى الطبقة الفقيرة الدور الأساسي في قيادة المقاومة الوطنية (٤) .

وإذا كانت روايتا إحسان عبد القدوس ويوسف إدريس قد عالجتا الواقع السياسي المصري

---

(١) انظر : محمد شفيع الدين ،اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧م ،ص٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) صدرت سنة ١٩٥٦م.

(٣) صدرت سنة ١٩٥٧م.

(٤) انظر: محمد شفيع الدين ،اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧ ،ص٢٢٠ وعبد الحميد عبد العظيم ، يوسف إدريس والفن القصصي ،دار المعارف ،مصر ، ١٩٨٠م ،ص٥٧ - ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

قبل قيام ثورة ١٩٥٢م بفترة وجيزة ، فإن رواية (الشوارع الخلفية) لعبد الرحمن الشرقاوي قد عرضت صورا من الكفاح الوطني في الفترة الممتدة ما بين ١٩٣٥- ١٩٣٦ ، إذ طالبت الجماهير المصرية بضرورة عودة دستور سنة ١٩٢٣م والاستقلال عن بريطانيا ، فجوبهت حركة الجماهير هذه بمقاومة شرسة من النظام ، الذي زج بالآلاف في المعتقلات ، وكانوا في معظمهم من الطلاب . ولعل رواية (الشوارع الخلفية) تفوق روايتي (قصة حب) و (في بيتنا رجل) في ابتعادها أكثر عن اسلوب السرد المباشر للأحداث ولمواقف الشخصيات ، فقد استعان بالوسائل الحديثة كحديث النفس والحوار اللذين كانا أكثر حضورا وفعالية مما ساهم في تطوير الأحداث والكشف عن الشخصيات بشكل أفضل .

أما على صعيد نقد الوضع السياسي لثورة ١٩٥٢م ، فقد احتل نجيب محفوظ مكانة بارزة في تسليطه الأضواء على بعض السلبيات التي وقعت فيها ، مما شكك في رجالها ومبادئها ، خاصة في بعض الفقرات التي شهدت تضييقا على الحريات العامة . ومن روايات نجيب التي عرضت ذلك ، روايات : (ثرثرة فوق النيل) (٢) ، و (ميرامار) (٣) ، و(الكرنك)(٤) و (أمام العرش) (٥) .

عرضت روايات (ثرثرة فوق النيل) ، و (ميرامار) و (الكرنك) لبعض العيوب التي وقعت فيها الثورة المصرية فانعكست سلبا على الإنسان المصري في النواحي المختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وقد كانت رواية (الكرنك) أكثر صراحة وعنفا في مهاجمتها للثورة ، وإن كان مستواها الفني لم يرق إلى المستوى الرفيع الذي وصلته روايتا (ثرثرة فوق النيل) ، و (ميرامار) مما دفع ببعض الدارسين إلى اعتبارها من الروايات الهابطة فنيا في معالجتها للموضوع السياسي لنقدها المباشر للواقع السياسي ، وفقدانها الرؤية العميقة في معالجته (٦) ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل امتد ببعضهم إلى اتهام الرواية

---

(١) صدرت سنة ١٩٥٨م .
(٢) صدرت سنة ١٩٦٥م .
(٣) صدرت سنة ١٩٦٧م .
(٤) صدرت سنة ١٩٧٤م .
(٥) صدرت سنة ١٩٨٣م
(٦) انظر: شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية الحديثة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ١٩٧٨م ، ص ١٧١ ، ٢١٢ - ٢١٣ . وسيد حامد النساج ، بانوراما الرواية العربية الحديثة ، ص ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأنها كانت أقرب للتقارير الصحفية منها إلى العمل الروائي (١) .

أما رواية نجيب محفوظ الرابعة (أمام العرش) ، التي عالجت بعض سلبيات حكومة الثورة بصورة جزئية ، فلا نبالغ إذا قلنا إنها أقرب إلى الاستعراض التاريخي للقضايا السياسية منها إلى العمل الروائي ، إذ أقحم المؤلف نفسه إقحاما شديدا من خلال فرض أفكاره وآرائه المختلفة ، مما جعل من شخصياته دمى جامدة تحركها أصابعه ، دون أن يترك لها حرية الحركة والتعبير . ويستشف من هذه الرواية ، أن نجيب محفوظ يميل بقوة وصراحة إلى تأييد اتفاقية كامب دافيد التي عقدها أنور السادات مع اسرائيل سنة ١٩٧٨م ، وموقفه هذا ليس غريبا ، إذ أنه وتوفيق الحكيم وحسين فوزي ، قد أعلنوا صراحة عن رغبتهم بضرورة إجراء الصلح مع اسرائيل قبل توقيع معاهدة كامب ديفيد ، وكان ذلك سنة ١٩٧٢م ، في ندوة فكرية عقدت بحضور الرئيس الليبي معمر القذافي بدار الأهرام ، وقد دارت أبحاث هذه الندوة حول الإسلام من ناحية ، وفلسطين من ناحية أخرى (٢) . وأما موقف نجيب محفوظ من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، فهو موقف الشكك والطاعن في سياسته وأساليبه في الحكم على المستويين الداخلي والخارجي .

ويمكن القول في نهاية الحديث عن روايات نجيب محفوظ السياسية ، إنها استطاعت رصد الواقع السياسي في مصر بعد ثورة ١٩٥٢م ، وإبراز مدى الخلل الاجتماعي والاقتصادي الناتج عن الفساد السياسي ، وتصور أجهزة الحكم ، مما مهد تمهيدا منطقيا لوقوع كارثة حزيران سنة ١٩٦٧م .

---

(١) انظر : غالي شكري ، المنتمي ، دراسة في أدب نجيب محفوظ ، منشورات دار الآفاق بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، ص و من مقدمة الكتاب ، وعبد الجبار عباس ، في النقد القصصي ، ص ٤٧ .

(٢) انظر: غالي شكري ، المنتمي ، دراسة في أدب نجيب محفوظ ، مرجع سابق ، ط من المقدمة ، وذكر غالي أيضا أن صحيفة الأهرام نشرت الجزء الخاص بالإسلام ، وتجاهلت الجزء المتعلق بالقضية الفلسطينية في ١٩٧٢/٤/٧م ، وقد بحثت مرارا للعثور على هذا العدد فلم أتمكن من ذلك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من أن القضية الفلسطينية قد تركت آثارا عميقة في عدد من المجتمعات العربية بطريق مباشر أو غير مباشر ، فشغلت حيزا مهما من تفكير الإنسان العربي وطاقاته السياسية والاقتصادية والفكرية ، فإن معظم الروائيين المعروفين في مصر ، قد تجاهلها تجاهلا تاما ، فلم نجد لهم عملا روائيا واحدا يعالج هذه القضية المتعددة الجوانب مع أن مصر من الدول العربية القليلة التي انعكست عليها هذه القضية انعكاسا مباشرا وقويا وخاضت من أجلها أكثر من معركة ، وقدمت الشيء الكثير من التضحيات في سبيلها .

ومن الأدباء المصريين القلائل ، الذين رصدوا أحداث هذه القضية ، أويمان أحدهما (١) على جانب كبيرة من الشهرة وذيوع الصيت ، وهو يوسف السباعي في روايته (طريق العودة) و (ابتسامة على شفتيه) (٢) . أما الآخر فهو أديب مغمور في الأوساط الأدبية ، وهو يوسف سالم في روايته (دقت الساعة يا فلسطين) (٣) .

عالجت رواية (طريق العودة) أحداث القضية الفلسطينية معالجة رومانسية عاطفية ، دون أن تحلل بوعي وعمق طبيعة الصراع مع العدو الاسرائيلي ، فبدت شخصياتها - في الحقيقة - غير مؤهلة لقيادة المقاومة في مواجهة العدو ، لأنها أصلا لم يكن لديها تصور حقيقي وواضح للمشكلة الفلسطينية ، وقد تجسد هذا في بطل الرواية إبراهيم ، الذي لم يذهب للجيش إلا هروبا من مشكلاته الخاصة ، ولم يكن حبا في القتال من أجل فلسطين (٤) . كما لعبت الصدفة دورا مهما في سير وتطور الاحداث مما أدى إلى إضعاف حبكة الرواية وتهافتها (٥) . أما صورة فلسطين وانعكاسها في الرواية سواء أكان

---

(١) صدرت سنة ١٩٥٦م .
(٢) صدرت سنة ١٩٧١م .
(٣) صدرت سنة ١٩٦٢م .
(٤) انظر : نبيل راغب ، فن الرواية عند يوسف السباعي ، مكتبة الخانجي القاهرة ، دون تاريخ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، وصالح أبو إصبع ، فلسطين في الرواية العربية ، ص ١٢١ . وصبرى حافظ ، فلسطين في الرواية العربية ، مجلة الآداب ، السنة ١٢ ، العدد ٤ ، نيسان ، ١٩٦٤ ، ص ٢٥ .
(٥) انظر : صالح أبو إصبع ، فلسطين في الرواية العربية ، ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك في بيئة الأحداث ام في تفاعل الشخصيات بعضها البعض ،أو من خلال تفاعلها مع الأحداث فقد كانت باهتة وخافتة لا قيمة لها ،حتى أن القارئ يخرج بنتيجة أن هذه الرواية لم تعرض في الحقيقة إلا بعض مناوشات عسكرية بين الجيشين المصري والإسرائيلي في المنطقة الحدودية لا أكثر . ويمكن القول بشكل عام إن رواية (طريق العودة) ،لم ترق إلى المستوى المطلوب شكلا ومضمونا .

أما رواية (ابتسامة على شفتيه) ، فقد صورت اشتداد ساعد المقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة بعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م ،وقدرتها على المواجهة والثبات في وجه العدو الاسرائيلي ، وتجلى ذلك بوضوح في خوضها معركة الكرامة سنة ١٩٦٨م ، التي أكسبتها تأييدا جماهيريا واسعا ، مما أحيا الأمل في نفوس الكثيرين ،ممن سيطر عليهم اليأس والتشاؤم بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م ، وقد كانت هذه الرواية أنضج فنيا من رواية (طريق العودة) ،من حيث الرؤية والاداء الفني ،إذ برزت شخصياتها وهي على وعي كامل لطبيعة الصراع مع العدو ،فاتخذت لنفسها الكفاح المسلح سبيلا لحسمه ،أما أحداث الرواية ،فقد تميزت بواقعيتها إلى حد بعيد ،فقد ابتعدت عن المصادفات والمبالغات كالتي اعتمدت عليها رواية (طريق العودة).

أما رواية (دقت الساعة بفلسطين) ليوسف سالم ،فلم تنجح في معالجتها للقضية الفلسطينية ،لكثرة العيوب الفنية التي وقعت فيها ،إذ أن المؤلف وقع في شرك النزعة الخطابية بشكل كبير ،حتى كادت الرواية تتحول إلى مقالات سياسية مطولة في استعراضها للواقع السياسي ومعالجتها لهذه القضية المهمة ،كما كان للاحداث غير الواقعية والمغامرات الخيالية نصيب بارز وحضور فعّال على صفحات الرواية.وقد دفع كل ذلك أحد الدارسين إلى اعتبار هذه الرواية ضمن الروايات التي هبط مستواها الفني عن الأدب الجيد ، في معالجتها لهذه القضية (١) .

---

(١) انظر : صالح أبو إصبع ،فلسطين في الرواية العربية ،ص ٢١ - ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد هذا الاستعراض العجل لبعض الروايات السياسية التي ظهرت بعد ثورة ١٩٥٢م في مصر ، على يد عدد من الروائيين ، أين يمكن أن نضع روايات نجيب الكيلاني السياسية ضمن هذه الروايات السابقة ؟

ان المتتبع الدقيق لروايات نجيب السياسية ، لا بد أن تسترعيه ملاحظات عديدة وأهمها :

أ- ان نجيب الكيلاني لم يكن الروائي الوحيد الذى عالج القضايا السياسية في وطنه مصر ، خاصة الفساد السياسي قبل ثورة ١٩٥٢م ، فقد سبقه الى ذلك عدد من الروائيين ومنهم : يوسف إدريس في روايته (قصة حب) ، وعبد الرحمن الشرقاوي في روايته (الشوارع الخلفية) ، وإحسان عبد القدوس في روايته (في بيتنا رجل) ، وإن تفوقت رواية نجيب (في الظلام) ، التي طرحت الموضوع نفسه على هذه الروايات الثلاث في قدرتها على إدارة الأحداث وتطويرها ، وتحليل الشخصيات في مواقفها المختلفة ، بعيدا عن الافتعال من خلال أسلوب فني نجح إلى حد بعيد في تجسيد فكرة روايته .

ب - أما بالنسبة لموقف نجيب الكيلاني من ثورة ١٩٥٢م ، فقد اتخذ لنفسه موقف الناقد لبعض سلبياتها ، التي أدت إلى فقدان الأمن والحرية للإنسان المصري ، وذلك بزجها في المعتقلات أعدادا كبيرة من أعضاء الأحزاب السياسية على اختلاف اتجاهاتها ، من الشيوعيين والإخوان المسلمين والوفديين وغيرهم ، وقد أدى ذلك كله إلى تصدع شديد على المستوى الداخلي للمجتمع المصري ، أفقده الثبات في مواجهة العدو الخارجي ، فكانت هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م ، التي أسقطت كل الشعارات المرقوعة ، وكشفت الضعف الشديد الذى تعانيه مصر في نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا نبالغ إذا قلنا إن رواية (ليلى العبيد) لنجيب الكيلاني التي ظهرت في بداية الستينات ، تعد من الروايات المبكرة ، التي عرضت بحكومة الثورة المصرية من خلال الإطار الرمزي ، فسبق بذلك نجيب محفوظ في رواياته (ثرثرة فوق النيل) ، و (ميرامار) ، و (الكرنك) ، و (أمام العرش) . فإن كانت رواية (ثرثرة فوق النيل) (١) قد تنبأت بهزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م

---

(١) صدرت سنة ١٩٦٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن رواية (ليل العبيد) (١) قد سبقتها إلى ذلك بسنوات عديدة . كما يمكن أن أضيف ملاحظة مهمة إلى ذلك ، وهي أن نجيب الكيلاني قد انتقد سلبيات الثورة المصرية ، من خلال التزامه خطا سياسيا فكريا محددا بسبب انتمائه لجماعة الاخوان المسلمين ، التي عاشت صراعا قويا مع الثورة ، وعانت أكثر من غيرها من الأحزاب السياسية في مصر ، فقد اعتقل عدد كبير من أعضائها - ومن بينهم نجيب نفسه - كما أُعدم آخرون ، بينما لم ينتم نجيب محفوظ لجماعة سياسية محددة ، ينطلق منها لمهاجمة الثورة ، وإنما عرّض بها من خلال تعرية السلبيات التي عانى منها المجتمع المصري ، نتيجة فساد الواقع السياسي للنظام في بعض القضايا .

أما من حيث المستوى الفني لروايات نجيب الكيلاني ونجيب محفوظ التي عالجت الواقع السياسي في مصر في عهد الثورة ، فيمكن القول إن روايتي : (ثرثرة فوق النيل) ، و (ميرامار) قد بلغتا مستوى فنيا رفيعا ، تفوقتا به على رواية (ليل العبيد) بشكل عام ، إلا أن روايتي نجيب الكيلاني : (رحلة إلى الله) ، و (حكاية جاد الله) ، تفوقتا تفوقا كبيرا على روايتي (الكرنك) ، و (أمام العرش) لنجيب محفوظ ، لبعد روايتي نجيب الكيلاني عن المباشرة ، والسذاجة في نقد الاوضاع السياسية .

وثمة أديب مصري غير مشهور ، خاض غمار الرواية السياسية ، وانتقد أساليب القمع وكبت الحريات في مصر في عهد الثورة ، هو محمد أنور رياض ، وله رواية (القابضون على الجمر) (٢) ، التي تناولت صدام الإخوان المسلمين مع الثورة في سنتي ١٩٥٤ و ١٩٦٥م ، وقد استطاع هذا الروائي أن يحلل بعمق ودقة خلفيات هذا الصراع وأبعاده ونتائجه على الساحة المصرية ، وقد بلغت هذه الرواية مستوى فنيا رفيعا في أدائها للموضوع السياسي . وتشبه هذه الرواية رواية نجيب الكيلاني (رحلة إلى الله) في كثير من القضايا المطروحة في خطوطها العامة ، إلا أن بينهما فارقا كبيرا في المستوى

---

(١) صدرت في بداية الستينات.
(٢) صدرت سنة ١٩٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفني ،إذ تفوقت رواية (القابضون على الجمر) على رواية (رحلة إلى الله) تفوقا ملحوظا لاعتمادها بشكل كبير وناجح على أحدث الأساليب الفنية في العمل الروائي ،ومن أهمها استخدام الحديث النفسي (تيار الوعي) ،والتذكر والتداعي ،فاستطاع بهذه الأساليب القيام بعملية تصوير دقيقة وشاملة لواقع الشخصيات وتفاعلها مع الأحداث ، وقد تداخلت هذه الأساليب تداخلا رائعا ومتعا مع وسائل السرد الأخرى التي اتكأ عليها المؤلف في رصده لأبعاد الصراع السياسي والفكري بين الإخوان المسلمين والثورة ، هذا إذا أضفنا اللغة المتألقة التي استخدمها المؤلف ببراعة تنم عن تملك قوى لأساليبها المختلفة ،فكان موفقا في توظيفها في بناء الرواية .

ج ـ يعتبر نجيب الكيلاني من الروائيين المصريين القلائل ،الذين كان للقضية الفلسطينية انعكاس على أعمالهم الروائية ،إذ نجد له روايتين في هذا المضمار، هما : (أرض الأنبياء) ،و (عمر يظهر في القدس) . وتكاد رواية (أرض الأنبياء) تشبه إلى حد ما رواية يوسف السباعي (طريق العودة) في اعتمادها ـ وإن كان بصورة أقل ـ على المصادفة والمبالغة والنبرة الخطابية ،وإن استطاعت رواية (أرض الأنبياء) تجسيد بعض ملامح المأساة الفلسطينية بصورة أعمق وأوضح ،مما وجدناه في رواية (طريق العودة)، أما رواية يوسف السباعي الثانية التي تناولت القضية الفلسطينية وهي رواية (ابتسامة على شفتيه) فإنها تفوقت على رواية (أرض الانبياء)،لا بتعادها إلى حد كبير عن المصادفة والدعاية السياسية المباشرة .

أما رواية يوسف سالم (دقت الساعة يا فلسطين) فقد سجلت هبوطا حادا في المستوى الفني ، مما جعلها تتأخر كثيرا عن مستوى روايات (يوسف السباعي) ،و(نجيب الكيلاني) وقد صنفها صالح أبو إصبع ضمن الروايات غير الفنية في طرحها للموضوع الفلسطيني بأبعاده المختلفة (١) .

وتكاد تكون رواية نجيب الكيلاني (عمر يظهر في القدس) من الروايات المصرية

---

(١) انظر : فلسطين في الرواية العربية ،ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النادرة إن لم تكن الوحيدة - في حدود علمي - التي طرحت التصور الإسلامي الشامل لحل القضية الفلسطينية ، وقد يكون لانتماء المؤلف السياسي والفكري للإخوان المسلمين أثر في طرح المؤلف لهذا التصور .

د - لعل أهم ما أضافه نجيب الكيلاني للرواية السياسية في مصر ، هو معالجته لقضايا العالم الإسلامي السياسية خارج حدود الوطن العربي ، إيمانا منه بوحدة المسلمين في مشاعرهم وأفكارهم أينما كانوا ، ومنطلقا من توجيهات الرسول - عليه السلام - الذي حث على ضرورة الاهتمام بالقضايا الاسلامية والاهتمام بأمر المسلمين ، لأنهم كالجسد الواحد لقوله - عليه السلام - (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) (١) وقد صدر له - كما أسلفت - أربع روايات وهي (عذراء جاكرتا) ، و (عالقة الشمال) ، و (الظل الأسود) و (ليالي تركستان) .

ومثلما قلت عن رواية (عمر يظهر في القدس) بأنها من الروايات النادرة والمتميزة ، في طرحها للحل الإسلامي للقضية الفلسطينية ، فإن روايات نجيب السياسية التي عالجت شؤون المسلمين في مناطق العالم المختلفة ، تحتل مكانة متميزة في الرواية السياسية في مصر لجدة الموضوعات التي طرحتها ضمن أسس فكرية وسياسية محددة .

---

(١) البخاري ، محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري ، ٧/٧٦ - ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــة

يمكن للباحث في ختام هذه الدراسة استخلاص النتائج التالية :

أولا : كان للمناخ الفكرى والثقافي والسياسي الذى عاشه نجيب الكيلاني أثر كبير في تكوينه الشخصي وإثراء ثقافته وتعميق تجاربه . وقد انعكس ذلك على إنتاج نجيب الأدبي والفكري ، الذى تميز بميزتين مهمتين ، وهما : الغزارة والتنوع ، إذ ألف ما يقارب سبعة وخمسين كتابا في الرواية والقصة القصيرة والمسرح والشعر والدراسات الأدبية والفكرية والعلمية . وعلى الرغم من ذلك لم تلق مؤلفاته الاهتمام اللائق بها من الدراسة والتحليل إلا فيما ندر خاصة في مجال الرواية .

ثانيا : احتلت الرواية التاريخية حيزا لا بأس به من روايات نجيب ، وقد حاول من خلالها تفسير الأحداث والمواقف التاريخية انطلاقا من تصوراته وأفكاره الإسلامية في محاولة منه لاسقاطها على الواقع المعاصر ، لإيمانه بأن للأحداث التاريخية دورا بارزا ومهما في بعث روح الأمة من جديد . ويعتبر الباحث أن روايات نجيب الكيلاني التاريخية تكاد تكون امتدادا لروايات علي أحمد باكثير من حيث مضمونها الإسلامي ، وإن تفوق نجيب عليه بأدواته الفني لهذه الروايات ، كما تفوق على غيره من الروائيين الذين خاضوا غمار الرواية التاريخية ، أمثال : جرجي زيدان وعلي الجارم ومحمد سعيد العريان .

ثالثا : لم تلق القضايا والمشكلات الاجتماعية اهتماما كبيرا من نجيب الكيلاني في رواياته ، فقد كانت الروايات التي تناولت ذلك أقل رواياته عددا وأضعفها شكلا ومضمونا ، ولهذا فإن بعض روايات عبد الرحمن الشرقاوي وتوفيق الحكيم الاجتماعية تفوقت في وسائلها الفنية وقدرتها على إيصال المضامين الاجتماعية المختلفة بشكل أفضل من روايات نجيب الاجتماعية . وإن كان نجيب الكيلاني قد وفق في هذه الروايات أكثر من محمد حسين هيكل في روايته (زينب) .

رابعا : حظيت الرواية السياسية باهتمام نجيب البالغ ، وتكاد تكون معظم رواياته نابعة من هذا اللون من الروايات ، وقد يكون للأوضاع السياسية السلبية السائدة في العالم العربي والإسلامي ، ولانتمائه السياسي والفكري للإخوان المسلمين أثر قوي في ذلك . وقد تنوعت القضايا السياسية التي طرحتها هذه الروايات ، فشملت الواقع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسي في مصر قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م وبعدها ، كما شملت القضية القضية الفلسطينية وبعض قضايا العالم الإسلامي ، ممثلا ببعض دوله التي تقع خارج حدود الوطن العربي ، ونتيجة لمقارنة هذه الروايات بعدد من الروايات السياسية في مصر نخرج بالنتائج التالية :

أ- لم يكن نجيب الكيلاني هو الروائي الوحيد الذى عرض في رواياته الواقع السياسي في مصر سواء أكان ذلك قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م أم بعدها ، فقد تعرض لهذا الواقع عدد من الروائيين منهم : إحسان عبد القدوس وعبد الرحمن الشرقاوي ويوسف ادريس ، الذين تعرضوا للقضايا السياسية في مصر قبل ثورة ١٩٥٢م. أما نجيب محفوظ فقد اهتم بتسليط الأضواء على بعض ممارسات حكومة الثورة السياسية التي انعكست سلبيا على الإنسان المصري .

ب - يعتبر نجيب من الروائيين القلائل الذين تناولوا القضية الفلسطينية في رواياتهم ، فقد عرضها من خلال روايتين اختلفتا في طرحهما لهذه القضية ، فرواية (أرض الانبياء) طرحتها من خلال تصور عاطفي قومي بينما طرحتها رواية (عمر يظهر في القدس) من خلال تصور اسلامي شامل . وهو طرح لم أجد له مثيلا خلال قراءتي لعدد من الروايات التي طرحت هذا الموضوع، ويبقى هذا الحكم في حدود الظن وليس في حدود الجزم والقطع .

ج - إن نجيبا في طرحه للتصور الاسلامي خلال عرضه لبعض المشكلات السياسية التي تهم المسلمين في بعض الدول الاسلامية يعتبر من الرواد القلائل على الساحة المصرية -إن لم يكن الوحيد في حدود علمي - الذين عرضوا لهذه المشكلات في رواياتهم . وإن كان هذا القول لا يعني نهاية المطاف، فالباب مفتوح لمن أراد التغيير أو الإضافة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

أولا ـ المصادر :

أ ـ مؤلفات نجيب الكيلاني:

١ـ أرض الأنبياء : الشركة العربية للطباعة والنشر ،القاهرة ،دون تاريخ .

٢ـ الإسلامية والقوى المضادة : مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط١ ، ١٩٨٠م.

٣ـ الإسلامية والمذاهب الأدبية : مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط٢ ، ١٩٨٠م.

٤ـ أعداء الإسلامية : مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط٢ ، ١٩٨١ م.

٥ـ أغاني الغرباء : مطابع دار الكتب ،بيروت ط١ ، ١٩٧٢م.

٦ـ آفاق الأدب الإسلامي : مخطوط ، ١٩٨٤م.

٧ـ إقبال الشاعر الثائر : مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط٣ ، ١٩٨٠م.

٨ـ الذين يحترقون : مطابع دار الكتاب العربي ،القاهرة ، ١٩٦٥م.

٩ـ أميرة الجبل : مجلة الفجر الفطرية : نشرت حلقات الرواية من ٢٩/٣/٩٨٥ ، حتى ٤/٧/١٩٧٥م. من السنة الأولى.

١٠ـ تحت راية الاسلام : مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط١ ، ١٩٧٩م.

١١ـ حكايات طبيب : مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط١ ، ١٩٧٩م.

١٢ـ حكاية جاد الله : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م.

١٣ـ حمامة سلام : مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط١ ، ١٩٨١م.

١٤ـ حول الدين والدولة : دار النفائس ، بيروت ،ط٢ ، ١٩٧٦م.

١٥ـ دم لفطير صهيون : دار النفائس ، بيروت ،ط٥ ، ١٩٨١م.

١٦ـ دموع الأسير : مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط١ ، ١٩٨٠م.

١٧ـ رأس الشيطان : مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط١ ، ١٩٧٩ م.

١٨ـ الربيع العاصف : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠م.

١٩ـ رحلتي مع الأدب الإسلامي : مخطوط ، ١٩٨٤م.

٢٠ـ رحلة إلى الله : دون مكان للنشر ،ط١ ، ١٩٧٩م.

٢١ـ رمضان حبيبي : المختار الإسلامي للطباعة والنشر ،القاهرة ،ط٢ ، ١٩٧٤م.

٢٢ـ الطريق إلى اتحاد إسلامي : مكتبة النور ،طرابلس الغرب ،ط١ ، ١٩٦٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣- الطريق الطويل : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١م.
٢٤- طلائع الفجر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨م.
٢٥- الظل الأسود : دار النفائس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م.
٢٦- عذراء جاكرتا : دار النفائس ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٢م.
٢٧- عصر الشهداء : دون مكان للنشر ، ط١ ، ١٩٧٩م.
٢٨- على أسوار دمشق : مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٨م.
٢٩- عالقة الشمال : دار النفائس ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٢م.
٣٠- عمر يظهر في القدس : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م.
٣١- عند الرحيل : الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دون تاريخ .
٣٢- فارس هوازن : مؤسسة دار العلوم ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٩م.
٣٣- في الظلام : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠م.
٣٤- قاتل حمزة : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩م.
٣٥- كيف ألقاك : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠م.
٣٦- ليالي تركستان : دار النفائس ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٢م.
٣٧- ليل الخطايا : دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٦٠م.
٣٨- ليل العبيد : مكتبة الزنادي ، القاهرة ، دون تاريخ .
٣٩- المجتمع المريض : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م.
٤٠- ملامح من حياتي : مخطوط ، ١٩٨٣م.
٤١- مواكب الأحرار : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠م.
٤٢- موعدنا غدا : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩م.
٤٣- نحن والإسلام : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م.
٤٤- النداء الخالد : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١م.
٤٥- نور الله : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩م.
٤٦- اليوم الموعود : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- رسائل من نجيب الكيلاني وزوجته أرسلت للباحث، وهي :

- رسالة من زوجة نجيب بتاريخ ١٨/٥/١٩٨٣م.
- رسالة من نجيب بتاريخ ٢٩/١٢/١٩٨٣م.
- رسالة من نجيب بتاريخ ١٨/٤/١٩٨٤م.
- رسالة من نجيب بتاريخ ١٢/١٢/١٩٨٤م.

ج- شريطا تسجيل بصوت نجيب الكيلاني أرسلهما للباحث في ١٥/١١/١٩٨٣م.

ثانيا - المراجع العربية:

٤٧- أحمد أمين : النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط٣ ، ١٩٦٣ ،

٤٨- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ج ٥ ، ج ٨ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٣م.

٤٩- أحمد عبد المنعم : جمال عبد الناصر ، دون تحديد لمكان وتاريخ النشر.

٥٠- أحمد الهواري وعبده قاسم : الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

٥١- أحمد الهواري : نقد الرواية في الأدب العربي الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٨م.

٥٢- أمين سعيد : تاريخ مصر السياسي من الحملة الإفرنسية سنة ١٧٩٨م إلى انهيار الملكية سنة ١٩٥٢م. ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٩م.

٥٣- بدر الدين وآل حي : تاريخ المسلمين في الصين ، دار الإنشاء للطباعة والنشر ، طرابلس ، بيروت ، ١٣٩٤هـ .

٥٤- جورج طرابيشي : المغامرة الروائية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٣م.

٥٥- حسن صبحي : اليقظة القومية الكبرى - ثورة يوليو ١٩٥٢م ، دار المعارف ، القاهرة ، ٩٦٥

٥٦- حسني نصار : صور ودراسات في أدب القصة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

٥٧- حلمي بدير : الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٨- رشاد رشدي : مقالات في النقد الأدبي ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٩م.
٥٩- السعيد الورقي : اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢
٦٠- سهيل ادريس : محاضرات عن القصة في لبنان ، معهد الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٧م.
٦١- سيد حامد النساج : بانوراما الرواية العربية الحديثة ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، ط١ ، ١٩٨٢م.
٦٢- سيد حامد النساج : في الرومانسية والواقعية ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٦٩م.
٦٣- شحاته عيسى : الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر ، الدار القومية للطباعة ، والنشر ، ١٩٦٦م.
٦٤- شكري عزيز ماضي : انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية الحديثة ، المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر ، ١٩٧٨م.
٦٥- صالح أبو إصبع : فلسطين في الرواية العربية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث بيروت ، ١٩٧٥م.
٦٦- طه وادي : مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية (١٩٠٠ - ١٩٥٢م) ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٢م.
٦٧- عبد الجبار عباس : في النقد القصصي دار الرشيد ، للمنشورات ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٠م.
٦٨- عبد الحميد ابراهيم : القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث من أوائل القرن العشرين إلى قيام الحرب العالمية الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٣م.
٦٩- عبد الحميد جودة السحار : القصة من خلال تجاربي الذاتية ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٠م.
٧٠- عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ١٩٧٨م.
٧١- عبد الرحمن الرافعي ثورة سنة ١٩١٩م: تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤- ١٩٢١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ، ١٩٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٢- عبد الرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩م.
٧٣- عبد الرحمن مجيد الربيعي : أصوات وخطوات : مقالات في القصة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤م.
٧٤- عبد الرحمن ياغي : في الجهود الروائية مابين سليم البستاني ونجيب محفوظ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م.
٧٥- عبد القادر القط : في الأدب المصري ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٥م.
٧٦- عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠ - ١٩٣٧) ، دار المعارف القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٦م.
٧٧- عبد المحسن طه بدر : حول الأدب والواقع ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨١م.
٧٨- عبد المحسن طه بدر : الروائي والأرض ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٩م.
٧٩- عبد المحسن طه بدر : نجيب محفوظ - الرؤية والأداة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨م.
٨٠- عبد الملك عودة : سنوات الحسم في أفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩م.
٨١- عز الدين اسماعيل : الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٥م.
٨٢- عزيزة مريدن : القصة والرواية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠م.
٨٣- عماد الدين خليل : محاولات جديدة في النقد الإسلامي المعاصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م.
٨٤- عمر الطالب : الفن القصصي في الأدب العراقي الحديث ، منشورات مكتبة الأندلس ، بيروت ، ١٩٧١م.
٨٥- عواطف عبد الرحمن : إسرائيل وأفريقيا ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٧٤م.
٨٦- غالي شكري : المنتمي ، دراسة في أدب نجيب محفوظ ، منشورات دار الآفاق ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م.
٨٧- فتحي غيث : الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة المتحدة ، دون تاريخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٨- فؤاد دوارة : في الرواية المصرية ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة ،١٩٦٨م.
٨٩- محمد أسد شهاب : صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة ،دون مكان للنشر ، ١٩٧٠م.
٩٠- محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري ج ٨ ،المكتبة الإسلامية ،استانبول ، تركيا ، ١٩٨١م.
٩١- محمد حسن بريغش : في الأدب الإسلامي المعاصر ،مكتبة الحرمين ،الرياض ، ط١ ، ١٩٨٢
٩٢- محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة ،منشأة المعارف ،الاسكندرية ، ١٩٧٩م.
٩٣- محمد شفيع الدين سيد : اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧م ، دار المعارف ،القاهرة ،١٩٧٨م.
٩٤- محمد طه بدوي ومحمود حلمي مصطفى : ثورة ٢٣ يوليو ـ جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية ،المكتبة المصرية للطباعة والنشر ،ط١ ، ١٩٦٦م.
٩٥- محمد عبد الرحمن حسين : نضال شعب مصر :(١٧٩٨م - ١٩٥٦م)، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٠م.
٩٦- محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ،دار العودة ،بيروت ،ط٦ ، ١٩٨١م.
٩٧- محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،القاهرة ، ١٩٧٣م.
٩٨- محمد فيصل عبد المنعم : مصر تحت السلاح ،مكتبة القاهرة الحديثة ،القاهرة ،دون تاريخ .
٩٩- محمد مندور : الأدب ومذاهبه ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،دون تاريخ .
١٠٠- محمد يوسف نجم : فن القصة ،دار الثقافة ،بيروت ، ١٩٧٤م.
١٠١- محمد يوسف نجم : القصة في الأدب العربي الحديث (١٨٣٠- ١٩١٤م) ،دار الثقافة ، بيروت ،ط٣ ، ١٩٦٦م.
١٠٢- محمود تيمور : أدب وأدباء ،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة ،دون تاريخ .
١٠٣- محمود تيمور : دراسات في القصة والمسرح ،مكتبة الآداب ،القاهرة ،دون تاريخ .
١٠٤- محمود حلمي : ثورة يوليو ١٩٥٢م ،دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٩٧٠م.
١٠٥- محمود السمرة : في النقد الأدبي ،الدار المتحدة للنشر ،بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٦- محمود شوكت : الفن القصصي في الأدب العربي الحديث ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٣م.

١٠٧- محمود كساب : حوار مع مجاهد مسلم ، المكتبة القومية بطنطا ، ١٣٩٤ هـ.

١٠٨- مصطفى علي عمر : القصة وتطورها في الأدب العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، دون تاريخ.

١٠٩- نبيل راغب : دليل الناقد الفني ، مكتبة غريب ، القاهرة ، دون تاريخ.

١١٠- نبيل راغب : فن الرواية عند يوسف السباعي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دون تاريخ.

١١١- ياسين حموى وداود التكريتي : الحبشة ، المطبعة العصرية ، دمشق ، ١٩٣٥م.

١١٢- يوسف نوفل : قضايا الفن القصصي ، المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

ثالثا - المراجع الاجنبية المترجمة:

١١٣- اولتبنيرند ، لين ولويس ، ليزلي : الوجيز في دراسة القصص ، ترجمة عبد الجبار المطلبي ، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، بغداد ، ١٩٨٣م.

١١٤- تشارلستن ، هـ .ب ، فنون الأدب ، ترجمة زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥م.

١١٥- ستودارد ، لوثروب : حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عادل نويهض ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٩٧٣م.

١١٦- فورستر ، أ.م : أركان القصة ، ترجمة كمال عيد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٠م

١١٧- موير ، إدوين : بناء الرواية ، ترجمة ابراهيم الصيرفي ومراجعة عبد القادر القط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دون تاريخ.

رابعا - الدوريات :

الآداب : السنة ٧ ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٥٩م ، بيروت

الآداب : السنة ١٢ ، العدد ٢ ، شباط ، ١٩٦٤م ، بيروت.

الآداب : السنة ١٢ ، العدد ٤ ، نيسان ، ١٩٦٤م ، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأقلام : السنة ١٢ ،العدد ٤ ،كانون الثاني ،١٩٧٧م ،بغداد .
الأمة : السنة ٤ ،العدد ٣٨ ،تشرين الثاني ،١٩٨٣م ،الدوحة .
الأمة : السنة ٤ ،العدد ٤٦ ،تموز ،١٩٨٤م ،الدوحة .
البلاغ : العدد ٩٤ ،١٠/٣/١٩٧١م ،الكويت .
حوار : السنة ٣ ،العدد ٣ ، آذار ـ نيسان ـ ١٩٦٥م ، بيروت .
الشهاب : السنة ٥ ،العدد ٩٤ ،١/٨/١٩٢١م ، بيروت .
المجلة : السنة ٩ ،العدد ١٠٣ ،تموز ،١٩٦٥م ، القاهرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The University of Jordan
Faculty of Arts
Department of Arabic

Najīb AlKīlānī as a Novelist

By

Suheel Yasin Tawfiq

Supervisor

Samir Qatami

Associate Prof.in Arabic

"This thesis has been submitted in Partisl fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts, in Arabic at Faculty of Arts, University of Jordan".

1985

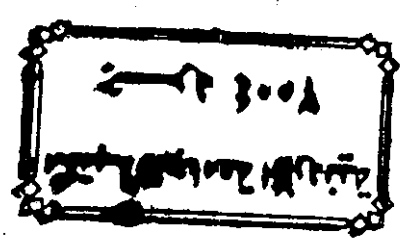

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

This thesis is a study and analysis of the novels of Najib Al-Kilani. It deals with both the context and the artistic atucture of these novels. It also compares between the standard of these novels and that of .. other .. novels of The Same Content.

This thesis is devided into four chapters and a conclusion. In the first chapter I traced Al-Kilani's life and literary works, concentrating on his educationsl career and his political and ideological attitudes and views. It concentrated also on his varied and rich literary production.

Chapter two is restricted for the study of the historical novels of Najib Al-Kilani. In this chapter I reviewed the historical subjects that Al-Kilani relied on, especially the Islamic Jihad against enemy. I also examined the artistic characteristics of these novels and made a comarison between the historical novels of Najib Al-Kilani and those of Joerge Zaidan, Ali Al-Jarim, Muhammad Said Al-Aryan and Ali Bakthir.

In chapter three I discussed the novels which bear social Concernssuch as the Bedwin and village life. I also discussed the artistic features of this type of novels and attempted to evaluate them by comparing them with those similar novels of Muhammad Hussein Haikal, Tawfiq Al-Hakim and Abd Al-Rahman Al-Sharqawi.

Chapter four, which is the main chapter in this study, is restricted for thosenovels of political contexts. Najib Al-Kilani wrote fourteen novels of this type out of the 25 total number of novels he has written. This chapter is divided into three sections according to the main political subjects which Najib Al-Kilani appears to have been concerned with .

...../2

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

These sections are the following:

The Egyptian matters, the Palestinian Question, and the matters of Muslim world.

It is worthy to compare these novels with the novels of Yusuf Idris, Abd.Al-Rahman Al-Sharqawi, Ihsan Abd Al-Quddus, Najib Mahfuz and others who spoke of political matters in there novels.

And finally I concluded the results that emerged from this study.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit